

الشيخ عبد المجيد

السلسلة الجديدة

البلد
الأخرى



أبراهيم عبد المجيد

البلد الأخرى

رواية



RIAD EL-RAYES
BOOKS

دار الكتب والصحف

LONDON - CYPRUS

لندن - قبرص

THE OTHER VILLAGE

BY

IBRAHIM ABDUL MAGID

First Published in the United Kingdom in 1991
Copyright © Riad El-Rayyes Books Ltd
56 Knightsbridge
London SW1X 7NJ
U.K.

CYPRUS: P.O. Box: 7038 - Limassol

British Library Cataloguing in Publication Data
Magid, Ibrahim Abdul
The Other village
I. Title
882.736 [F]

ISBN 1855131757 Paperback

All rights reserved. No part of this publication
may be reproduced, stored in a retrieval
system, or transmitted in any form or by any
means, electronic, mechanical, photocopying,
recording or otherwise, without prior permission
in writing of the publishers

الطبعة الأولى: تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٩١

الإهداء

إلى فاطمة ...

انفتح باب الطائرة فرأيت الصمت.

شيء ما بر أن تشعر في ظهرك بهواء المكيف بينما صدرك ووجهك
يقابلان الشمس وأنت بعد لم تفارق باب الطائرة، لكن الذي خلفي
دفعني برفق لخطوت أول خطوة.

ما كنت افارق السلم الصلير، وتلامس قدمي الأرض، حتى
احسست أنني والأرض والفضاء شيء واحد، ساخن وفارغ. وكان
هنا أن امشي المسافة القصيرة حتى صالة المطار.

المطار صغير ليس فيه غير طائرة واحدة صغيرة بعيدة لونها
أصفر قائم، على جانبيها رأيت صورة العلم الأمريكي، وتحت
الصورة قرأت بالانكليزية (القوات الجوية للولايات المتحدة).



عزى باب الصالة رأيت بعض الجنود سمر الوجوه، زعم أحدهم:
«الرجال في صف والنساء في صف». وشاهدت خلف زجاج جانب
الصالة سيراً عريضاً يتحرك، أثرياً فوق الأرض، فاذكرت أن فوقه
ستصل حقائمي.

- تقدم يا ولد.

زعل في أحد الجنود. أدركت أن الذين أمامي دخلوا إلى الصلاة.
وأني نعت واقفاً في المطالبور.

- هل نسيته؟

- إطلاقاً، كنت أنتظرك.

أجبت بعد أن اضطريت وكنت أعذر. قال:

- إذن لا تغادر المطالبور دوني.

وبدأت الحقائق تظهر فوق السير، فوجدت نفسي أتركه وأتقرب منها.

ما الذي جعلني أنفّر من هذا الشاب؟

حملت حقيبتني الحمراء الصغيرة، ووضعتها أمام أحد الكشافين الذين بدوا صغاراً لا يتجاوز أكبرهم العشرين من العمر. فتحت الحقيبة بسرعة، وبسرعة أيضاً أنهى الكشاف من فحصها. ما كنت أظن أنها حتى أمرني بفتحها من جديد.

- ما هذا؟ كتب؟

- «طبيبك الخاص»، مجلة مصرية.

- هذه ممنوعة.

تعلقت عيناى بعينه. لم أجد ما أقوله.

- يا أخي ما للمصريين بحبون القراءة؟

تسأل وأنا صامت. هل أقول إن «فاروق» الذي أرسل لي عقد

العمل، أوصاني بإحضار هذا العدد الخاص عن الحمل والولادة؟
هل أقول أنني لا أعرف قوانين البلد؟

- امضي..

قال بلا مبالاة، وأغلق الحقيبة بسرعة تاركاً المجلة داخلها.
انصرفت غير مصدق، ورأيت فاروق ينظر إليّ من خلف زجاج الصلاة متسماً.

- ألم أقل إنك تتصلاني؟

أحسست بالمرج الشديد. ها هو «عابد» يفاجنني للمرة الثانية. كنت جلست بالسيارة جوار فاروق، وكان يحدثني من النافذة المفتوحة يكاد يُدْخِل وجهه الطويل ذا العينين الضيقتين والحاجبين الكثيفين المتحمين من الوسط.

تخلّصت من ارتباكى، وقدمته إلى فاروق الذي قال وهو يدير السيارة:

- أهلاً. لقد تقابلنا من قبل.

وتسأل عابد:

- هل هذا قريبك حقاً؟ إنه خجول جداً..

- هذه أول مرة يترك مصر. سيحضر إلى العمل فداً.

كان فاروق يتحدث دون أن يكلف نفسه مجرد النظر ناحية عابد الذي لدخل رأسه بالفعل من الزجاج المفتوح، فكنت أتنفّس أنفاسه، وصرت لا أعرف إلى من أنظر. لكن عابد انصرف فسألت فاروق الذي تحرك بالسيارة:

لماذا لم تدعني إلى الركوب معك؟

معك سيارة.

إنه قادم معي من القاهرة.

لا تشغل بالك بأحد.

وبدا لي أنني لن أقوم شيئاً فآثرت الصمت، وأحسست بالجو حاراً وخانقاً.

انطلقت السيارة الداتسون اليابانية على الطريق الضيق الطويل الذي تحيطه الرمال المتراصة على الجانبين، فاروق يقود السيارة بسرعة مجنونة. الطريق ضال حفاً، لكنني لم أركب من قبل سيارة تكاد تطير، انكشيت، فتح فاروق الراديو، فسمعت صوت محمد عبده «لا ترددين الرسايل»، ولما ظهرت بعض أكتاف خشبية على جانب الطريق قال فاروق:

هذه شركتك.

رأيت طفلين يمرحان أمام الأكتاف. هزمت سيارة من جانبي، فذعرت، أبتهسم فاروق وقال:

الجميع هنا يقودون سياراتهم بجشون ويمرون من الجانب الخطي.

لكنني رحت أنظر إلى كلب أبيض بعيد بين الكتيّلن الرملية المتناثرة، كلب ضخم بدا لي مثل حمار شارد. لا بد أن فاروق لاحظ أيضاً لأنه قال:

هنا يقتلون الكلاب، يعتبرونها نجسة. هذا الكلب يعرف ذلك ولا يستطيع الاقتراب من العمران.

وضمكت. وأنا تراجعت بذهني إلى الطائرة وكيف جاورت المصادفة بيني وبين عابد فكان لا بد أن نتكلم. عرفت أنه يعمل في الشركة نفسها التي أسافر للعمل بها، وأنه كان يمضي إجازته السنوية بالقاهرة، وعرض علي أن أعطي لبلتي الأولى معه في سكنه، فأخبرته أن في قريياً بالبلدة ينتظرونني، فحدثني عن غلاء أسعار السكن، وكيف أن للشركة سكناً خاصاً، لكن يحتله الآسيويون ونادراً ما يخلو فيه سرير، ثم سألتني عن عملي السابق وكيف حصلت على العقد، وخططي للمستقبل، وما إذا كنت خاطباً أو متزوجاً، وغير ذلك كثير مما سبب لي بعض الضيق، لكنني فكرت أنه ربما يوجد معارفتي فعلاً. وتساءل فاروق:

لاحظت أنك تأخرت قليلاً في صالة الاستقبال؟

طبيبك الخاص، قالوا إنها ممنوعة.

ضحك وقال:

لم تعد بذات فائدة.

أبتهسمت، قلت:

أصبحت أياً إذن.

وإن من سرعة السيارة وقال:

أصبحت أعزب، طلقت.

ظهرت للبلدة الصغيرة واختفت بسرعة، ذلك أن فاروق جنح

بسيارته إلى طريق يتجه إلى اليمين ويدور حولها من بعيد. في آخر الطريق رأيت مجموعة من البيوت المنخفضة، بينما البلدة حين لاحظت لي، ظهرت بعض مبانيها عالية شيئاً ما.

فوق أزقة غير مستوية من الأرض كانت العربات تتأرجح. رأيت سيارات كثيرة تقف أمام المنازل ذات الأبواب الحديدية الضيقة. قال فاروق:

- كل شارع هنا معرض للسيارات.

قلت:

- لم يمرض عام واحد على زواجكما!

قال:

- لا تشغل بالك، أودت أن تشتري أرضاً في قريتها وأردت أن اشتري في قريتي.

ولم أفهم. لم يبد من المرات القليلة التي التقيت فيها بفاروق أنه مصابي أو أهوج. هو في الحقيقة ابن عم لأمي ظهر فجأة في حياتنا منذ خمس سنوات. أي عام تخرجي من الجامعة. في ذلك الوقت قال إنه تم تعيينه مهندساً في مصلحة الطرق بالإسكندرية ففكر في زيارتنا، رسالته أمي عن أسماء كثيرة لأقارب لها بفريتها سمعت أنا اسماءهم لأول مرة. فأخبرها فاروق بموتهم جميعاً. انقطع عن زيارتنا بعد ذلك عاماً، ثم ظهر يعاتيني على عدم زيارتي له. وعدم اصطحاب أمي لزيارة عمها الذي شاخ وهرم ولا يزال يذكرها. بل ويذكرني أنا أيضاً منذ كان يأتي إلى الإسكندرية في الخميسات. يشتري الكمب والاعلاف من شركة الزيوت والصابون. ويبيت ليلة

في بيتنا. كانت أمي تشارك فاروق الحديث، وتصق على كل كلامه. وأتردد أنا في القول بأنني لا أذكر شيئاً من ذلك، بل وأشعر أنه من الصعب أن يظهر لك قريب هكذا فجأة وأنت في سن الشباب. ثم تنمو بينكما علاقة قوية. وأفكر أيضاً أنني لا أعرف قريتنا هذه التي انحصرت منها أمي. لم أولد فيها ولم أزرها يوماً. لكن فاروق عاد واختفى مرة ثانية، ولا أدري كيف عرفت أمي أنه سافر إلى السعودية. ولا أعرف الدافع الذي جعله يرسل أكثر من خطاب يعرض علي فيه مساعدته في الحصول على عقد للعمل. لم يحدث أنني شكوت أمامه من شيء. ولا انحنت لأي رغبة في ذلك.

لكن كلن لا بد أن أسافر. من يرفض الآن فرصة سهلة كهذه؟ إن شيء يحسدني الناس عليه. هكذا قالت أمي. إن عملي في التدريس لن يتحرك بي خطوة للأمام، وانظاري للإعارة وفقاً لجدول وزارة التربية والتعليم. يعني الانتظار حتى يجف النفط. هكذا قال فاروق في رسالته.

- كان يمكن أن تؤجلا هذا الشراء.

قلت فجأة، فقال جاسماً:

- وناندا لا تطيع الزوجة زوجها؟

سكتت. وسكتت هو لحظات ثم قال:

- أعطيتها ثلاثة آلاف جنيه. كنت تكلفت مثلها أيضاً في الزواج. سوف اعرض ذلك ولتزوج بأحسن منها. هذا هو البيت. يسكن معي حبيب ومدرس.

وتوقف بالسيارة أمام بيت صغير من نور واحد مبني من الطوب
الأسمنتي.

كان الدش البارد شيئاً رائعاً بحق. وددت لو تركوني أنفرد
بنفسي، لكنهم أصرّوا أن أجلس معهم أشاهد المباراة الحامية في
«الطاوله».

لم أرتج للبيت بشكل عام. حجرتان في كل ناحية، بينهما ردهة
واسعة غير مسقوفة، وفي الطرف البعيد ديرة المياه والمطبخ. قال
فاروق إنه بيت على الطراز العربي، لكنني وجدت مجرد مكعبات من
الأسمنت. حجرات ضيقة تملأ نوافذها غل الردهة، لا على
الشارع، والنوافذ أيضاً ضيقة كأنها كوى سجن.

تحت المياه الباردة كنت أسمع صوت حركة «الزهريين» وفرقعات
«القواشيط» وتصلباً رضحكات، وفكرت أن أخرج بسرعة متجهاً
إلى غرفتي التي جهزها فاروق بدولاب صغير من البلاستيك، وسرير
معدني لشخص، ومروحة، لكنهم لمعوني وأنا أقترّب من الحجرة
فهلّفوا معاً: «لا نوم إلا بعد منتصف الليل، هذا قانون الطبيعة».

ترجعت نحوهم. لاحظت أن عرقاً تصدّد على ساقبي وصدرتي
خلال المسافة القصيرة من الحمام إلى منتصف الردهة حيث
يجلسون. ما نحن ندخل في المساء ولا يتغير الجو. هل هذا شهر
سبتمبر حقاً؟ في الاسكندرية يلف سبتمبر الناس والبيوت بموجة
من النسيم الحاني. هنا هواء راكد ثقيل تستطيع أن تمسك قطعاً
منه في يدك.

- هل معك ريبالات؟

يادرفني الطبيب الذي عرفت أن اسمه وجيه. أثارني السؤال،
وجاءت الاجابة من «سعيد» المدرس.

- نحن نلعب قمار.

كنت جلست على مقعد جهزوه لي بينهم. وسمعنا طرقات على
الباب الحديدي فنهض فاروق بسرعة.

رايت وجه عابد يطل طيناً فحمت إليه. كان فاروق قد فتح الباب
نصف فتحة ووقف بطريقة لا تترك طريقاً لعابد للدخول.

- خلا أحد الأسرة بسكن الشركة فإذا أحببت الانتقال إليه
أستطيع تخصيصه لك.

قال عابد. وددت أن أزعج فاروق من مكانه، وأدعو عابد
للدخول، لكن فاروق يمسك بالباب ويكاد يسد الجزء المفتوح
بجسده، وسبقني وقال:

- سنرى في الغد.

لقد سمعت جداً حتى عرفت بيتكم. من حسن الحظ أنني عرفت
بخلو السرير بمجرد وصولي إلى الشركة. لا بد أنك رأيت الشركة في
طريقك. لقد أخبرني «نبيل» عامل البوقيه، أن أحد الباكستانيين
توفى أثناء إجازتي، ووجدتها أنا فرصة أن أخبرك، إنها فرصة نادرة
لا نجعلها تغت من يدك.

بدأ وهو يتكلم، شديد الإخلاص، وصرت في غاية الارتباك من

موقف فاروق الذي لا يترك الباب، ولا يتزحزح من مكانه، والذي
سبقتني مرة أخرى وقال:
- شكراً.

انصرف عابداً، بمجرد أن استدار، أغلق فاروق الباب وعداد،
وظلمات راقفاً للحظات ثم تبعته.

- سأفرض اسماعيل خمسين ريالاً.

قال فاروق قبل أن اجلس ولم أعلق، خاطبني وجهه:

- لا تخف، ما نخسره سنأخذه، هذا قانون.

لم أعلق، قال سعيد:

- نلعب الدور بعشرة ريالات، ونسوّق الضسارة والمكسب في هذه
الثورة.

وبقيت صامتاً، فقال وجهه:

- آخر الشهر يعيد الكسبان للخسران ما خسره ونبدأ من جديد.

وسكنتنا جميعاً للحظات، فعاد وجهه يقول:

- لا بد أنك تتسامح عن جدوى ذلك إذا كلن كل شخص يضمن
استرداد أمواله، الحقيقة نحن لا نعرف...

٢

- أول يوم مسموح لك بالتأخير.

قال فاروق وهو يتربص معي شاي الصباح، قلت:

- أفكر أن أظل معك حتى أرسلك إلى المطار.

كنت متعباً من كابوس داهمني بالليل، رأيت نفسي أترجع في
بطء وفزع، ويتقدم نحري أربعة رجال سود، لهم عيون جاحظة، كل
عين في حجم بيضة تدور أمامي، وإلى أيديهم سياط طويلة رفعوها
عالياً، وأنا لا أعرف أين أذهب، فهم يحاصرونني من كل ناحية
ويسوقونني، وإذا أترجع بطوري، حتى دخلت إلى رفاق مظلم تحده
من جانبي وخلفي جدران عالية من حجر بازلتني أسود ضخم،
جدران أشبه بجدران القلاع القديمة، وراحوا على مهل يضربونني،
وعلى مهل عيونهم تدور، وعلى مهل أصرخ، ولم يأت أحد لإيقافني
من الحجرات الأخرى. لا بد أن صوتي لم يصلهم، ولعله لم يخرج،
وقمت لاهثاً أنظر حولي، فأدرك أنني في حجرة صغيرة ضيقة في بلد
بعيد، لم يعاونني الفوج إلا بعد وقت طويل فكرت فيه.. في الزمن
الذي مضى من عمري لم أر فيه ظمأ ولم يهاجمني كابوس، قرأت
مرة أنه بعد سن العشرين تنفجر أحلام اليقظة، وبعد الثلاثين تكاد
تتعدم أحلام المنام. بعد العشرين يشرح الإنسان في تحقيق

احلامه. وبعد الثلاثين يكون قد حقق الكثير. انا في الثلاثين ولم احقق شيئاً ولا احلم. زملائي المدرسون والمدرسات في مصر كلنوا كثيراً ما يتحدثون عن اجلامهم وحياتهم في تفسيرها. معظمهم مثلي لم يحقق شيئاً ذا قيمة، ولكنهم يحلمون ويتحدثون عن احلامهم. كنت دائماً اقول لنفسى: لماذا لا احلم حقاً مثلهم؟ واتساءل حتى وصلت الى اننى شخص راضٍ بما انا فيه. راضٍ شديد الرضا لا ارى للحياة بعداً غير رعاية امي واخوتي بعد موت امي. كثيراً ما فكرت انى ربما صرت شخصاً غير راغب في الحياة. ما الذى اوصلني الى ذلك؟ القراءة القديمة التي انقطعت عنها؟ أم هو غبار في الفضاء يفسد صَبَوَات الروح قبل ان تنشأ؟ ربما كرمي الدفين لصالاة الرضا الزائد التي اعيشها، هو الذى جعلني اوافق على السفر. لو لم افز بئى شيء، لماذا بدت انى ساهز الركود عن روجي ولو مرة. لا يمكن ان اعود كما جئت. ان لم افز بشيء، سيصيبني ولو جرح صغير، ان لم انجح، سيكون لى اسباب للفشل، وما هي روجي اخذت في الامتزاز. تداهمها الكوابيس، مع انى لم ارتكب خطيئة، ولم اتناول طعاماً ثقيلاً في العشاء.. وقال فاروق:

- طائرتي ستقطع في الواحدة. الساعة الآن الثامنة. اذهب بحسب لك العمل من اليوم.

لما جاني امس خلال السهر بسفره اليوم الى القاهرة. قال إنه آخر السفر حتى يستقيلتي، وشعرت بامتنان حقيقي له. وسألقه هل هذا موعد اجارته السفوية، فابتسم وقال إنه انما يسافر ليقتروج، ولم اتحدث معه بقية الوقت.

- لقد تأخرت.

قال عابد بمجرد دخولي الى مكتبه ولم اُرد. جلست على مقعد واسع من الاجلد وبحثت اُتطلع الى الغرفة الصغيرة وأحس بهواء المكيف البارد. الجو بعد لا يحتاج الى المكيف فالساعة لم تدخل في العاشرة. وازعجني صوت الجهاز. جدران الغرفة رمادية. جهاز التكييف رمادي. الموكيت المفروش على الارض رمادي. المكتب الذي يجلس عابد خلفه رمادي. الغرفة كلها كابية، وصوت الجرس الببانو يدق مرات متتالية متسوعة، فيقفز عابد من خلف المكتب، ويقف لحظة يغمض فيها عينيه، ثم يطفىء سيجارته في المنفضة، ويهدوء يتقدم يفتح باباً لم انتبه الى وجوده. يلقي الى حجرة داخلية، يدخلها وينطلق الباب خلفه، فأسمع صوتاً قوياً..

- من عنده؟

- الزميل المصري الجديد.

- ادخله.

في اللحظة نفسها تقريباً، رأيت عابد أمامي يقول هامساً: والمفيدة، ويشعر لي ان اتبعه.

واجهتني غرفة المدير باتساعها، وبرائحة الياسمين المشفيع فيها، وأصبست بالارضية عميقة تحت قدمي. كانت مفروشة بالموكيت الاخضر الفاتم الفني. لون المقاعد الستة الواسعة المنخفضة نفسه، ذات الساند العريضة المكسوة كلها بالمخمل الوثين جدران الغرفة مكسوة بالورق الابيض المفضض، والمكتب الخشبي واسع بيضاوي ابيض لامع، فوقه أربعة تليفونات. الاحمر مستطيل، والاسود مستدير، والاصفر اسطواني يرتكز على

قاعدة سوداء مربعة، والأبيض في حجم علبة السجائر، والمدير
حذف المكتب لا يظهر منه غير وجهه، الذي حين رفعه ألبنا رأيته
قمحي اللون، حاد العينين، صغير الأف، رقيق اللشفتين، وغترته
هوق رأسه ميصاء لامعة والعقال الأسود حولها زاه. لكن المدير عاد
ببصر الى ورقة فوق المكتب، وتامعت النظر الى دولا ب رجلي زواياه
من الحشيب الابنوس، وبدأت بعض ملهات صغيرة رشيقة الالوان
والاحجام، وكان المكيف يعص، ولكن لا صجة تصدر منه، وكنت من
فرط هدوء المكان وتعاشرت أذني واقفاً مسيت عابد الذي كان لا
يرال يلف جري، وفكرت من انصوت القوي الذي سمعته منذ
قليل هو صوت هذا الرجل الهش حقاً؟

- يا هبلا

قال المدير الذي تراجع بظهوره قليلاً ردوت في ادب وابتنسام.
- أهلاً بـ

- تعرف الكتابة عن 2191؟

- لا

بان الامتعاض عن وجهه

- تعرف القيادة؟

- لا.

قلت لا هذه المرة بصوت ردت لو لم يصرخ ثملني قليلاً
وخاطب عابد.

- قل لأرشد يعلمه القيادة «ويسوي» له رخصة

ثم سألني بالانكليزية

- دويو ريد آند ريت إن جود انكلش؟

- بيس سيج

لجعت على الفور وخرج صوتي عالياً بشكل لامت تذكرت
الجنود حين يتلقون الأوامر من قادتهم في الأعلام الحربية الأميركية
وكنت أضحك. رأيته يبتسم ابتسامة لا يريد بها أن تظهر ربما
بسمير عني، وربما هو مذهول فحلاً من صوتي العالي

لم يكن هناك شيء هام .

عرفت أمي ساجلس في الغرفة المجاورة لغرفة عابد. مبنى الشركة
كلك عبارة عن صف من ثلاث غرف خشبية ودورة مياه، يتعاهد معه
صف آخر من ثلاث غرف مهجورة، وبوليه. بين الجميع باحة لرابية
واسعة تلف فيها سيارات المدير، وسيارة عابد، وسيارات الزوار
ويحيط الجميع سور عال من الفرميد الأبيض، له بوبة واسعة، ولا
توجد شجرة واحدة

ما كذا ندخل الى الغرفة التي سأعمر بها، حتى انشغل عني
عابد بفتح خزانة معدنية مثبتة في الحائط. وقفت متحمراً للحظات.
لم أستطع أن أغض بصري عن رؤية هزم لنقود الورقية الزرقاء
الزاهية داخل الخزانة. عابد لم يدخل إليها شيئاً ولم يخرج منها
شيئاً فتحتها فقط وأغلقها بعد لحظات

أشار لي أن اجلس، فجلست خلف مكتبه معدني كبير صديء
الزوايا، وجلس هو خلف المكتب القريب من احارئة ليس بالغرفة
غير هذين للكتبتين، ومقعدين جلديين قديمين، ودولا ب معدني
مفتوح بإعمال به أوراق مٌترية عبر مُرَبَّة

قال عابد إنه سيكون علي ترتيب الأعمال الاد رية، وقال لي

العمل روتيني، وإن عدد العمال لا يتجاوز الثمانين ثم تنهد وقال به كان بحلم سيم يشترك فيه العمل شخص مثلي، فهو سكرتير لمدير ومسؤول مالي، وكان أيضاً يقوم بالأعمال الإدارية للأفراد الآن يحتاج من الأفراد ومشاكلهم مع الفيات والحضور والمرض والسفر والإحارات والتعاقد وإيهاد الخدمة سوف أقوم لما بذلك، وأنسجم أيضاً للتقرير الواردة من القسم الفني الذي يعمل به الفنيون الأميركيين للأميركان مواقع عمل بعيدة، ويمكن منحهم لكنهم يتبعون الشركة هنا لا يوجد غير عمال عابدين يعملون في النظافة والبناء، وإقامة المبانى، وصيانة منشآت قواعد الدفاع الجوي بالمنطقة الشمالية، وكلهم من الأجانب أيضاً. أسويرون بالأساس هنا قطاع الخدمات، وبالأمركان قطاع الأعمال الفنية الرافية الذي سنتلقى منه بعض التقارير نترجمها لعم عبد الله ثم قال إن أفضل طريقة للتخاطب مع المدير هي مبادئه معهم عبد الله، عبد الله اسمه، وكلمة دعم، بدلاً من استاذ عندما في مصر ثم قال فجأة

هل تعرف أن عم عبد الله أخفى عني نيا التعاقد معك؟

الحقيقة لا أعرف

ابتسم وقال

له تصرفات غريبة عم عبد الله، لكنه دائماً شحير طيب يبدو كذلك فعلاً.

قلنا عبر معي بمدى صحة قولي. ودخل الغرفة شاب متوسط الطول يرتدي جلدماً سمعي اللون، انركت من وجهه أنه مصري. كان يحمل صينية فضية فوقها عليه من السفن أب ويبتسم

هذا نبيل عامل بوقيه يعيش معي في غرفة حطب لمكاتب لقد أبلغني أمس بطور مرور في مبنى الأسويين كم قلت لك

كتب أنا لبتسم مصافحاً نبيل الذي قال وهو ينسجم بدوره لهلاً لك في بلدك

أصبحت بالارتياح لوجه نبيل وجه مثير بحق انه عريض وشفتان عظيمتان وعينان صغيرتان جداً، ولم يصايقني هذا التناقض أصبحت بالطيبة والعفوية خلفه.. وسألني -حضرتك الأخ اسماعيل؟

أجل

حدثني عابد عنك أمس الحقيقة كنت انتظر لك بطارغ الصبر أريد أن أسالك غرفة مثل هذه مهجورة، وبد مثل هذه مهجورة، وخازنة مثل هذه عامرة ماذا تفعل بها؟ هل لي بالله عليك كان يتكلم ويضحك، ولم أجد إجابة غير أن أبتسم

جلست طويلاً وحيداً في غرفتي صامتة، فكنت في ما يمكن شروء من أثاث، فلم أجد حاجة إلا إلى دولاب نصلي بدلاً من هذا القديم الصدئ، وبعد من المثلثات الجديدة أهبرسي عابد أنا يمكن أن نشترى ما أحتاجه اليوم

فجأة قفزت ألي إلى هدي لاند أنها تعفدي لأن كانت أكثر المتحمسين لسفري وأعرف أنها لا تحب أن أمارقها لستني كتب صلباً أرسلته مع فاروق لا أستطيع أن أترك العمل من أول يوم

لألحوقه في انطار ساكنة إليها في السماء وأرسل الحطاب بالبريد.
أعرف أن كل أسنان يحب أمه هكذا في الغالب. وأنا مثل سائر
الناس لكفي من موت أبي، صار حبي لها ولاخوتي مصاعداً. حُبُّ
يحاطه نوع من القلق. حب تعلقه أمة غير حقيقية أنا إنني
أختلف عن سائر الناس لكني مثل كل الامهات لا بد أنها تعرف
أن آلاماً من مصريرين يأتون إلى هذه البلاد. ومثل كل الامهات لا
تفكر إلا بابنها الغريب الوحيد في هذا العالم منذ الآن إنني علي أن
أحرص على كناية الرسائل. وأحرص على الكذب غافقون إنني دائماً
بحسب وأحكمي كل كابوس عن أنه حلم جميل هكذا يفعل كل الذين
يعتريو حداء لهم هذا هذا ومن الكذب الجميل، وأنا واحد من
رجال هذا الزمن وقد أحسست بالحنين إلى المسود القادم من
الباحة، نظرت إلى الباب فرأيت شاب أسمر، مكفهر الوجه، يقف
يسد الباب وفوق كتفه قرد، أجل قرد.

الشباب يرتدي جنباً أبيض سائفاً ونظيفاً للغاية، والغرة فوق
رأسه بيضاء ونظيفة والعقال أسود ونظيف، ولكن القرد هو الذي
يشد عيني لم ألق الشاب يدخل دون استئذان، ويجلس خلف
المكتب الأحمر الغريب من الخارطة، وتبعته النظر إلى القرد صغير
بني اللون، قلبس أشعث، ذو عيني ملونتين حولهما شعر طويل،
ويحول عنقه حالة من الشعر الأزرق المنقوش، وله حصيتان زرقاوان
ظاهرتان مرق كتف أشعث، ومن إحدى القرد كبايقان لامعتان قرد
جميل بهن يرفع ذيله الرفيع أعلى من رأس صاحبه.

- أين عاصد؟

- في عرفت

- غير موجود.

- ربما خرج في مضموار قريب وصيغود.

كتب لا تزال أنتظر إلى القرد الذي وضع يده فوق رأس أشباب
- أصراف.

قال بصوت وسمعت رأسي هو كفي اليسرى. وأرتكرت بعرفتي
على المكتب، ولدت بالصمت. لكنه سألني
- أنت المصري الجديد؟

- أجل.

- شو اسمك؟

- أممعايل.

وابتسمت عني اتعلم من ضيق المسد، لكنه تنهد ورد
اسمي لنفس بدهشة، ثم زلزل يخط غير مفهوم، وظهر بيبيل واقفاً
بالباب يضحك

- ها، منصوراً

ودخل مسرعاً يصفحه، لكن منصوراً لم يعطه يده ولحنت
يبتسم ابتسامة صغيرة مد نبيذ يده إلى رأس القرد، فتراجع
منصور قليلاً، ضحك نبيل ومخاطبي

- هذا منصور ها ها وعز كتفه منصور الصغير ها ها ها

وراء يضحك مشددة، منهض منصور مصطوب الوجه، وعاد
الفرقة بلا كلمة كل القرد ملتفت مضطرباً. وأدعشني أن منصوراً
صوتاً لي نظرة حادة غاضبة

في العربية التويوتا الهايلاكس نصف النقل. قال عابد:

- ألم تفكر حقاً في السكن مع الأسويين؟

كنت أفكر في منصور وقريه. يندأني بالعداوة دون سابق معرفة كيف يتعام مع سيل بهذه البساطة. لقد حدثني عنه بعد خروجه، وقال إنه طيب ومسكين ويجب أن لا أخشاه

- هل أنت مرتاح للسكن بالبلدة؟

- أجل.

وصحقت. وثابتت النظر إلى الطريق الأسفلتي الذي بدا لامعاً لنهاية من عكس ما كان في الصباح. الشمس الآن في وسط السماء. ولأن الأضواء تنعكس على الطريق متماوجة، أدركت عدم استوائه. وفي اللحظة التي رايت فيها الكلب الأبيض يجري بعيداً بين الكتبان، الكلب نفسه الذي له منظر الحمار الضارب، فُتت زويدة ترابية صفراء جعلت عابد يوطئ السير بالسيارة. حاصرنا القيار من كل ناحية فأطلقنا النافذتين. أضواء عابد كشافات النور، فرايت ذرات التراب تطير أمامنا في عصفين من الضوء، وتومر في الفضاء.

- هذا هو النقيض، ربح مترمة تهب على البلدة بلا موهود ربما كل يوم ربما أكثر من مرة في انبهم الواحد وكثيراً ما تخفتي لأيام طويلة.

ويدأ أن العاصفة لرتهداً، وكذا مختنق أدار عابد مساحات الرجحاج التي راحت ترمى التراب الشهور كما تزيل ماء المطر. وسمعنا صوت ارتطام درات العمار بجسم السيارة، ويدأت أخلف

قنت

- لا بد أن تقف.

كان عابد يهدئ من المبرعة كثيراً، ويأخذ جانب الطريق ليقف لكن العاصفة راحت تدقشع شيئاً فشيئاً، ويعود الفضاء أنصب والاسفلت أسود، والسماء مؤقناً عادت ررقاء. رايت البسدة تقرب صعدت على الجانبين بصبايتها المدحمة البيضاء، ودجلاها

- هذا هو الشارع العام. الشارع الرئيسي بالبلدة

قال عابد، ثم أضاف

- البلدة صغيرة. أحياناًها قليلة السيمانية الميصلية العزيزية أم درمان البلدة كلها في حجم ميدان التحرير بالقاهرة. لا بد أنك رايت حائق. اليس كذلك؟ وبئر ليه «كوبري» طويلاً للمشاة تصورا

كنت مجدداً إلى الزحام، ومشهد استسيارات مزاحمة في نهري الشارع، وانحلات المفتوحة من الجانبين الشارع العام من السوق الذي سنشري منه ما أريد له لفرقتي ومسي. وتركت هُتني ترتفعان وينفضان مع الأقمشة المعلقة في علقات عالية أمام انحلات، ورحت انظر إلى الأدوات والأجهزة الكهربائية، المكسدة والمرايا للامانة حلقها بارفانانت وعصور وساعات وكتب وأقلام وثياب فضفاضة زاعغة للوانها الأسود صارج، والأحمر صارج، والأحضر صارج، والأصفر والأزرق، والزهور كخيرة تنوسط الألوان والأبيض قليل، والكرااتس الفارغة على الأرضة، والأوراق المهملة في الطريق، وجماعات من الكوريين الشباب تحري ونصحك، رجال

جلايب، ورجال يبراوليل، وهنود لهم لحى سوداء وعمائم ضخمة
يعشرون على مهل، ورجال ملهى حمراء محضيه بضاء، بعض
الوجوه، مسنون مشوي في تعب، عرفت انهم افغان، وشباب ورجال
عسولهم تلمع في انفساء وهم يسرعون في سراويلهم الفصاعسة
والقمصان لوسعة فوقها ماكستينيون وزيات الاميركان في
الجينسر والمصريين أيضاً، والسواء لا ارى وجوههم إلا كشياع
يحفظي وانت تطلق ساذجة، شمس عالية، وفضاء ابيض واسع،
وسيارات زاحفة في ادهيتين، ورائحة شواء، وأكد ارى راقصات
من تلك حيلة ريلة يورعن الكؤوس على المارة مترعة بشراب ثقيل،
وشهريار يمر في موكب من الظلماء والقيان خلفه اعلام وصنوج،
واصوات تغير اسيارات تختلط باصوات المسجلات وقيل عابد

- «تبدوك نفسيك أنت وأبوك» مثل بنت اونه المصريون هما
وحده عن الدنيا صمت
- ما هدا؟ اسمع

وأبطأ من سرعة السيارة البخيفة اصلاً، أرففت السمع رايت
يفتح عيني باقصر اتساع، ويمد راسه إلى الامام يكاد يخرج بها
من الزحام، وسمعت اثناسية،
ركاني ارى لصمت نفسه فقد توقف كل شيء عن الحركة الآن
- هصيبة جديدة

قال عابد وأشار لي بالصمعه ان لا اتكلم لم اتكلم وراح الصوت
مقترب طهرت من شارع حاسي سياره شرطة مكتوفة يقف في
صندوقها محطفي شرطي يعسك ميكروفون ويقف جواره امرأة أو
هناة شيء معطى بالسواد كله من الراس حتى القدمين لا يكون الا

كذلك الشرطي يتحدث في الميكروفون بصوت تصحح لأن ويدا
متناقر الصريات لحبته طويته الشرطي، والعبره فوق راسه حمراء
حائلة بها خطوط سوداء قديمة، وجولها انفعال باهت، وملاسه
صفراء تلمع اوراقها المحاسية تحت الضوء، ويقول

» .. واصحة بنت سليمان بن حبيب تلعيذة بالمدرسة
المتوسطة بالعريضة، كانت تخرج كل يوم بعد مدرسة، مع ليامي
اليامي بن عبد الله اليامي «

ويبدأ الناس على الارصفة وفي فناء امحلات، ويزد الضوء
فوق الدنيا، وارى الفتاة هشة ضئيلة، لا أن العباءة السوداء تلمع
وتحدد لنفسها موضعاً في الفضاء الابيض الواسع، وتشد كل
العين

... .. كانت تخرج معه كل يوم الى طريق تيماء امهور.

ولا اعرف كيف استطاع عابد أن يبري سيارة اشربة صدر
الصوت كأنه كتل من الحجارة تسقط فوق راسي.

اليامي لم يعتقد عليها، لكنها فعلتها الشنعة فصلت من
المدرسة،
- فاجرة

هتف عابد وهو يعرض عن اسمائه وأنا الذي لم يحضر سالي شيء
كهذا تصليت عيناى على الحمد للصغير صانع العسمات تحت
العباءة السوداء الواسعة أريد، يا ربي، ساعدني، أن ارى
وجهها، صار ذلك حلصي التي تتعد بالصر في صدري الحنرة
فوق الوجه سوداء ثقيلة، لكن ضوء الشمس باهر يستطيع أن

يكشفه لي هو ارد يقيني انها ماتت واقفة. وامني، انؤالم. ان اراها تتحرك او تنو تتحرك إنها حتى لا تهتز مع حركة العربة، والشريطي القرد الضخم لا مكف عن الوقوف والانحناء وهو يصرح في الميكروفون

«اليومي سنجي ثلاثة أشهر سيعاد بعدا الملكة بلا عودة». وأنطلع الى الشمس في قبة السماء بعيدة. لكن الضوء يغمر الدنيا ببرودة البرد هليلب. رياخذ عيني مني سواد العباة والحيرة وجهود الجسد يا الله يا ارحم الراحمين ها هو الجسد الصغير يخلج أكثر من مرة يخلج لا ريع في الفضاء ولا نسمة. ولا يحرك المبة الآن إلا احتلاجة الجسد وانتفاضة الروح.

ولم أعد أسمع الشريطي، ولا عابد الذي صار يتكلم كالجنون يسب الغناة واليميني. رعت انايع العربية التي تبتعد اتابع العباة وهي تتحرك الجسد وهو يخلج. حية هي إذن لم تموت، والامس عادت تتحرك في الشارع، والعربات وواقصات الف لبة وليلة قفرن يوزع الكؤوس، ومركب شهيدي راج يتقدم حوله الفتيان والفلملان يخطف الاعلام والصنوج، وهاد الكوريين يجرون ضاحكين. والهنود يمشون عن مهل معشوقي الفوام. والباكستانيون يبتسمون ويعكسون أشعة الشمس من عيونهم. والافغان انهمسوا انصاهم للقضاء في دعول. والمصريون يتكثرون امام اغتارير، ولا مبركار يشرسون «البارد» وايندهم اليسرى في حصرهم وعمر انوهم العالة مظارات قلعة. وحاصري البضائع وأصوت اسحلات المحتلطة الناشرة وعدت أشم رائحة الشواء. ولم أعد اري في الشارع سماء اي نساء.

٣

صرت احب البيت ووقت العودة تأتي الساعة الثالثة فيتسع الفضاء بي لم أتعلم القيادة بعد. «أرشد» كل صباح يسألني وهو يوقع في دفتر الحضور. حتى ستأتي الى بورشة مسنر اسماعيل؟ ولجيب. في اقرب فرصة، ولكن لم أذهب لا أعرف ماذا.

يحملني عابد في سيارته. وأصن لي بيت في حوالي الثالثة والنصف لأجد سعيد قد أعد الغداء سعيد اور من يصن منا احياناً لمساعدته. لكنه كثيراً ما يكون انتهى من إعداد كل شيء. نتغدى في العادة وحدنا وحينه يعود لي الخامسة، وكثيراً ما يعود مرة أخرى الى المستشفى عداؤنا قطع كبيرة من اللحم المسلوق وأربز رأي نوع من الحضر وسلطة. والفاكهة هب أو كمثري أو بطيخ. كل شيء يأتي طازهاً من الأردن يقول سعيد ووجهه يحتج عن كميات اللحوم الكبيرة التي تلتهمها. وبلغت انتباهها الى ضرر الحصار المسبك في هذا الحر، وصرورة أن يتعدم اكل اسويته لكن سعيد مضطك ولا يهتم. لا يعب طريقته في طهو الطعام. ولا رحي يتوانى عن التهام اكبر كمية منه

أدركت صحة كلام وجهه من اليوم الذي يداهمني بسرعة بعد

بعدها ومن لوجم لصاعط الذي يكس على صدري ورأسي. ومن
لحركة تعريفة التي صرت أحسها في أمعائي والحاحها علي لإخراج
الريح لكي لم أسمع بتغير طريقه سعيد في المهب

صرت أحب البيت، وتهو نفسي إلى العوده اليه، منذ يقف عقربا
الساعة على الثانية عشرة لما اشتريت يوم نزلت الى السوق ساعة
الحائط هذه للمكتب، لما وافقت عابد على ذلك فقد ثبتها لمامي.
وكأني أعذب نفسي أرفع بين وقت وآخر عيني إليها حتى ينضم
العقربان الى الثانية عشرة أبدا في متابعة حركة عقرب الدقائق
دقيقة بدقيقة أراه يلفز أو أسمع صوت ثقوته، في الثانية عشرة
أكون انتهيت تقريبا من معظم الشغل، تصبح الساعات الثلاث
الباقية دهوراً فأفكر في البيت.

هذا لا أستطيع أن أفكر العمل، الغرفة، لأكثر من دقائق، ونهيل
لا يستطيع أن يمضي وقتاً طويلاً معي، وعابد في غرفته أو خارج
المكان كله عابد في عادة يمضي معظم وقته في أعمال عم عبد الله
الخاصة، وهي أعمال غير أعمال الشركة يقول لي أن اجلس في
غرفته حتى يعود، ولا يعود إلا بعد وقت طويل يكون علي فيه أن أفوم
بأعمال سكنارية التي لا تزيد عن استقبال الرسائل التليفونية.

- ألو

- من أنت

- اسماعيل

- عندك موزون

- لا هل من خدمة تؤديها لك

- أخبره أن المسيح صالح، وهم عليه

واصنع السماعة ويديق التليفون

- ألو

- من أنت

- اسماعيل

- وين عيد لك

- خرج

- أدري وين خرج

- ما أدري والله

- كيف ما تدري حمار أنت

وتغلق السكة في وجهي، ويديق التليفون

- ألو

- يا عابد جهزت الريالات

- أنا اسماعيل

- من هو اسماعيل

- موظف جديد

وتغلق السكة، ويديق التليفون وليس لي أن أشكر علي فقط أن
أدور الأسماء حتى إذا جاء عابد أو عم عبد الله أقدمها له

الآن وقد مضى علي أسبوعين لم يعد يرعجني ذلك تعودته وتعود
المتحدثون وجودي واسمي. وحفت حدة كلامهم، ويخصهم صبر
يذاعيني، ويسألني عن مصر، وأحوال مصر وأنا لا أعرفه، ولم
يسبق أن التقيت به، لكني لم أعز قدراً عن سيار لنظر لي
الساعة حين نصح إلى الثانية عشرة حتى لو كتب في عرفة عابد،
لنظر إلى السماعة المعاتة تماماً، التي أشدأها هو أيضاً يعرفه

بعد الثانية عشرة يسر الكون هذا واسعاً فارغاً فالشمس مصغرة حتى كأنها سبعة، ويصبح ظهور شخص أو سيلود أمراً نادراً لا النسي لحود الذي يردي رباً اقوسحياً، ولقاحاً دائماً به وقد خنس عن أرض اسحة بحوار اسور، وراح يضع الميواك في قمة بحركه مبدء لم يحدث ابي دايته يسحق الباحة مرة دائماً اراه جالساً بعد الثانية عشرة بحرك اسواك في قمة لا تصايقه الشمس لواله ولا تراب لأرض التي يغترشها، انظر اليه فينظر الي ويبتسم، وأرى نبيس يتقدم نحوه بكوب من الشدي يأخذه في صمت، ويعود نبيل في صمت ايضاً وإد دخلت سيارة عاهد أو عم عبد الله أو أي رنر وأثارت التراب في الباحة، فلا يتحرك من مكانه، كلما نظرت فقط إليه ينظر إلي مبتسماً تلتمع عيابه بذكاء حاد إنه سائق شاهمة وفي حوائل الخدمة والحسيب قلت لعاهد مرة

- بيس همد البعي اسم في دفتر الحضور، ولا في دفتر الانصراف وبس له ملف عمل عدي
قال

- هناك اتفاق بينه وبين عم عبد الله أن يتقاضي راقته دون أن يتم تعيينه بشكل رسمي.

- لكن تعيين اليميني لا يرت عليهم أي اعباء، إسمهم يداملون كأيضا، المسة، ويستطيعون ترك العمل في أي وقت

صحيح هو يعرف ذلك، لكنه مقور من بعض شلات الاحوال عم عدد ملك محبة ويرجع عن شروطه

قلت لبعسي إدراك من هذا الرجل مكتبي ادأ

لا اعرف حق لذا فكرت في ذلك، ولا اعرف ماذا أحست أن يدخل هذا الرجل مكتبي أشرت له فيدي مرة أن يتقدم الى مكتب، فلم يفعل أكثر من أنه ابتسم، وعاد الى السواك سيره في قمة رجاة فكرت كيف لا أراه إلا وهو جالس في موضعه بعد الثانية عشرة شغلي تلك، وراقبت الباحة لبوهمي حتى راه في عدومه، ود ثماً كنت اضغل في أمر ما كانت لحظة من الانشغال كافية لار أجده جالساً ينظر إلي مبتسماً وتلمع عيابه بالذكاء المشتغل كأنه يعرف بالصبط ما أريد، ولا يريد أن ينيلني إياه

صرت أحب البيت، ومنذ الثانية عشرة كل يوم لا أكاد أستقر جالساً ما الذي يقلقني كل هذا انطلق؟ أستطيع لو أغضمت عيني أن افصح الطريق ثرور الوقت والساعات، ثلاث الباقية لا تمر بطينة إلا لأنني أنتظر مرورها

البيت حقاً جميل بعد نوم الغيلولة بضع «الصدولة» بيند لي الباحة ويصيح المنة وعلبة النقود الآن نادر ما أحسر، لا يمر يوم إلا كسبت ثلاثين ريالاً، وكلما حسنت نفسي جاداً في اللعبة أكثر مع ييميني، قلت يا اسماعيل لا مكسب هنا ولا خسارة، كل شيء سيقود الى انهضايه لكبي سرعان ما انشأ وأسر جاء في اللعب، ويضحك سعيد ووجهه على هذا النهول الذي اصابني

ريهة البيت جميلة حقاً بالنساء نحن متقدم في سنهم، والنسمة بالليل تدور وقد لاتت قليلاً، والتلفزيون دائماً أمامي حتى لو كنا نلعب الطاولة. أنا الذي أثقل التلفزيون من حجرة سعيد إلى الزهرة أنا الذي أحرص على ذلك

صرت أحب التلفزيون وأحفظ كل برامجها لم يحدث في مصر أنني صنعت نفسي مثلاً ولا مدمم بالفرجة على التلفزيون. هنا يبدو بعبء علاقة عم مفهومة هذا ككاد أتخيل أن مراسمه حقيقية تدور حولها وصرت معروفاً بالدوحة على حفلات رجل ستة ملايين دولار التي تُبث أكثر من مرة في الأسبوع. ثم فُتحت قُبورها في مصر هما شاهدت ثلاث حلقات صممت وأمس أعنوا قراراً بعدم عرضها مرة أخرى بسبب حوادث في الربيع والدمام. لقي بعض الأطفال أنفسهم من لادور أصبا تقبيل لستيف أريستين أعلنوا عرض حقائق جديدة بفرس «الرجل الأحمر» متبداً الأسبوع القادم. وانتظر يشطف شديد هذه الصفات كل شيء تألفه في التلفزيون هما صار ياسرني يشا هيلم فارس بني حمدن مرتين. وفي المراتب رأيت كاسي أراه لأول مرة. وفي المراتب أعيتت فريد شوقي وكترت غريمه محمود مرسى. رغم درامي لسدجة الفيلم كله

في لرددة، وتحت السماء العالية، وفي نسمة لينة، تبدو أصوات المصنفين شيئاً ساهراً وفي لرددة وتحت السماء العالية. بالعذسي صوت المؤذن لصلاة المغرب ثم صلاة العشاء، إلى أفق عالية من أشجن صرت مؤذن كأنه يد، هائل ديبج من فوق جبل شامق. بعد المؤذن أسمع صوت المذيع الشعبي وهو يرجع أحد الاحاديث البيوية يا زيني ما سر هذ الخوسج العميق. وتلك الدبرة شديدة الأسى، التي شعلني إلى لؤديس اللدعه والسكنية. فضاء يقنع بوابت مراحة في روي، ويكاد أسمع يترقق في عيني أنا العاصي لذي لا يعرف لئلاً أركع

صرت أحب أسيت وأمرض كل رعوه لدروج منه، حتى لو كانت

دعوة عشاء عربي مما يتكرر كثيراً يذهب سعيداً أحسباً أو وجبه لجمهور مثل هذه الدعوات عند بعض أصدقائهما أو أصداء لاصدقاتهما من أهل البلدة. ويأتون يتحدثون عن «الكسة»، الأكلة الشعبية للعربية. حيث تُقدم الحراف الصغيرة لمشوية فوق صوان كبير فوقها الأرز المخبث بالخبثوب والصور والحب. وكبب يصير الأكل بالأيدي صنادرة والمناظر هو من يصبط شهية، لأن الاسهال كثيراً ما يصيب الذي يُقبل على الأكل بهمة ويقور سعيد. طيس مهماً أن تاكل المهم أن تتفرج. فكسي أحب. دأ دخلت البيت أن لا أغادره

ينتهي الإرسال التلفزيوني، وأدخل حجرتي ألقب لي اصصف والمجلات التي يشتريها وجيه وسعيد ويتركها لي (يطبخ بعد قراءتها كل الصصف تتحدث عن السادات وتلعه، وجمعت إحدى المجلات عواناً يقول (الا من رصاصة نزلت لي رأس اسفان؟) وفوق العود صور للسادات في أجرة العسكرية لالدية وفي فعه الملبب الشهير لا أقف كثيراً عند السياسة أتجاوزها وأبحث في الاعلانات عن سماء صور عارية لنباء لا أجد ذلك حتى لأن رغم كثرة الاعلانات عن ساعات سويسرا وبيابان وعطور فرنسا وأثاث إيطاليا وقصور بريطانيا وشركات طيران سنغافورة. لسماء شيء لم أفكر فيه من قبل لكن لا بد أنني ما جئت إلا من أمر ذلك لماذا أذيت هذا حقاً؟ لجمع المال؟ لاجوبي؟ للاكثومة التي وضع أبي حبها في عيني؟ لنا لا مد خائن بحر النساء يوم ذلك لبحر الذي لم أنشأ أن ألقى فعه يوماً بحجر، والذي سميت ذلك لحرص لعب على الأكثومة والاستمرار اللعي لتعذيب النفس الذي لا أعرف من أين أصابني. ضيفت أكثر من قلب وصنعت قلداً كبيراً أي رحى

نعفس أنا! لكنني صرت أحب البعث ساعة نقال مراتينا الى الربة
لندم يقول وجيه بن ذلك شخصه أكبر الضرر فمعا بعد، لكنه لا
شركاء، ويقول سعيد ليس أحمل من يوم رجل وامرأة هنا تحت
السماء والطير والحرم، وبصحك في عصره الأيام دله الخطويه،
ولم أحاول أن أعرف منه شيئاً، هو لا يتحدث في الأمر، لكنه يتحدث
وهو ينظر الى قبة لسماء المربعة بالنجوم

مكسبي لهم يا أمية فاصب

وليل افسيه بطيء الكواكب

«نقاس حتى قلت ليس بمنجل

وليس الذي يوعى النجوم بآسيه

وبصحك، ويقول وجيه لكن صاحبك اسمها «وداد» ونيس

«أمية»، ليعلم لي سعيد بطرف عيه ويقول «جاهل»، وأعجب من

معرفة سعيد بالشعر وهو مدرس التربية الرياضية

أود أن أقول بشي ايضاً أعرف الكثير وإن علا التراب الذاكرة.

إنني قضيت صباي ومطلع شبابي مع الاغاني وعيون الاحبار

إنني لم أكن ولا اللون اللون نفسي كان الوقت ممتعاً ولا تنسى

أفكر كيف ان سعيداً أبداً لا يفوس في حديثه عن حبيبته التي

لمت اسمها فقط، كذلك لم أعرف عن وجيه حتى الآن أكثر من أنه

تزوج ذلك وأصبح من الدلة لشي في عصره الابسر، لكن سعيداً

الآن لا نفسي الحب لم يتسع فيه لامرئين يا دكتوراه وسكت

بما مرسكاً، وهو حزين بوجيه لا يهتر بصحك ويقول «الله يعرف أكثر

لذلك شرع أربع نساء لطرح، وأنا أحدث عن الثالث الآن»

نظر لي وقال «هي يبدو أمي مقترج من التدبير» انشغلت

مرتكاً، لكنه استعز بضحك ويقول إنه تركهما معاً في المصوره ثم
يشأ أن يصطحب واحده فتغضب الأخرى، وهو يحب أن «يرجو
بالعواريزه». ولأمر ما تركنا وجيه للخطات ودخل حجرته، فهمس لي
سعيد بأن روجيه قلقتنا للجمال، لوأحدة ولذ كالدرد والندية ست
كالقمر، وهو طالما تحدث عن امرأة تلتة فلا بد سيعلمها، لكنني لم
أجد من اللواجب أن أحرم في شؤون أي منهما هذا أنه لا يبيع
الباب عوت نفسي ذلك، وأثرت أن أعرف عيهما ما يلقيان به إلي،
ولم أقدر بأي صديق أنا ما جئت هنا إلا لوقت عابر، فلاكن مرأة
لامعة تتراق عليها الوقائع، ولا أفسد أحسبني بالراحة في البيت،
ولا أحاول أن اغتزم فرصة غياب واحد منهما لأعرف منه شيئاً عن
الأخر أمامي، وقت طويل معهما لا بد ينكشف لي فيه كثير من
الأسرار

— ما لك اليوم تلعب شارداً؟

قال سعيد ونحن تلعب الطاولة في الربة كان وجيه نوبتياً
النية المستطفي

— قاروق لم يصلي مع خطاب

ضحك وقال:

«هل تنتظر خطاباً من شخص سافر ليخرج؟» العجب

وقداف بالزهريين بقوة، وسمعا صوت طرقات خليفة على الباب،

— ترى من الذي يشي الآن ربما وجيه ترك أحمل وعاد يلعب

الطاولة

قال سعيد وهو قائم بضحك لفتح لادب فتح وسمعتة يصيح

أهلاً يا دكتور ولقت نعال لدينا زمون جدد

ودرج الزبدية شخص ذو قامة طويلة، تقدم بصفاتي محوارة،
مدايته المشاعر نفسها، وقدم له سعيد مقعداً وهو يقول لي

- دكتور رأفت سبب مسائل بوية عظيم إنه هو صاحب فكره
العب بالملوس ورد الحسارة أصبحوا آخر الأشهر لا بد أنك
ستلعب معنا يا دكتور متى وقت مغرب لم نرك

ابنسم رأفت بهدوء، وقال،

- لحقيقة إن لم أت لأسهر، جئت فقط لأودعكم أين وجهيه؟

تساع سعيد بهدوء

- تودعاً خيراً يا دكتور،

- أسي عائد إلى مصر عودة نهائية

- معقول

- لماذا لا يكرر معقولاً؟ سأسافر في الصباح ألم يخبرك وجهيه؟

- طلاق وجهيه اليوم بوبنهي في المستشفى

هو رأفت كتله وابتسم وحاطبني

- انظر انصعب هذا أن تعدد متى تعود الوقت مما عمل يبدو

كذلك حقاً، لكنك تكتشف فجأة أنه من مرة واحدة وأخذ معه خمس

سنوات من عمره بعضنا هذا أمضى عشر سنوات كم خمس

سنوات وكم عشر سنوات في عمر الواحد منا لا أحد يفكر في ذلك

قوة الضمير وكثرة آمال تسيبنا لقد حاول الكثيرون شبي عن

العودة لكي قررت خمس سنوات كافية جداً لأي بلد غير الوطن

هذا هو ملك الأمر ستجد سحناً كثيراً من حقد أن تزور الناس

وتتحرك، لكن الناس هي الناس ولا صباح جديداً ولا مساء جديداً

- ولم يلاحظ أن حديثه طال أكثر من ينبغي أنا لا استطيع البقاء

في دولة مع الانتقال بين مهنها بالطائرات، أكثر من خمس سنوات
ثم ماذا يريد الواحد منا غير مبلغ معقول يبدأ به حياته في مصر أنا
عطب ذلك عذري الآن عيادة في طيطا، وسأعبر من هدى أميركا
أشتري بعض الأجهزة، وأعيد أعمد بالعيدة وأعيش كأي مواص
يعتمد على عقله وقوته، هل تراسي محطناً؟

ابنسمت اجبت

- على العكس معك كل الحق

كان سعيد قد تركنا واتجه إلى المطبخ ليعد كوباً من الشاي
لرأفت، وعاد به يقدمه إليه قائلاً

- شاي بقرن سكر يا دكتور،

- اشكرك.

وأخذ كوب الشاي، وقال لي

- السكر عذري مرتفع لا تمزج، يحدث ذلك للكثيرين لأن

وقال سعيد

- لا أفكر أن وجهيه سينخر إليه بوبنهي بالمساء فقط من يبقى

للصباح

- غريب أنه لم يخبرك يعرف أنني سأسافر غداً ولا يفكر أن يمر

بني.

- قد يفعلها في عودته ربما رتب نفسه على ذلك ستوحش

كثيراً يا دكتور اسماعيل سبي الحظ لأنه لم يتعرف عليك من قبل

انت لم ترونا

وحاطبني الدكتور رأفت

أنا سعيد بمعرفتكم يا أبح سماعين هل تصب أن أحمل لك أي رسالة لأمر

- أحسن لي السلام يا دكتور

نصوري يا أسند سماعين، إني أكثر الناس احتياجاً للبقاء هذا سعيد يعرف ووجهه إني المصعب بشلل الأطفال وإنهم علاجه معظم ما أكسبه إني هناك في مصر، كني قررت أن لا أبعد عنه أكثر من ذلك

ارتبكت كثيراً، قلت

- ربما كان وجودك معه أفضل علاج يا دكتور.

- من تضمن ذلك حقاً؟

- بالتأكيد.

رسمتنا، لاحظت أن دمناً بدأ يتلرقق في عينيه، وفي اللحظة التي هم فيها بالقيام، سمعنا المفتاح يدور بالماب، وهدف سعيد هذا هو وجهه

ويخل وجهه بالفعل وهو يقول

- مساء الخير على المصريين

صالحه وقال لرافت

- أنا قادم من عندك لم أجسد بالطبع لا نلومي ما حدث الليلة ظيع

- ماذا حدث؟

تساعل رأيت هدوء، فقال وجهه بعد أن جلس على مقعد رابع

تنوب من تمام ليلة ثلاثة من الصعايدة قتلوا صاحب العمل. طعوه قطع صعيذة منذ شهر، ووضعوه في ماكينة خططة الخرسانة.

وضاعت الجثة في البناء اكتشفت الجريمة اليوم فقط تم انحصار عليهم واعترفوا. وتُقل أحدهم إلى المستشفى بين الحياة والموت من أثر التعذيب.

أي يوم جميل هذا؟

وقفت أحدث نفسي أمام باب غرفة مكتبي متطعناً إلى السماء
البرقاء العالية، والفضاء السابح في نور الشمس لباهر لصمت
بعد لم تفسده قوة الحر، فالساعة لم تتجوز الثامنة جاء العمال
وأصروا بعد أن وقفوا في دفتر المصور، ولم أفعل شيئاً بعد ذلك
غير شرب القهوة، والجلوس قليلاً أتذكر مذبذبهم في اسباعة
مسرعين

صباح الخير

«غيد مورينغ»

«السلام عليكم»

حمل ثلاث اسمها كل صباح، وفي الظهيرة حين يهودون للتوقيع
في دفتر الانصراف يقولون فقط «السلام عليكم» يتحدثون بسرعة
كما تاكل الأراب، وأبتسم في وجوههم لأنهم دائماً يتسمعون لكمهم
دائماً على عجل لا فرصة لقناع علاقة مع أحد يحدث أن يردد
النقص إلى المكتب أثناء الدوار لكن لوقت قصير أيضاً، بقابلة عم
عبد الله أو للتحويل إلى طبيب، أو لطلب إيس د الانصراف مدعة

لفصاء عمل يتعلق بالنكاح أو استقدام الزوجة والأبناء. فيليب
سوساي بيل، انكهربائي السيلاني العجوز هو الذي يقف أحياناً
ينحدر معي أخرج مرة نسخة صغيرة من القرآن من جيب صدره
وفتحها وأشار إلى آية «وخلقنا الإنسان في كبد»، وسألني ماذا
يعني راعني أنه يحمل نسخة من القرآن وراعني النسخة نفسها
فهو بالانكليزية والعربية معاً أجابه

- لم تعب ومثقة

تسأله

- كل الناس تتعب؟

- لمعنى أنه لا راحة في الحياة الدنيا؛ الراحة الحقيقية في

الأخرة

قال لي دهشة

- لكن لفس هنا مرتاحون جداً؟

- من يقصد؟

- أهل البلدة مستر اسماعيل

بتسأله

- هل أنت مسلم فيليب؟

- بوذي لكنني مسافر إسلامي أما لا أريد العودة إلى سيلان

أدهشني وهو سدي تحاور الخمسين أنه يفكر على هذا النحو.
لكي استجبت له وشددت على مذه وهو معصوف لم يمر يوم بعد
ذلك إلا سألني فيليب عن معنى من معاني القرآن، ولما سألته متى
سينهر إسلامه قال

- بعد أن أعهم القرآن كله مستر اسماعيل إنني جئت في الأمر.

عمر فيليب كلن هناك مسدده الأريخي الذي يدور ويصرخ في
عجلة وأصحه، يلقي السلام ويوقع في التفترويمصي غير منتظر أن
أر عليه التحية أكثر من مرة فكرت لسأله لماذا هذه العجلة،
وراثماً أننى في الفهليه قلت لنفسي لك في حلعه شؤور ولم يلت
انتباهي من بعينه العمال غير «أرون بوكود» الذي لا يدي دو العيين
الموزيتي والشارب المخولي يريكني في حضوره ونصرافه، يوقع
بالانكليزية، وينظر إلى طويلاً، ويتسهم ابتساماً وسعة، ويمضي
على مهل. يفعل ذلك كلما جاء إلى المكتب، وأحياناً يسألني عن هالي،
فأقول نعم، فلا يقول شيئاً آخر ويمضي. يدا لي مثل شخص
يعرفني منذ زمن بعيد، ويريد أن يذكروني بنفسه

- ورأيت عابد يقف فجأة بباب غرفته ينظر لي وقال:

- يوم جميل اليس كذلك؟

ابتسمت قلت

- كنت أقول لنفسي ذلك منذ لحظات

- مع عبد الله لديه اجتماع في الأمانة اليوم أما لن أترك المكتب
تستطيع الذهاب إلى أرشد لتعلم القيادة يجب أن تتعلم القيادة
حتى لا تحتاج لأحد لتوصيك للبيت

في اللحظة نفسها لحمت ميل يقترب من ناحية لبوفيه يحمي
صبيته عليها فتجاذل من القهوة ميل يفعل ذلك مرتين في الصباح
بعدها لا يقدم لنا شيئاً إلا إذا طلبنا ونجاء صاح
- يا فتاح يا عليم. جمعه وصل.

كان يحدث عابد ونظرت إلى ثوبه حيث اشر، وجدت شأناً
مصرياً فمحم البيان يتقدم في الباحة مبتسماً

- صدح بحير على المصري

قال وهو يقرب منا لحدته عايد من يده ويخل غرقتي قدخلت معهم صافحني الساب بقوة ويهف نبيل يحمل القهوة وينظر الى الشباب في دهشة، ثم جالطني

- ستهدي يا عم ستدفع خمسين ريالاً من أول راتب

كده تسلم روبيه امس ما كدت اشرع في الكلام حتى قال الضيف

- بيس لي والله سميت

ولا بد ان لارتياك لشديد بان علي وجهي وانا اجلس- ورايت عايداً يتجه الى الخزانة يلهب ويهرج منها خمسين ريالاً، ويقل جمعة والفا، بينما وضع نبيل القهوة، وقال لعابد

- ساضع فنجانك في غرفتك،

واستدار يمشي لخال جمعة ضاحكاً

- اكر تدفع يا نبيل؟

ضحك نبيل وقال

- ابيت القادم

وخرج، وجمعة يضحك، وعدد ينضم وهو يقدم له الخمسين ريالاً، وأخرجت انا من جيبى مثله قدمتها له، وقال عابد

- جمعة يعمل في شركة لدارعي اكبر مقاول في البلد، اكبر مقاول

في امكنة تقريباً، عنده سعر في ايجور، واسطول سيارات محارب به سرنين لو ارد، لا يمر يوم دون ان يموت عنده واحد من العمال الدارعي ومديره يرفصون د شأ دفع مستحقات الميت، يرفصون

وقم ثمر شحر الجثة، يرفصون حتى ثمن الصدوق الحشني ادفعوه في المظلة. ارض طاهرة د اماً مقولون اصبح محروفاً ان لكن حسنية مدوفاً لجمع التبرعات للموتى عند انارعي

ما كدت استوعب الامر حتى دخل نبيل المكتب يغور لجمعة

- لو ارسالت احداً عيرت مرة يا عم جمعة قد لا يموت احد بعد

ذلك

احمر رجه جمعة، لكنه لم يكف عن الابداسم حتى بد في هجاة

شخصاً شديد الحماسة

شربت قهوتي وحدي انصرف جمعة وعدد عابد الى غرفته، واشغل نبيل في تنظيف السيارة الكاديلاك الوقلة في لينة، سيارة بيضاء جميلة تلف مثل لوزة ضخمة تسبح في بحر من النور لدى عم عبد الله اكثر من سيارة ويركب في اليوم الواحد اكثر من واحدة، وكل منها مجهزة بتليفون لاسلكي، م استطع ان اضرب وجه جمعة من الغرفة. قال عنه نبيل بعد انصرفه، انه يعرفه ويشاع من محبته، وانه في الاصل يعيش في نقارة بمغدير امام واژ امام تريمي، وضحك وقال الدم يمر، بكى لم اضحك كنت متخوفاً بما نقول

ذهبت اذهب إلى دارعده، لا يجب ان افسد بهاء هذا اليوم

قطعت السلحة الباهرة بصوء النهار، وترك نبيل عمله في السيارة الكاديلاك، ونجح في بعد اليولية

- إلى أين؟

- إلى أرشد، أعلم القيادة.

إس حدي معك

ومشيت لا بد أن سير يعرف بالتشغال عم عدد الله بالإمارة

أنيرم هو يفتش حتى ذلوت

- اتصلي يا أخي أي أتعلم القيادة منك.

قال نبيل ونحن نتقدم صمتي ثم لود تطلعت إلى الجراج
القريب المجاور للكاتب الذي يسكنه الآسيويون هذا مكان لم
أحضر إليه من قبل الأرض بين مكاتب الشركة وبينة ليست مجهزة،
نكتها ليست سبعة أرض من الحجر الجيري عليها طبقة رقيقة من
الزغال واستمر نبيل يتكلم.

- انشلكة يا أخي أسي لا أجد الوقت بالنهار، لأن عم عبد الله
يمكن أن يعود في أي وقت ويحتاج إلى القهوة

- لماذا لا نتعلم في المساء؟

- أرشد يضاف استخدام السيارات بعد العمل وعابد لا يسمح
لي بالنظم على سيارته

أرستني بحق فكرت ماذا إس يائتي وقد لا يجد فرصة أخرى.
قال كأنه يقرأ أفكاره

أحببت اليوم أن أراك وأنت تتعلم سوف أتعلم مما تعلمه
أمامي شعبي، يعني

انقسمت كتب أصحك هال

- أي والله

انبعثت أضحك، وأحسست أن الفضاء يجاوبني في صحتك
رغم أنه لا حبال حولنا. وقال فجأة

- لماذا لا تصدقني؟ لماذا تسخر مني؟

وكنتما للفضاء الواسع إردان نسعاً فجأة. أحسست أنه لا
يوجد في الدنيا كلها عجزاً أنا ونيل فقط في هذا العالم وأحسست،
وبالعناية هذا الاحساس الذي لن أنساه أبداً، برغبة في أن أقتله
لو أن سكباً كانت في يدي لطعنته. ووقلت أراقب الدم يمشي فوق
الأرض لامعاً تحت الضوء.

- هل تصدق أنني أحببك جداً يا أستاذ سماعين؟

قال، فلهذهني وأدهشني أنه لا يرفع انكفة ببدا اليوم لا
يحدثني باسمي مباشرة كما تعود. وأستمر يتحدث

- اعتقد أنك طبيب يا أستاذ اسماعيل، عابد هذا ثعبان كرهنا
ببام ممي في غرفة واحدة وأعرفه تصور أنني أحياناً أقوم من النوم
فرعاً خيفاً من أن يقتلني لماذا يحدث ذلك يا أستاذ سماعيل؟ هل
سنجن هنا؟

وتوقفت عن انشي مزيج ضاح من المشاعر أوقضي لا أعرف هر
أريت أن أهون عليه أم أعهه أم أمره بعودة، قنت وأد أمنت
بذراعه.

- لا نصت نفسي عن النامر يا نبيل
وبيا النظرة عينيه وهو يكاد يبكي فجدة قال

- أنا تم أقصد ذلك أريت أن أذكرك أن لا تتعادي لي صدقه

التواصل في طعام لاسيويين. قلب مره لأرشد وهما محتدان في النقاش إن عند أيد عنه فقط، فكوجئت بعابد يقول لي جاداً: دانا لا أدعب إيهم يستهكون كمبة كثيرة جداً ويكلفون للشركة الكثير. بعد هام أتلحل في النقاش

- اشرب شاي مسطر اسماعيل

قال أرشد، فأحدث بكوب في يدي، ورشفت ورشفة، وقلت

- أرشد أنت تعرف أن لباكستانيين عبر التايلانديين غير لسيلائين أن في الصباح أو بعد الظهر، في حديثهم معي، لا أكار أميز بين كلماتهم يصبح صوتهم واحداً تقريباً حين يقولون صباح الخير أو غود مورننغ أو السلام عليكم. أنت الآن تحدثني بالانكليزية، لكن صوتك لا يختلف عن صوت أحد اسمي اسمك فأتذكر لجميع شيء غريب أليس كذلك؟

أبشم أرشد، وراح يظن لي باقق شديد في عيني، ابتهج أرشد فجأة، لا أدري لماذا أنا قلت ذلك كله دون ترتيب، ولا أصرف بالصبر متى فكرت فيه قال

- أنت أيضاً سبتشبهه صوتك معنا مسطر اسماعيل

سكتنا، ورحنا نشرب الشاي، ووقعت عيني على كتاب فوق مقعد قريب، فقام وأخذ الكتاب ووضع في الدولاب الخشبي وعاد بقول

- أب آسف مسطر اسماعيل لقد أنصرفت هذا الكتاب معي عفواً أما لا أحد وقدأ هذا للقراءة

تأمل وجهه قليلاً، فأععض عيني، لماذا يخشاني إلى هذا

الحد * رشفت ما بقي من الشاي دفعة واحدة، وقبض أصابعه على إن تلتقي في الحد

يا الهي، ما هذه السسارة التي مدح لحدك بهذه السرعة، ونشر كل هذا التراب؟ قلت لنفسي، وما كنت أدخل لعرصة عائداً من عند أرشد وسمعت صوت باب السيارة وهو يفتح، ثم يعلق بقوة ورأيت عابداً يلفز داخل مكتبي:

- ملف السيلاني بسرعة

- أي سيلاني؟

- فيليب، هل لديك غيره؟

كل نديما أكثر من سيلاني، لم أظن أن أرد، وقلت أنعجب منه لا بعطيني فرصة احضار الملف، بل يهجم على الدولاب يفتحه، ويحتلف ملف فيليب، ويعود يهرول خارجاً اسقط وهو يبحث عن الملف عدداً آخر من الملفات فوق لأرض، بهت أعيد ترتيبه في عيني ثم رحت ادور في الغرفة وددت أن أصرخ أصرخ لي أحد، أي أحد ويهني شيء، ورأيت نيدلاً يدخل حاملاً حبيبة فوقها لنجان القهوة

- نشرب قهوة؟ لقد ذهبت بها اليه لرفض

كيف أعذ القهوة بهذه السرعة وذهب بها أيضاً لا مد أن عم عبد الله هو الذي دخل الناحة مثبهاً لكل حد التراب كدت بعمر بالضحك

- رفض القهوة وصرخ في وجهي إن أنصرف ستطردني أنت أيضاً؟

- صبح القهوة على مكثبي واحلس هل عرفت شيئاً ؟
- كارتة عسيب سرق راديو من السوق وقُبض عليه
- كيف عرفت؟

- سمعت عم عيد الله يقول ذلك للعابد وإذا أمحل

وراح يهتر بالصحك، ويحاولته أن لا يصدر صوتاً، وسمعتنا
صوت هم عيد الله وهو خارج من المكتب يقول للعابد

- اجلس هذ لا تتحرك وقل لهذا - يقصدي بالتاكيد - أن لا
يترك مكانه

وسمعت صوت باب السيارة يُفتح ويُغلق بصوت مرة ثانية.
وسمعتها تدور ورأيت عم عيد الله يعود بها الى الحلف في سرعة
لم يمس أن ينظر إلي بعده، ثم اندفع إلى الأمام بقوة، فملا الفضاء
مرة أخرى بغير أكثر مما هو فوق الأرض.

ظننت إلى الساعة فوجدتها الثانية عشرة نظرت إلى الباحة
فوجدت انيممي العجوز يدير السواك بيده في همه سحل مع خمار
السيارة كانت هناك مرساة أن أراه يدخل اليوم لولا غبار هم
عميد الله، يتسهم ويرثت هيباه وهراً لي كفه حين رأني أنظر إليه.

انتمست وجلست اى مكثني اتعجب من خلق الله ما الذي حقاً
يجعل فيليب يسرق؟ رجس مثله محاور الحميمين مهيب الوجه
وملاحظ كبير لأعمال الكهنة ويريد قضاء لكر وقت بالملكة
ويستعد لينهر سلامة ماداً سيقول لزوجه «روزالينا، والبيانة

العشرة خمسة هذا وخمسة نركهم في سبيل العشر من بيانه
أتحبه هذا وأسماء فيرلاتدو ويقول إنه ليس أسود مثله ولكنه نُني
مثل روزالينا، قطعة شيكولاته صغيرة، وعمره عاملاً الآن،
ويصحو في الصباح مع فيليب يتعق ساقه لا يريد أن يخرج
دونته، فيحملة فيليب من فوق الأرض، ويصوب فوق لدولاب،
فيصحبك «فيرلاتدو» ويخرج فيليب ويعود آخر اسبحر فيجد
فيرلاتدو، كما هو فوق الدولاب لكر بيكي لا تفكر أبداً «روزالينا»
صغيرة الجسم أن تصعد على كرسي وتترله «فيرلاتدو» معجزة الهبة
عمن كان يصنق أن روزالينا تُنجب بعد أن تجاوزت الخامسة
والأربعين، لكنها الأرض الظاهرة مستر اسماغيل هكذا يقول لي
«داني» وروجهتي مثل النبي زكريا وزوجته لي بقرآن مستر
اسماغيل، فيليب يفسد كل شيء ويسرق راديو لي يشهر إسلامه
وإن يبيي بالملكة.

احسنت بالضيق فقلت عارماً من ترك الغرفة والجلوس لي
اليوميه قليلاً مع بيل لكتني رأيتني يدهش ويتساءل

- وبي رايسح؟

وقفت مندفعاً من عويرته بعد امقطعه كل هذ لرفت كار بته
الى المكتب الأخير القريب من العارئة ويجلس حفا وانفرد فوق
كتفه يمسألني كأنه كان معي بعد دوق، مع أنه احتفى لأكثر من
عشرين يوماً الآن، ولم يفكر حتى ناهاء لسلام
دوق التلفون.

- آلو.

أدزل السماعه.

صوت عم عبد الله أعزّه ولا أخطئه هو أيضاً يعرف صوتي
لا بد وإلا ما قال ذلك يريد عائد ما نسمي إذا كان التليفونان على
حد واحد؟ جلست من جديد الى مكتبي ممسكاً بالقلم.

- يا هلا يا سماعل
ذكرني منصور بوجوده، قررت إذا شاء إلى أن أرى الاساءه
بأعظم منها

- تسمح لي بجلوس؟
- لقد جلست بالفعل
وسكنت قليلاً قال
- لقد سافرت إلى عمان، ذهبت بالسيارة عمان جميلة جداً.

لم أرى، وظهر ميل بدياب حاملاً طبقاً به قليل من الفول
السوداني والفستق قال منصور
- ضعه على الأرض

وضعت بيد الطبق، وتألقت عينا الفرد، وهز منصور كتفه مزه
بسيطة قلقل الفرد إلى المكتب ثم رأى الأرض وراح يلتقط الفول
السوداني والفستق في سرعة مضحكة راح ميل يصطك ويقول
- سيرك سيرك الماعم منصور

حمر وجه منصور، وراشه يحاويل إخفاء ابتسامته صغيرة،
وفجأة وجدت نفسي أضحك بشهامة، قال ميل بعد أن توقفت عن
الصحت

- منصور رابنا بالسر، أحضر لنا فستقاً من عمان

مع أنهم قال منصور لميل

فستق عمان طازج ليس كالذي يباع هنا نكن لا تنس أنه
ليس كله لك لا تنس الكيس الحامض بالفرد - ثم خاطبني - هل
يضايقك أن يأكل الفرد هنا؟
بقلت كيد.

أجبت محسم
- لو أحييت أن أخرج لخرجت
لم أرى واستحب بديل الذي لا بد أنه أدرك نذر الصدم
وتمايل منصور

- مصري أنت يا أخ اسماعيل؟
- ماذا تقصد بالضبط؟
- أقصد هل أنت من القاهرة، يقولون عن القاهرة مصر اليس
كذلك؟

- أنا من الاسكندرية
- جميلة الاسكندرية بها شاطئ وبهر
- بها أجمل شاطئ في الدنيا
- رأيت القاهرة ولم أرها هل تعرف أسبحة يا أخ اسمعيل؟
- أنا صباح ماهرت في بطولات كثيرة
كنت أكتب، لم يحدث لني سبحة عشرة أمتار،
- تصبح وسط النساء في البحر؟

وسط نساء يرتدين المايوهات الكيكي و لآر مدخل مانيوهات
قطعة واحدة فقط. صبور من تسبيح أمامك ما رأيك؟

رأيتهم ينظر إلى ثم يطرق، وينظر إلى المكتب، ويصره بأنامه
صريات سريعة منتظمة لاحظت اتساح الظاهر رغم ما يبدو من

مظاهرة مظهره انعدم وزين وجهه بكفهر فجته ومثله بالقيوم. ثم رقب ودار حول المكتب وكسما أحسن به القرد موقف عن الإتهام لحسان القفلة النافذة ومد له منصور ذراعه قصعد عليها. ثم سنوى فوق كتفه وسمع منصور حارحاً ملا كلمة واحدة

كان مندره اور الواصين لتوقيع في دفتر الانصراف ولان عم عبد الله استدعى عابد سيقى به في الإمارة، طلبت من مندر ان يحملني في سيارته ولاني اعرف أنه في عجلة من أمره دائماً قلت - س يستغرق توقيع الأعمال وقتاً طويلاً لا تغلق قال - حذ را حلتد يا رجل

وجلس عن المنعد الجدي لواسع وبام أجل من سابقه. رارهي تبهته على وجهه وبام، وسمعت شميره في لحظات إلى هذا العد يتعب مندر في الفجر؟ سألت نفسي «أأرون بونكره» يقف أمامي مبشماً ابتسامته الحجرة لاحظت لأول مرة، أن أسانه موصوعة في فمه كيف اتفق.

قال وهو يصوب بصري عيب الغوليتي - أنا محتاج إلى ترين ثلاثة أشهر مستر اسماعيل. كدت أصحك من كثره زهر يتحدث بالانكليزية يقول «نري» بدلاً من «نري» ويقول «من» ملهم لفحة والعون غفد ويعني شهراً قلت

- هذا ممن عابد

قال في يأنر

أوه مستر اسماعيل. عائد هذا صعب جداً

وزيت على دراعي: وقال إنه مضطر إلى هذا لقرص يرسله لروحته لتشتري بيتاً في بانكوك. بيت صغير ثم قال - ما فائدة عملي في المملكة إذا لم أشتري بيتاً في العاصمة مستر اسماعيل؟

تأملت قصّره وامتلأ جسمه وصُفرة بشرته وصعرة رأسه وعظام وجهه النائبة. واستمر يتحدث - ألا تود شراء بيت في القاهرة؟ - أنا أعيش في الاسكندرية أروى - أنا أيضاً لا أعيش في بانكوك - الاسكندرية أجمل من القاهرة. - حقاً مستر اسماعيل إنها مدينة جميلة جداً. - حسبت أنه يجاريني ويتلفني، لكنه قال

- لقد رأيتها مستر اسماعيل في أنسيما في فيلم أميركي جمين كان اسمه «واحد بحيرة مشرق في الاسكندرية»

يؤت على كتفه وقلت - سأسألك أرون. ستحدث مع عابد في الامر قال ببؤسى:

- أشكرك مستر اسماعيل أنت شخص طيب جداً ثم شَبَّ على قدميه ليهمس في انسي - دو يو لايك فانس؟

تلويحة الاولى لم أنهم دهشت وأنا استوعب السؤال ارتنكت

عاد بهمس

- لا تحب مستر اسماعيل أباً لجهزها بتقني إلى حمرة أرون

شيء واضح

كانت عيده بسبعين مائة عرب كاتما مشعوني باللهجة كلها.

قبت

- لا أحبها

وكاد صرختي لا بصرخ أحسست بالحواف حقيقة، حتى أنه
نصرف من أمامي من دون أن أشعر

في الطريق ضحكنا ربح العجاج بدوامات صفراء ثقيلة أصاء
مدر انكشافات، نكتب لم تلج في إشغال هذا الظلام الأصفر، بلصا
من كل ناحية، يكاد يخنقنا صرخ منظر.

- لا حية لي في ثراب هذا الجند اما منظر الذي لا يقف شيء
أمامه كهرباء يعمل ميكانيكا يعمل، مجارة يعمل، حدادة يعمل
مراقبة يراقب، موت يموت، أن مدر أعجز عن مقاومة هذا الثراب
الأصفر؟

- نلظ بالسيارة أغمص

نخشق يا رجل قد يصور الزحف الكل يقف الآن بعيداً عن نهر
لصريق الكل يحاف الطريق مفتوح من الوسط. نطلق بسرعة
نفسها

وصرت نسمع صوت لربطام ثرات الرمال بالعربة، وأحس كأنما

شخص يحملني في صندوق معلق ومطير بي اشكله أبي أعرف
أبي في سيارة ماذا تفعل؟ هل أتوسل إليه أن يقف صرخت
منظر. قف بالسيارة

تصرخ في ما رجل تصرخ في صدر تريد أن يموت إلا تعرف
أنها بلدة ملعونة؟

ولم يهذي من سرعة السيارة صار يصحك بهستيرية يهدي
مصدر أفضل من شاذام مدر يتحدى السوبرمان ها ها ها لا
تخف يا رجل

- لا تحب بارلة، يا أسعد يا مصري هل تحب السادات؟ أنا
أكرهه جداً، ها ها ها وصوت الرمال صار كصوت مطر من
حصى ماذا الحل مع هذا المجنون؟

- لا تخف سائق أهدئ من السرعة كما ترى لا تخف أخي
اسماعيل

وأحسست بالسرعة تقل فعلاً، وبالسيارة تأخذ جانب الطريق
لتقف، لكن العاصفة راحت لتتفشم، وظهرت بيوت البدة قريبة

- انظر لقد قطعنا مسافة طويلة ولم يحدث شيء بضربة مدر
صائبة الكل يقف على الجانبين مدر لا يقف ويجري لي
المنتصف.

- لا أظن أبي ساركب معك مرة أخرى يا مدر

- سافرك معي كثيراً يا أسعد

وداح يقود السيارة على مهل رغم انكشاف الفصاء

- سأتارك السيارات التي تخلفت تسبقنا لن أصابق أحداً من

ي يا استاذ، هل تسكن وحدك؟

رحب انامل وجهه المستدير المليء بانثار مشور قديمه بشرته
بيضاء وعيناه حمرار
- اسكن مع اصدقاء
- في بيت عربي
- اجل

- هذا افضل ما فعلت كنت اسكن في بيت عربي منذ تروجت
سكنت في شقة في عمارة اسوأ شيء هنا ان يكون لك جيران

لم انهم ماذا يقصد، اراح يحكي لي حكيه صاحب البيت الذي
يسكن في شقة تقابل شقته، صاحب البيت رجل تجاوز السبعين، له
زوجة لم تتجاوز العشرين، الزوجة السادسة بعد خمس زوجات
منذ في خروجه ويدخوله يرى الزوجة الشابة امام باب شقتها
كاشفة وجهها، إنها جميلة جداً شقراء من يرها يقل إنها تركية
منسبية في المنكة منذ عشرات السنين، إنه يحاف هذه المرأة
الصغيرة وسألته

- من انت اردني يا مدير؟

لم ارتب للسؤال، ولم ادر ماذا قصدت منه، انا اعرف انه
اردني تسعين

- هل يملك هذا يا استاذ؟

- انا اريد فقط ان اسألك عن الارزاق، يقول معصور إنها
جميلة

صحك وقال

- معصور هذا حكيك يا استاذ، هذا له قصة محبة ساحكية
لك فيما بعد، اظن ان بيتك قريب الآن
كنت قل ان اركب وصعد له البيت وكنا وصفاً فعلاً ما كذب
افتح باب السيارة لانزل حتى هنا
- استاذ، انا نسيت اريدني، انا فلسطيني
وكان ينظر الي بتجد غريب.

.. لماذا لا تحب النزول معي إلى السوق؟

سألني سعيد فجأة وهو يطلق الطيارة كنا نجس في برودة
وكان الوقت يدخل في المساء واستطرد
- انت تلعب شارداً اليوم، لقد خسرت كثيراً.

لم أشأ أن أحدثه بشيء ماذا يفيد أنقول ياني أفكر في لصمت
الذي يحاصرني في العمل منذ أيام؟ لا أعرف أي خطأ ارتكبته مع
أروشد الذي إذا جاء ليطلب من عابد شيئاً يتصادف وجود عابد
في حجرتي، ثم اعلمي ولم ينظر حتى أنني ينهي حديثه مع عابد
بسرعة، ويصرف مليماً لكل ما يقول لا يحتج ولا بغضب ونحن
أذهب إليه لاتباع التمرين على القيادة يتعامل معي بجدية شديدة،
مبدؤاً ثمناً يفتق كل طريق لحديث آخر ممدد لا يزال يدهش ويخرج
بسرعة، لكنه صار ينظر إلي في حروجه ودجوله بتحد غير مفهوم
يسدني متحقراً للرد على أي شيء أقوله أو أفصح حتى يلبس يدي
توسط عم عبد الله له لدى السلطات، ومع ترحبه أو عقابه لم يعد
يحدثني فيما يصعب علمه من القرآن مدور غير مستعد لمحو شيء
شيء يعرف أنني إذا تكلمت سأسأله عن الذي دفعه للسرقة وهو لا

يرد أن يحوصل في ذلك لكن هل يدعو الأمر حقاً لقطع كل كلام؟
 لقد بد لي في الأيام الأخيرة أنني شخص لا يأمن الناس جانيه.
 هكذا بلا سبب افتقرته وقليلاً ما تذكرت عهدي لنفسي أن لا أكون
 مشاركاً في شيء. وإن اطل امرأة لامعة تمرل من فوفا حيات المطر
 وشعلتي لصيق الذي لا أعرف إلى أي وجهة أوقع به حتى منصور
 الذي يبدو صحيحاً أسطيع أن أربح عليه بعضاً من غيظي. عاد
 واختفى. لم يعد أمامي في «عمل عمر عابد الذي لا يمضي من الوقت
 إلا انقيا في المكتب» و«أنه في أعمال عم عبد الله الحاضرة» وببيل
 «ذي قال لي منذ أيام» «لا تصدق ما حدثك فيه بشأن الحارة»
 ثم انقطع عن كل كلام معي بلدم القهوة في صمت وبعضي
 أنا واليميني «عجوز فقط نبت دل لا يتسلم من بعيد قلت لسعيد
 - إسي فعلاً بحاجة للتزول معك إلى السوق

وقمنا برتدي ثياب خروج، كل في غرفته اليوم جمعة يوم يكون
 معظم العمر له عي، سعيد يصحو متأخراً ويخرج إلى الجامع.
 ويظل فيه حتى الصلاة، ورجيه عادة ما يمضي الليلة في المستشفى.
 ويأتي إلى البيت صباح الجمعة يذم. يكون علي أنا الذي لا يصلي.
 ولا بعض ليلاً، أن يعد طعام الغداء. طعمنا يوم الجمعة يكون
 مصرياً سمك مقلي وسمك في الحصة و«بامحان مقلي وبطاطس
 مقلية وفول وفلفل أخضر مقلي أيضاً وأرز بالخلطة وطبق كبير من
 السلطة وعصير ليمون أو برتقال لقد فعلت عمل ذلك كله من
 سعيد

يقوم وحيه بعد لصلاة ستعدي معنا، ويخرج إلى المستشفى ولا
 يعود قبل لعاشرة مجلس أو وسعيد متفرج على التلفزيون. أو

تلعب الطاولة. نحرص دائماً أن نرى حديث الشيخ عني ططاوي
 شيخ تجاوز الخمسين له وجه اللحد. مشرق بشره بحوصه لحيه
 قصيرة بيضاء، يتحدث كله يحلس معك ويحاطبك أب وجدت بالغة
 قديمه. يتحدث في أعرق المسائل لتفقيه نسله بأسرة تصل إلى
 كل عقل. لذلك فيما يبدو يتقاسمه الناس قالوا إنه في الأصل
 مصري. وقالوا إنه سوري. وقالوا إنه مصري، وأرسي وفلسطيني
 علي أنني لم أكن بحاجة إلى التزول إلى السوق بسبب ما
 يحاصرني في العمل من صمت مفاجيء. هذا أيضاً نوع آخر من
 الصمت في البيت الذي أهيبته وأحببت العدة إليه وأبقاء فيه
 أطول وقت. بأن لي أن حياتنا تمضي عن يداع ثابت أنه لا شيء
 يربط بيننا غير أننا غرباء. نضحك كثيراً لكن عن حكايات سخيفها
 عن غربنا لم يحدث أن خاض واحد منا في أمر خاص أمام زميله.
 تلعب الطاولة فيكون جهونا في التلوز يتفرج على التلفزيون فنقاب
 بينه وبين التلفزيون المصري. ولأن كلاً من سعيد ووجيه يرتدي
 مظارة أثناء اللعب أو الفرجة، أحسن دائماً أنني جالس مع اثنين من
 العلماء لا يبدو لي أن علاقتنا يمكن أن تمتد بعد أن نفرق
 سنفرق لا بد أن نفرق يوماً. لكن علاقتنا لا تغربها مجرى في
 القلب علاقة جذيرة بالاحترام. لأن الاحترام المتبادل هو أساسها
 ولن تشهد يوماً خروجاً عن الموقف حتى حين يبدو وجهه تفت من
 العودة إلى مصر. ويقول إنه لم يستطيع أن يمارس لعب هناك
 أبداً، وإياه بعد عودته سيفتح ورشة للمحارة بصحب، وبكه يبدو
 حاداً ويبدو الأمر لا يعني أحداً أحياناً يقول سعيد وصلحتي اليوم
 رساله من أمي بتسأل ووجيه «كل شيء محدد؟ يرد سعيد «كل
 شيء بخير» وينتهي الكلام ووجيه لا يتحدث عن رسائل نص إليه

ما أيضاً لا أفسح ليس عن قصد ولا مدحوا أنهما أيضاً يقصدان ذلك لا بد أن كلامه لا يزال مشدوداً إلى الطوف الآخر البعيد لوصف والأمر حقيقة أنا سعيد يوماً لا بد أن تفعل فعلها وتسد حسنا ومنع ف حرك ولا كلا منا مطمئن إلى عودة ظفورة لا يبدو أن نقلق أو للحوف مبدأ يسرب منه اليأس أي حياة هذه التي يبدو نظيمة مثل - ليس في قرعة اللعبة كل شيء حولي بارز - إنني وخرجي اليوم إلى السوق لا يزيد على ابتسامة باهتة.

ركبنا سيارة سعيد الذي نسون جُسنًا قليلاً في أرقعة جاسية حتى دخلت إلى الشارع العام من يصدق أحد أن هذه ثاني مرة أرى الشارع العام رغم مرير أكثر من شهر على وصولي. لا يزال الشارع مزدحماً كماي أراه أول مرة كأنني تركته منذ قليل وعدت إليه لكننا سدلت في المساء أضيئت لمصابيح على الجانبين ورايت القمر عالياً في السماء هلالاً صغيراً
- المشي الفسح -

قال سعيد بعد أن جمع بسيرته إلى رفاق جانبي كنا قطعنا نصف الشارع العام تقريباً ترقف وتركنا السيارة وعندما نمشي بصيف الشارع اعلم ضيق بانارة والبضائع صمت بشري غريب وطرورية هائلة مدججة في الحجر منذ أمس يبدو أن الصيف يلفظ آخر أنفاسه بحر في كبرور لأن في منتصفه وفي النصف الثاني من ذي القعدة أمسبح قليلة ربهز علينا العيد الكبير والحج القديداً التليفزيون نمت بره مجاً حاصلاً عن الحج وشعاره لافتاب «اسرعوني» هي ذكر شيوخاً في الشارع فكرب أن اشتري شيئاً

لأمي وإخوتي وراجعت. لا أعرف أحداً مسافراً إلى الاسكندرية لأرسلها معه ولا أعرف أحداً يسافر في الوقت القريب

الآن أرى السوق أفضل مما رأيته أول مرة أمشي عن مهر وسعيد لا يتعطلني في شيء لكنني لا أشعر بأي عرامة هل كان مشهد السوق غريباً أول مرة حقاً أم مشهد عربة الشرطة وابتداء المعكينة فوقها؟ الآن لا أرى ما حولي يختلف كثيراً عن سوق المنشية بالاسكندرية. فقط لا أحد ينادي من بضائعه وأشكال الناس هي التي تختلف

- تستطيع أن تحول نقودك إلى مصر عن طريق بنك الراجحي إنه أشهر بنك هنا
قال سعيد حين رأيته انطلق إلى لافتة البنك قلت:
- أنا فعلاً في حاجة لإرسال مائة جنيه لأمي
- وأنا أريد أن أسأل عن سعر الجنيه أذهب ويجذبني من يدي ندخل وأصاف

- وجبة سيسقني بالليل عن ذلك إنه يحب أن يشتري بفلوسه ذهباً يقول إن الذهب أفضل من الدولارات
مخلفاً من باب صديق رهام شديد ضاعط بالداخل لبنك صغير لا أعرف كيف اتسع لهذا العدد من الناس ولا نفاسهم وعراهم وقف سعيد أمام موظف مكشفتني شدة يسأله عن سعر الجنيه الذهب مائة وأربعة وتسعون ريالاً سمحت لموظف نقول ووقعنا أنا أمام موظف آخر يعصمنا شحات من الحديد وطلعت إليه أن يحررني شيئاً بما يسألوني مائة جنيه مصري أحد مني حسمانة ريال. وحرر لي الشيك الذي سأرسله لأمي بالبريد أحسست وأن

أفد انظر اسبائه من تحرير الشبك ان شعاعاً من الضوء يخترق حدي شي = يشدني أن التفت إلى ركن بعيد في الرحام. أعرف أنه حين ينظر اليك أحد تشعر بضارته وإن لم يره يزداد شعورك حدة يد. كانت النظرة أكثر دعة وإمعاناً. لم تقط إلى ذلك إلا بعد أن التفت ورائه بعيداً في الزحام يصوب إلي عينيه كأنهما يقعا صوة في هرة شديدة الظلام إنه منصور ولا أحد غيره، رغم أنه لا يوجد فرد فوق كتفه هذه المرة أرتيكت لا أعرف هل أتوجه اليه أم أتجاهله، جذبني سعيد وهو يقول
- لماذا تلق جامد هكذا؟

رايت وجه منصور ينشكك بالفضب رايت عينيه تتسعان وتألفس بشيء أشبه بالنذير، وأقبل نحوهما كسهم جاد توقعت أن يسبني إلى لا أعرف لماذا أتوقع منه الإساءة دائماً، لكنه تجاوزنا بسرعة وخرج يشق له طريقاً بكتفيه
- لماذا تقف، ألا تسمعني؟

عنت سعيد وهو يهرني كان عرق غزير قد نفصت على خنقي ووجهي. أخذت الشبك الذي أعده الموقوف الباكستاني، وشركت سعيداً يشدني من ذراعي الخروج

- ما لك؟

لم أرد مشيت مقابر اعداداً من الماكستانيين السمر، والأقنان لسنح حمر اللحى باللحى لعمد معير الأقنان، وربما أيضاً منظرة لدهور في عيودهم ملاسهم لا تحفظ عن ملايس الباكستانيين

القميص نفسه الطويل والسريرال الفضض من اسي قال عنه سيل مرة وهو يضحك إنه صنع خصيصاً لتطو فوق مياه الفسافات التي يتحدث عنها نشرات الأخبار كل يوم

قابلتنا أيضاً جماعات من الكوريين مشغول مسرعين وكما قابلتنا امرأتان معاً يقول سعيد مصررت، يشرح لي كيد يمشين اثنتين اثنتين. نادراً ما تمشي امرأة وحدها امرأة مع زوجها أو صديقتها رايت أمام أحد الحلات عدداً من الأوروبيين، وربما الأميركيين، يشربون السفن آب، ويدهم فتاة ترتدي بطلون جينز، شقراء، لا تغطي وجهها ولا شعرها، وتضحك بجرأة، لم أر غيرها في طول الشارع

أمام محل بقالة ضخم وفيها إقبال عليه اصحاب تاركاً بقية رباته لاحظت أنه في نهاية المحل من ادخل يجلس رجل فوق الأرض مستنداً إلى حائطا صفيحة جوار الحائط، وقد مد ساقيه وزاح يدهن النرجيلة، أعطى سعيد ورقة للعامل الذي صاحبه مستمراً

- سنعود بعد ساعة

قال سعيد، فرد العامل وهو يزداد ابتسامة

- في امان الله.

ومشيئاً قال سعيد

- الرجل الذي يدهن النرجيلة وهو صاحب محل العمل يعني اسمه محمد، يحب المصري، جداً وحبته المصريون دكي ولأح كل اليمنيين أذكيا سنعود بعد ساعة، يكون جهر لنا كل شيء

وباعتبار أنني رأيت أصابع الشارع تقل والزحام يخف،
ومحلات تتعدد ويصير بعض المأوى القديم والحرايب، حتى
وصلنا إلى مكان مظلم تماماً، ووقفنا نشتم رائحة المخلات.

مجن صمغ به عصبان وأمر، ورجل مس محلي الظهر، تقدم
سعيد نحوه وتقدمت معه طلب سعيد من الرجل أن يجهر لها كيمياً
بخمسة ريالاً، بينما رحت أتطلع إلى البراميل المصفوفة حتى
سقف المجر، وإلى براميل الصفيحة المكشوفة التي في بعضها
بصر أصفر وأبيض يسبح في مياه عمراء، وفي الأخرى خيار
متراكم في تراخ، تطفو بدورها فوق الماء، وفي غيرها قطع اللقت
بحمره والبيضاء وفردر اللفلل الأخضر لم يكن هناك عمراً
والظلام، والهيلال بعيد لا يضيء شيئاً وتعلقت البراميل مليئة
بالديناميت الذي سينفجر في الحال رحت أنظر في الظلام إلى
الجامع واضح للعالم أمامي جامع كبير لكنه مغلق، ومنازل كثيرة
بيضاء منخفضة خلفه

- هذا جامع الجدة الرئيسي أمامه تقام الحدود كل الحدود
تقريباً عيم عد نصر برفية يتم في مكة يقولون إن هذا الجامع
أقامه في الأصل أبرسون نفسه حين غزا تبوك اعتقد أنه حصل هنا
لقطع وإليم الجامع عيم بعد.

فسمت

- هنا أدن مقم الجلد والرجم

- في اعاب لا يوجد رحم لم أرى حتى الآن. يوم موحيل الزامية
من الغرباء الزامة من أهل سدة لم يكتشفها أحد حتى الآن
الجلد لا يرمد على صرب بالحذرانة، يسميه المصريون «نقيض»

هجوم شيء مضطك لوحقت في رمضان الماضي ربما رأيت اسلك
صباح أول أيام العيد ربما مرى ذلك العام القادم إن أكثر عد
من الجلادين مقم جلدهم هنا في عيد الفطر المعطر يتم مسجه بفيه
شهر رمضان ثم يجلد يوم العيد الجند الحقيقي يتم في لإماره
يتخذ الأمير بنفسه. ليس بالحيررة ولا بالسوط، بالعقال على
الاحم وجهه يحدثك عن المقولين للمستشفى مشرعي من لإماره

أقشعر بدني وأنا أصلاً لا أحب الضلام وأخذ سعيد، نكيس
اليلاستيك الكبير الذي ملأه الرجل بامطر، وقيل أن يعود سائته
عن البيوت خلف الجامع، قال

- هذه منطقة أم درمان، كل سكانها سود ربما سموها أم درمان
هذا السبب - وأبسم - وربما صار أهلها سوداً لأنهم يسكنون أم
درمان. إنها منطقة مشهورة بالخمر وبخلاته معظم سكانها من
المستبددين والمغنيين والراقصين في الأفراح الرجال والنساء، مثل
عوالم شارع محمد علي في مصر، لكنهم لا يجلسون على المقاهي ولا
أمام الأبواب هل تعرف أنه رغم مرور أربع سنوات عن وجودي
هنا، لم يحدث أن دخلت هذه المنطقة؟ إنها خطيرة جداً.

واستدار يعود في الشارع، فاستدبرت معه تاركاً أم درمان خلفي
والمسجد المغلق، وصوبت عيمي إلى الأصره بعيدة لكن سعيداً
قال

- كلنا لتيت هنا ورأيت الجامع، نذكر عربوه ببول، وبذكرت
حكمة غربية يتداولها الناس يقولون إن إحدى الفئات التي مر
بها النبي، رفعت أن تقدم له ماء مشرب، وحالت بين جيشه وبين
بنوهم، فدعا النبي عليهم أن يقرض أفراد هذه القبيلة، وبطل حتى

يوم لقيمة لا يريد عددها على عشرين عشرين امرأة ويحل ويطلق
فقط كلف ويد مولود مات أحد أفراد القبيلة إنها اللعنة التي
يحدث عنها الناس هنا هل تعرف أن ذلك صحيح؟

وقبل أن أجيب أضاف

- لا تتكلم عنها حكاية مريبة لا أحب تذكرها

ومشيت صامتة، لكني تذكرت منذ حين قال عن البلدة إنها
ملعونة يوم حاصرها «العج» - لا بد أن منذراً كان يقصد ذلك، أمر
بشع بحق لا أظن أن أرسوس يفعل ذلك بأحد لا أظن أن أحداً
رأى أحداً من هذه القبيلة هي قصة مريبة اختصرها مجوس إلا
أنني حسست بضوء حقيقي لم يتقضي منه إلا سماعي صوت
أذان العشاء غالباً يصدر من جامع بعيد لا أراه ورايت المحلات
تغلق أبوابها، والمدة يدخلون في الأزقة، ورجلي مسير ذوي لهجات
بيضاوين طويلتين، يحشون عن الرصيف يحمل كل منهما في يده
درة يضرب بها من يقابله ضربة خفيفة ويقول بصوت عال «صلوا»
صلوا»

- هؤلاء أعضاء جماعة الأمر المعروف، يفلقون السوق
ويدفعون الناس للصلاة

قال سعيد ذلك وهو يجلسني لفدحل رفاقاً جانبياً مظلماً نثني
فيه ظملاً، مرحباً عمداً من المصريين قد سبقوا إلى الرقاق، وبقوة
ينظرون لنا صاحكين

انتهت الصلاة، وخرجنا وجرح الناس عن أوكارهم، وأنتجت
أبواب المحلات، وظهر الناس الذين اختبأوا خلفها، وراحت الحركة

تدب شيئاً فشيئاً في الشارع، وصارت الأصوات تزداد في عيني كلما
تقدمنا، وقبلتني كثير من الوجوه التي رأيتها في هدومي عاتده،
وانحرف بي سعيد إلى باحة واسعة حلق بيك أنصاب، فوجدت
سوقاً كبيراً للخضر والفاكهة والحوم اشترت ماسحو وبرند لا،
وعدا إلى الشارع نلتحق بمحل أنقالة قرر أن يعق رسالتي
سعيد

- هل نسيت حديثي معك منذ أيام؟

- أي حديث؟

- الذين الخصوصي.

كان سعيد قد حدثني عن إمكانية زيادة دخلي بإعطاء بعض
الدروس الخصوصية إن ممارسة عملين أمر ممنوع في المسكة،
لكن الدروس الخصوصية ليست عملاً رسمياً بدروس
الخصوصية أيضاً ممنوعة، لكن على المدرسين فقط أما من هم مثلي
لا يعملون في التدريس فلا جناح عليهم مسيت هذا الحديث ومع
اهتم. لكنه فيما يبدو أخذ الأمر جاداً، دخر بي إلى محل أدوات
مكتبية أنيق، استقبلنا فيه شاب صغير مبتسم، قدم لي سعيد
باسم حفادة وقدمني له.

صافحتني الشاب بصراحة شديدة، وأخذ رل ركن بعيد في
الحل. ثم فتح ثلاثة صغرة، وأخرج منها عصيين من شراب
الفيغوتو، وعاد يحدث رنوداً كل يقف معه قرر رجولاً

انتهينا من الشراب، وانتهى خالد من الترويض، وأمس عيب هاش
باسماً بسعادة فائقة كان جالسه الأبيض مطبقاً لامعاً وكذلك
غرته وعقاله الأسود، ويرا كل شيء فيه محتجاً أخرج من حيب

الحلأب الأعل رقة قدمه لى وهن

- هذا عوسا يا أستاذ اسمعلى

امسكب بالورقة لا أبرى بالصمط كيف اتصرف ولا ما هو
المصروب ملى، وقر خاند

لا تفكر بانكاهة يا أستاذ سمعلىك ما هو مطلب إن احتى
تلمىدة بكىة لا يقصه إلا شىاء قليلة فى اللغة الانكيزية

إذن رتب سعيد كل شىء، ونفق مع هذا الشاب على أن أعطى
دروساً لأخته يا أبهى! دروس بفتة.. وهما بانسكة؟ ولا بد أن التم
الرفع لى وجهى، ولم أسر إلا بعاند وقد اصصرف من أمامى ليعود
وفى يده علبة بها قلمى شىفرز مذهبان، وقدم لى العلبة الأمىقة
قائلأ

- هذه عربىة مصة يا أستاذ متى تحصر؟

- بعد سبرخ

لا اعرف لاد قلت ذلك هذا ما حدث عى أى حال رأيت سملبة
د كنة تحفو على رجه خاند، لكنه سرعلى ما أبقسم وقال:

- إن شاء الله يا أستاذ

قلت

- لى أمىك بك

ومدت ملى أصابعه، فأخذها بى يديه، وشد عليها بقوة ثم
صامع سعماً ما كدنا ملغوت لمفرج حتى هتف

- أستاذ

نوفى أقر عى خمس

- أرحوك أن تحضر ولا تخذلنى

لم أبر كيف أبر كنت أفكر كيف قتلت هدته بعده اسبهوه
قال

- لا تعلق سأحضر فى الموعد

شد على يدى من جدىة بدوة الذى بعقد حلقاً، أن يقطع ههدأ
بالوفاء الى الأبد

بعد العشاء رحنا متفرج على التليفزيون فى ردهة البيت
سالمى سعيد

- لى تحج؟

أجبت

- نعم.

قال

- إذن ستمضى العيد وحدك

وسكتنا قليلاً حتى قال

- اما سأحج للمرة الثانية وجهى سيحج للمرة الرابعة، اليس
كنتك يا بكتور؟ أجاب وجهى

- صحيح لكنى هذه المرة سوف أخرج لأمى.

أبسمت وتساءلت

- هل ممكن ذلك؟

أجاب سعيد

ممكن ألم مر حديث الحج أمس فى التليفزيون؟ أهم أن يحج

الاسمان لنفسه أولاً

وصحك وقال

- وجيه في الحقيقة سمح لأمه من باب التوفيق بدلاً من أن يرس إليها تذكرة ويستقبلها وينصعل همها، يحج لها فوجئت بوجيه يكون ببرود

- هذا حقيقي، لكن الحج الآن أيضاً صار شيئاً شاقاً لنا أوفر على أمي المشقة هل تروني مخطئاً يا اسماعيل؟

- لا طائل أن الاسلام يرفض ذلك فلا عبار على الفكرة قلت ذلك غير مقتنع بكلامه، لكن ما فائدة الجدل في المسألة برمتها، ووجيه من النوع الذي لا ينزعج عن أفكاره، وقال يخاطب سعيد،

- هذا رجل لن يهيج لكن يقوى الحقيقة ولا يلجأ للغش واللمن ضحك سعيد، وانشغل وجيه لجانة بكتابة رسالة على الضوء المبيعت من شاشنة التلفزيون وفكرت أما في سعيد الذي حدثني ليوم لأول مرة عن خطيبته واداءه التي تعمل مدرّسة في البلدة، وتعيش معها أمها تكسرم، وكيف إنه لا يستطيع أن يزورها لو يراها إلا في السوق وصدفة وبسرعة

لم يكن من السهل أن أصدق ذلك، لكن لماذا يكذب، قلت لنفسه رجس عذبان من السوق، وكان لا يزال يتحدث قال إنه سيعود في نهاية هذا العام الدراسي عودة نهائية كل عمل هناك قل لا مبالاة لقد حجر لنفسه شعة أنيقة بمصر الحديدية في عمارة ضخمة سهارت بعد مائه انه يحمد الله لأنه لم يسكنها قبل الانهيار ويحمد لله أن خطيبته واداء تفهمت ظروفه اشتوت هي

شقة بمخزواتها، واقنعتة أن يكون هذا عامه الاحم، قصر ربح يا صلحي، كل شيء هنا قصص ربح، كن يقول ويصحك وهو يقول السيارة، لكنني كنت أدرك عذابه «أي ايم لخطوة تصيب هذا بلا لقاء حميم» كان يقول أكثر من مرة وفي اللحظة التي تسبت فيها إلى أن خالداً الذي قابلناه اليوم في السوق قد يكون أحلاً لواجبة بنت سليمان بن صليل، إذ حدثني سعيد من قبل أنه يعرف أحاه، وأن له مكتبة بالضارح العام، في هذه اللحظة التي فكرت فيها أن الفتاة التي احتار سعيد لي أن أعطيها درساً قد تكون واضحة نفسها، في اللحظة التي كنت فيها اندفع اسأله، بدأ للذيع يتلر نشرة الأخبار الأخيرة بصوت عالٍ ناطق، قال

بسم الله الرحمن الرحيم

ولكم في الحياة قصاص يا أولي الالباب .

حرفق اليوم مفتي مكة، على إقامة لحد بالسيف، عن مالك بن عبد الله بن مالك، الذي قام في رمضان المعظم الماضي، بحطفت فتاة كانت ترمي الغنم في تخوم مكة، وهرب بها إلى الطائف وهناك أقام والشيطان حيلة بين الجبال، وأخذ يعاشر الفتاة بالقوة معاشرة الأرواح لقد تم اكتشاف وكر الزنديق هذا الاسبوع، وادجمته قوة من الشرطة، لكنه كان مسلحاً برشاش استطاع به أن يقتل أحد أفراد القوة المهاجمة، انني مكثنا الله حر وجس من القبض عليه حياً ..

- هل سبق لك أن رأيت تعيد الاعدام بالسيف؟

سألني وجيه ببرود اجبت

- لا.

وتحصصت عنقي .

زحام شديد من الاوتوبيسات الكبيرة والصغيرة، وسيارات
البيجو والمرسيدس والشيروكليه والتويوتا والدايتسون والهندا
والفيات وماركات اخرى لا اعرها، يشغل الطريق القادم من
الشمال، طريق المطار، المتجه الى الجنوب.

تبوك اول البلاد الكبيرة في الجزء الشمالي لغربي من المملكة
هنا بيت الحجاج ليلة اوليلتين في الخلاء جوار السيارات الوهمي
الى تبوك معناه الاطمئنان

الرحلة بعد ذلك سهلة وفي أرض مقدسة في تبوك يقوم
المستشفى بدور المجر الصحي فيتم الكشف على الحجاج
القادمين من الشمال، من الشام وتركيا.

في طريقني إلى العمل كل صباح أرى هذا الزحام وأرى النساء
والرجال وقللاً من الاطفال، وقد جلسوا على الأرض حواصير سياراتهم
يفعلون فطورهم في صمت، والسيارات ولاوتوبيسات واقفه تشخص
حامي الطريق

قواعد الحجاج الأتراك هي التي تعقّد عيني في دهلي وعوتي

من اعمس فعراء شبه عراة، حعاة، بيض اللحى، حمر الوجوه، مستور في اغنيهم، على وجوههم صممت وانتظار. إهم محبون دائماً عن السيارات لقد حاءوا مشياً على الأقدام، ومستقرون كذلك حتى يصلو إلى مكة ينامون في الحلاء، يساعدهم أن البرد لم يثبت بعد، وبهم امتعة قليلة ربما لا تريد على أعطية من الصوف الحسن

لم تدهشي أعداد السيارات واللاوتوبسات لدهشي أولئك القادمون من الأقدم وكانوا بعد لم يهراق العصور القديمة التي قرأنا فيها عن الرافل الحجاج القديمة مشياً من المغرب والأندلس، أو عن ظهور الجمال، والخارجة من مصر تحرسها قوات من المماليك لتصد عنها غارات الأعراب كل الحكام المماليك كانت مشكلتهم تأمين طريق الحج من غارات البدو، حتى جاء محمد علي الكبير الذي احتل أرض لاجاز نفسها فأمن الطريق نهائياً كل الحكام انقذوا كانت مشكلتهم تأمين طريق الحج إلا، يا الهي، إسرائيل مشيت على طريق الحج القديم وهي تخطو سبباء من النجوب عام ١٩٦٧ بالضبط كب مشيت على طريق الساحل الشمالي حيث مشي سيدد إبراهيم، ونخلت العريش حيث عرش هو لأول مرة وبالضبط كب اندفعت من الوسط فوق هضبة التيه، حيث شو بنرها يوماً عصا الصدة عن موسى الكليم ولم يضلوا هذه المرة. لقد حفظو الطريق مشيت إسرائيل وبأست على كل الطرق المقدسة أما من لم يحدث لأحد، وقالت الأرض أرضنا تعرفها والانتباه سبباً ولا مخرج يستطيع أن يجبر أحداً منا على الكتب ولا الخروج أنوما إبراهيم كان طمناً كتب لنجوا من قريون بأمراته وأخوها موسى كان طمناً لأنه اقبعه بالفرار اليوم عدنا وها من بنات

إبراهيم يسبحون أمامكم في الماء فمن منكم بقادر على منعهم؟ قد جاء فرعون أخيراً البنا يطلب العفران، ويسعطيه ما أحدا منكم بشرط أن تقره ذلك إبراهيم في أسواقكم، وبك نكتب رجاءاً بعد اليوم

مشرك إسرائيل طريق الحج في سبباء، لكن لا أحد يمشي عليه الآن الحج بالمسافر والطائرات لا أحد يأتي مشياً إلا هؤلاء الأتراك المتعبون لكن الحج هنا صامت صامت لا صوت ليل مرار يشد «يا رايحين للبي العالي»، ولا محمد كحلوي يملأ الفضاء بـ «أجل النبي»، ولا أعلام بيضاء مرهقة فوق السيارات، ولا زغاريد تنطلق، ولا أظن أن الناس هنا تعرف شيئاً عن الحركة الوهابية والتقاليد التي أرستها أحجاج القادمين بسيارات وعلى الأقدام متعبون، مشغولون باستكمال الطريق والتزود بالطعام، ينزلون إلى السوق ويحسسون في البلدة نكن لا نستطيع أن تميزهم، غرباء في بلد مليئة بالغرباء، لا أحد يُحرّم من هذا فلا ترى أحداً يملأ من الإحرام لا يستطيع أن تعرف الحجاج، إلا خارج البلدة، حيث يدور حولها الطريق الشمالي، ويعبرها بسرعة إلى الجنوب ماراً بالسنتشي ثم دحلاً في ارمال، لكن حديث الحج هو حديث الناس هذه الأيام.

دخل أريشد إلى غرفتي، وقال إن أماكستانيين نظموا انفسهم للذهاب إلى الحج. ويريدون أن تدخل لدى عم عبد الله سعطهم عربة نقل كبيرة ابسمت ها هو أريشد يكلمني لقد انتهى تدريسي على لقيادة

وتسلمت أمس سيارة صغيرة نصف نقل قديمة لا تنقل بها، ولم يحضر
أرشد عن جدتي في التدريب اليوم يتحدث في شيء آخر سألته
مستشارون مسيرونه نقر

.. أحل سببكم الرعلاء في حيدرآباد وسيلادل قنادها أنا ورواج.
.. كن هذا صعب لماذا لا تصنّجرون لوبوبيس؟
.. يكلف كثيراً مستر اسماعيل

كنت أعرف أنه بتقسيم سعر زيجار الأوتوبيس لا تكون النكاح
كبيرة، لكن الباكستانيين مديا عمال مظافة أو فنيين بسطاء، ولا بد
أنهم يحرصون على كل قرش
.. هل ستحدث مع مستر عبد الله مستر اسماعيل؟

عاد أرشد يسألني ريلقي باب على وجهه طالت منه أن يجلس
فجلس طالت له شهوة ملربها كنت أريده أن يتحدث كثيراً
وتحدث قال إنه مخرج من معهد عال للفنون، وأنه فنار تشكيل
لديه لوحات صغيرة يرسمها في غرفته في الكامب، لكن لا يطلع أحداً
عليه. وقال لي أن لا أندفش. لقد طلعته أبوه قيادة السيارات وعلمه
ليكناديكا منه صغره أبوه كان سائقاً ولما كان في احتياج إلى
السفر، اضطر إلى استخراج جواز سفر مهنة ميكانيكي حتى
يحصّر سهوة على عقد عمل، لا مجال هنا للفنانين مستر
سماعين. قال وهو يبتسم ثم سألني

.. ألا يحدث ذلك في مصر؟

قال

يحدث

لكن، هضني بم فنتك لم تصدق القصة ولم أشأ الاستعصام

عدا أراه غامضاً فيها وقال أرشد به متزوج وبدنه طفلة جميلة
اسمها زينب، يرسمها دائماً في عهده، وقال إنه من ميساوريه
وملدا يعني بيشاور يا أرشد؟ أليست بلدة مثل سنتر اللدار ؟ لا
مستر اسماعين بيشاور أكثر اللدار مقر كل لعلمين هاس
عمال المظافة تقريباً من بيشاور، بهم لا يقومون بجارنهم
المسوية، يعملون فيها لتحسب لهم أجر مهة عاداً لا يقومون في
بيشاور إلا بعد أربع أو خمس سنوات مع نهاية الختاف قنت
.. لكن هذا صعب جداً

قال

.. أصعب منه أن تذهب إلى بيشاور ثم تعود إلى هنا
وسكنت قليلاً ثم قال فجأة.

.. باكستان بلد منكوب

لم أفهم ماذا يقصد. قال

.. مدياء الحق شرير جداً مستر اسماعين ألا ترى عينيه؟ بن
بوتو أفضل منه

.. هن تعرف بوتو؟

.. أعرف أنه مسجون الآن

.. سيقتلوه مستر اسماعيل بوتو هو الذي صنع ضياء الحق
ضياء الحق انقلب على بوتو مدياء الحق مثل السادات مستر
اسماعيل

أريكني أرشد بحق، واستمر يتحدث بعفوة شديدة ويسألني

.. أنت تكبر السادات أليس كذلك مستر اسماعين؟

بم أريد ضامع مفي الكلام، وراينه يتحدث كطعل بريء بلغية
قال

لقد أحب مستر اسماعيل وأحب أن يكرههم جميعاً أنتي
أعرف الكثير عن مصر عن مظاهرات يناير العام الماضي مظاهرات
العقراء في باكستان محتاج مثلاً لكن العسكريين أغبياء يطلقون
رصاصة على الناس إياهم جميعاً صديداً مستر اسماعيل كل
هؤلاء برؤساء صديداً أفنا بحق تعساء جداً

وسكننا طويلاً ها هو أرشد الصامت يفتح كشلال كيف فتح
لي قلبه، هذا الذي كان يدير شديد الخوف مني لقد نهض واقفاً
يسألني

- هل ستتوسط لدى مستر عبد الله؟

- اطمئن أرشد، وسيرفق.

- اشكرند مستر اسماعيل إلى تحج معاً؟

- لن تحج هذا العام

- يس ستحمي العديد وحيدك مستر اسماعيل.

وتركني وخرج

- إلى تحج مستر اسماعيل؟

- نعم

- إذن ستحمي العديد وحيدك

أدهشي هيبب سوساي ميبيا وهو يقول لي ذلك أيضاً حينتي
ايوم وحد نفسه وجهاً لوجه أمامي، وكان عليه أن يتنظر معي
بعض الوقت لقد انصرف عليه لأمر من أمور عم عبد الله
خاصه، واستقلت أجلس في عرفتة لم تكن ساعة مضت على حذيفة

أرشد معي، وكنت لا زلت أفكر كيف فتح لي قلبه بهذه السهولة، أي
سر وراء اندفاعه في الحديث على ذلك ألقوا أترام كل معدب به أم
شاء أن يعذبني؟ كلمتي على كل حال، وأشاع كلامه في نفسي نوعاً
من البهجة الغامضة. أرشد لا يحشاني، ولا أنا شخص يثير خوف
أحد ستأتي فيليب عن عابد قلت إنه لي أسدة نظر إلى ساعته
متضامناً، وقال

- لقد طلب مني الحضور في الأتاية عشرة

نظرت إلى ساعة الحائط فوجدتها الثانية عشرة وجدت نفسي
أتركه واقفاً بالغرفة، وأخرج أطل على الباحة علني أرى البني وهو
دخل إليها وجدته جالساً في مكانه يدير السرايك في يده رأني
فابتسم ابتسمت وعدت إلى الحجرة جلست خلف المكتب وجلس
فيليب على أحد المقاعد، وشغلنا الصمت للحظات فسألت

- هل يحتاجك عابد لأمر هام؟

- أجب في ضيق

- هو قال ذلك.

تأملت وجهه البارز عظام الوجنتين وجه قوي رغم ما بلغه فيليب
من عمر صار يضع نظارة طبية الآن لم أراه يضعها من قبل، قلت
دور ترتيب

- هل كنت تعرف أن مستر عبد الله سيصلك من الشرطة؟

وأصعب بالأسف مضي وقت على حادث السرقه، وما كان علي
أن أنكره به. يبدو أن رغبتني في معرفة دواعيه كانت أقوى من
قدرتي على الصمت قال
لا

وانتسم وانتسمت وتشجعت سألته

ألا تعرف قلوب هذه البلاد غريب؟

أعرف مستر اسماعيل

إلى كيف عذب ذلك؟

إلى رديو غريب مستر اسماعيل راديو بسيع موجات

لكنه كان سيكلمه الكثير كان يمكن أن تشتتني

ثم إنه الف رحمسة ريوال راديو فخم جداً، أحببت أن

استمع إلى داعة كولومبو هل رأيت من قبل راديو بسيع موجات؟

لا

خلاص

قال ذلك باللغة العربية فجأة، لكنني لا أعرف كيف ركبته

أشبهت، نقلت

أنت تستعد لإشهار إسلامك مستر فيليب والسرة حراء

لاسلام

أعرف لكن ليس في القرآن مصر على عدم سرقة راديو بسيع

موجات،

نظفك أضحك، وانتسم هو ابتسامة واسعة مشوية بالخشبة

الذي لا بد أن سببه له ضحكي حتى أن وجهه الاسمر احمر قليلاً

عبد لأن أن تمجّل بإشهار الاسلام حتى ينسى الناس

حمت

سماعل رب قريباً مستر اسماعيل لكن قل لي، أن نحب

العام؟

فلجأني فيليب، وتوقفت سيارة عائد أمامي في الماحة لم يبر
منها، لكنه أشار إلى فيليب فتوجه نحوه، وركب السيارة معه
وانطلق عائد به دون أن يتكلمني صار علي أن أظل في عرمتي وهذا
أحر.

توقعت حين دخل بديل الغرفة، ووقف ينظر إلي ولا يتكلم لحظة،
أه سيألفني بدونه ما إذا كنت سأحج هذا العام أم لا بدأت
أشعر بالصيق من تكرار السؤال كيف الفرح لمسألة لم يمض
شهران على عملي هنا وفوجئت بعيد الأضحي يقف أمامي الواحد
حين يأتي هنا لا يفكر إلا بالعمل لا يدرك إلا متاعراً أنه في أي
مكان من بلاد الدنيا لا يختلف الزمان، فلعيد الأضحي وقت معلوم
حتى لو كنت في الصين أو اليابان، لكنني حقيقة فوجئت بعيد
الأضحي، وفوجئت أيضاً بمسألة الحج الحج مرتبط في ذهني
بكبار السن من الرجال والنساء أنا لم أر هججاً غير هؤلاء في
مصر والحج في ذهني تسبقه طقوس كثيرة أراه تتكرر كل عام في
الحج الذي أسكن فيه بالامكندرية زينات وذبائح، وأطاف
بممسون أكفهم في الدم، ثم يطبسونها على لحائط الخمسة
وخمسة في عين المسعود، وشباب يرسمون جملاً يركبه شيخ
ويسميه صمعي، ويجمع بعيد ودخل في الطريق، ورجال تأتي تصامح
لنصاج قبل مقفله، وسيارات تحري في اطراف مريضة بالاعلام
والنورود، وشيوخ يقرأ القرآن في سرادقات صغيرة، وولائم للعقد،
لم أفكر لبدأ أن شاماً مثلي يمكن أن يحج في هذه السن المتكره
دهشني أنه هنا يمكن أن تترك سيارة قبل مراسم الحج بميوم و حد

وتذهب لتحج وتعود معه هي المسافة التي لن يفهمها أحد، ولم
أحدث بها أحداً حتى الآن لكن سبيلاً لم يحدث في الحج طبع
وقال لن اسمع اليه جيداً هل

- هيراً

قال

- ليس بخير.

ابتنمت نقد بت حفظ طريقته في الكلام قالت
- ليكن نعم.

قال

- أنت تعرف أنني عاطف

- أرى في صبيحت ديلة

- أنا في حيرة شديدة هل استمر في الحلوية أم أفسخها؟

ولم يتطردأ، ولم يكن لدي رد بالطبع. استمر يتحدث

- أنه انقاضي رتباً ألف ومئتي ريال. يعني ما يساوي مائتين
وأربعين جنيهاً مصرياً أرسل خطبتي مائة ولاسي خمسين وأعيش
بالباقى فلا أوفر شيئاً فقد فتحت خطبتي لنفسها حساباً بنكه
مصر لا، في سبتي بنت بك أجسي أهرمني بذلك منذ أسبوع
وطبعت أن أحول لها ما أرسلت على حسابها، ولا أرسل إليها شيكات
أوحولت لأنك يستغرق وقتاً في صرفه رحام شديد، وكثيراً ما
لا تجد دولارات مالك فيعطونها نقوداً مصرية. يحاولون الدولار
نأسع لرسامي متحمر كثير هي نقول ذلك في الخطاب يصرفون
له الدولارات مثابرة وستير قرشاً، مع أنه في السوق السوداء
ثمانين فصلاً طبعاً عن ما في إرسال الشيكات من مخاطر. موظفو

المريد يفحصون الخطابات ويأخذون الشيكات لأنفسهم موظفو
البريد في مصر فقراء جداً كما تعرف، ولا بد أنك تذكر أشكالهم
ضحكت بساطت

- حتى لو كان الشيك للمستفيد الأول فقط؟

قال

- لا شيء يستعصي على موظفي البريد في مصر.

ضحكت بشدة واستمر هو يتحدث

- أمي أرسلت لي أمس خطاباً تنصح لي أن أكف عن إرسال نقود

لخطبتي لأنها تمنني مع سائق من الحي، من الكيت كات، لا ليس

الكيت كات من سوق الجمال في أمبابه

قلت ضاحكاً

- ليس مهماً أن أعرف المكان، أنا من الاسكندرية بد كنت

نسيت ولا أعرف القاهرة جيداً

سكت قليلاً وقال بهدوء شديد

- لكن ما أملكه عنه ليس بالقاهرة، إنه بالهيزة

انطلقت اضطر من جديد وابتمم هو وقال

- ما رأيك؟

- في أي شيء؟

- أفسخ الحضوية أم لا؟

فكرت قليلاً فقلت أن أحد الأمر جاداً حتى لو كان هو يهرس

قلت

- اسمع عن إرسال نقود لخطبتي واستظر، ستعرف ما إن كانت

بحبك أم لا

سك قليلاً ثم قال

- إذا كنت تحسني سحري جداً على قطعي التقود، وإذا كنت تحب عمري ستتركني هي وليس مر. العقول أن ينتظر الرجل حتى تنزكه مرة

ويجذب الموقف مجرد حفا قلب

- إدس سافر وتحرر الأمر بنفسك

- أنت تفقد أسالة أنا لا أستطيع السعور. سأفعل كالياكستانين وامضي جازتي السوية في العمل أنا محتاج لكل ميم

سكتت وفكرت في هذا المحتاج نكل ملهم كيف يرسل كل مرتبه تقريباً وقال كأنه يحدث نفسه

- لمشكلة أمي احبها بنت اللثيمة إنها تقرأ المجلات والمصحف

وفسلت أنامله وقد شرد عني بدفنه للحظات ثم قال

- من تصبح لي أن أسأل عابد أيضاً

قلت يائساً من الأمر كله

- لا أحد يستطيع أن يفيد أنا لا أفهم ماذا ألتصق بالصنط

لأري الصبح أن تهر ما ترسله لنفسك حتى إذا عدت إلى مصر تحضر عى شقة تنروج فيها هل ستزوج بدون شقة

لكنه عاد مشرد مدته لم يذ أنه استوعب كلامي. ثم قام وهو

يعود

- لأفصل أن أحج ثم أفكر بعد الحج

مر كاد يتقدم حمزه نحو الباب حتى التفت إلي وقال

هل أصبح ان الاسلام يبيع الإنسان أن يحج بغيره؟ لقد

سمعت شيئاً كهذا في التلفزيون

تذكرت حديث رجليه وأجبت

الاسلام يبيع ذلك بشرط أن يحج الشخص نفسه أولاً

قلت الدهشة على وجهه وفي عيبيه رقاب

- طيب إذا كانت أمي مريضة وشبه مشلوله، وأد لا أضمن أن

تعيش عاماً آخر. وأريد أن أحج بها هل أعدم، هل يرفض الله

الحجة لأنني لم أحج لنفسني؟ لا أظن

وخرج وقلبي ينتفض خوفاً من أن يسألني ما إذا كنت سأحج

لم لا لم يسأل ولا سألني أحد آخر لم يتحدث أحد معي بنية

اليوم

٧

— لماذا تسرع هكذا؟ —

— ولماذا أبطىء؟ —

تمسحت وأجاب الدكتور وجيه. دعاسي للضوء سهرة معه في المستشفى قال «غدا الجمعة ونستطيع أن تسهر معي حتى الصباح»

لم أتردد. قلت هذه فرصة أخرى لمفروج من رثابة لإبدع الثابت لحياتنا خرجت مرة في مصحة سعيد إلى السوق، وليلة ساقضها في مصحة وجيه في المستشفى

وجيه يتحدث كثيرا عن مشقة العمل هذه الأيام، الرحام الشديد في المستشفى بسبب موسم الحج، مفاجآت الحجج وحوادث الطريق. أول أمس حدثنا عن بعثة الحجج بدين بجدور أنه من الألام حصصهم للتأكد من خلوصهم من الأمراض المعدية من الكوليرا بالارات. الكوليرا هي معنح، الموسم يكون على الحجاج أن يكشفوا مؤخراتهم لخدم المستشفى الرجال والمرجان واسماء النساء يقوم الخدم بكشط الشرج بملاعق طمية، يتم بسرعة تحليل ما علو بها أول أمس رفض ركاب أوغوييس كاسر أن يكشفوا مؤخراتهم

صعوبة شديدة اصاح الرجال للأمر، لكن حين جاء دور النساء اخرج الجميع الرجال والنساء معاً لم يعد ممكناً الحوار معهم ارتفعت صيحات احتجاجهم، وثافت مداني الكلمات في اللهجة الشامية المعاصرة الزكاه جميعاً سوربون، ويحجور لأول مرة عن طريق السر لقد عادوا بعد أن اقسوا أن لا يأتوا للمح أبداً بعد ذلك إن اجراءات الحجر الصفي معروفة لكن دائماً بفناًجاً بها احتجاج وسألت

- ألا يتم ذلك في بلادهم؟

- حتى لو تم في بلادهم لا نأخذ به لا بد من الفحص هنا.

- ألا توجد طريقة أخرى للكشف عن الكوليرا غير التكتل بالملاعق؟

توجد طبعاً تحليل البراز، لكن أين الوقت الكافي ليحضر لك كل هؤلاء احتجاج عيانت من برهم؟ ليس أمامنا إلا وضعهم في صفوف ثم يدهنون كاشلين مؤخراتهم، ويمر الخدم بالملاعق بكشطها

- إنها مسألة مريكة حقاً

قلت وصحكت ربما يسب هذه الطرائف ذهبت معه اليوم

في الطريق تنهي وجهه بر أن المستشفى صغير مجرد معنى من روبرير به أربعة أقسام صعبة الحراسة والملاحظة والولادة والأطفال، ولا يزيد القسم على عشرين بئر عرفة أربعة أسرة قليل إياهم يسون الآن مستشفى صحماً، لكن العمل أن ينتهي فيه قبل

ثلاث سنوات، وقال إن هناك مستشفى عسكرياً كبيراً بالقاعدة العسكرية اسمه، ويتكرد، مستشفى أمريكي لا يعمل فيه أحد من العرب، وفيه يصل راتب الممرضة الاحشية أصعب راتب أطبيب اصري في أي مستشفى آخر

وصلنا إلى المستشفى، ولاحظت حركة لا تقطع في الساحة الواسعة التي تشغل مساحة كبيرة من الدور الأرضي رجار ونساء داخلون خارجون في صمت وسرعة لم يكن أجوداً بدا الصيف يفسح الطريق بطيئاً للششاء دحنا في نولمبر ستهينا من ذي القعدة ولم يبق على الحج غير أيام ثلاثة.

صعدنا إلى الدور الثاني، وإلى حجرة ليست نظيفة كما ينبغي، احدثني وجيه. جلس هو خلف مكتب خشبي صغير قديم، وجلست أنا إلى جانب المكتب بالغرفة مقعد آخر ودولاب زجاجي به بعض معدات طبية بيضاء منطقة العمل لاحظت أن دهن الجدران متساقط في أكثر من موضع، ورأيت خلف الباب فان بلاستيك كزف منضدة الكشف فوقه ملاءة حائل بياضها

دخلت بمجرد جلوسنا ممرضة قدمها لي باسم عابدة ابتسمت ابتسامة خافتة لم تحف مظاهر الجدبة عن وجهها بدت متحفزة لا أدري لماذا في الحقيقة راعني انساع عينيها اسوداوين وثنلاق بياضهما في عشة ضوء الحجرة قلب نفسي هذا أو وجهه سباني اراء هنا وقالت هي لوجيه إن جميع الحالات على ما يرام سدر والحجاج؟

- لم تصلنا وقود جديدة الليلة يقرون إن لهار كان ميتاً بالعمل

هذا من حسن حظي مع أنني كنت أريد للأستاذ أسماعيل أن

يقترح

نظرت في منقصة وقالت

- وماذا سبى أكثر مما هو في مصر ألم تدخل مستشفى في

مصر؟

سألني، وأجبت على الفور

- دخلت مرة لإجراء عملية ففج

لا أعرف لماذا أجبت بهذه السرعة، لقد رأيتهما تكتم صحتكما

وتسأل وجهي:

- ما لك يا سستو هل قال الرجل شيئاً مضحكاً؟

- أبدأ لكن يبدو صغيراً على الفتى

وبدت مرتبكة جداً راحم وجهها، وأطرفت أنا خجلاً، رسمتها

نقول:

- أسفه أسفه جداً

وانصرفت بسرعة نظراً وجهي إلي، ومعه شفتيه، وقال:

- الرحلة في مصر لا قيمة لها هنا أحياناً يتجاوز راتبها راتب

الطبيب المتبدي

قلت لنفسى ما هو يعود ويتحدث عن النفقة المادية للأشياء،

ودخل من باب رجل متوسط العمر، ووقف صامتاً، وخلفه شرطي

صغير لحجم وقف وجهه بسرعة ودار حول المكتب ليصافح الرجل

بحفاوة

أهلاً يا دكتور أهلاً تفصل

رقدم له انفع الحاي: لكن الشرطي قال في عصب

- لا تطس... هذا انتهم.

وقف وجهه صامتاً، وتاملت أنا الرجل الذي سمع الشرطي من

الجلوس له لحية طويلة لا يعتني بها وفي عصبه انكسار، وملامحه

متسخة غير مهذبة علم وجهه إلى المكتب بسرعة، وأخرج من أحد

أبوابه مطروفاً مغلقاً قدمه له أخذ الرجل بيد مريضة ويم يتكلم

استدار ينصرف، ولم يتربد الشرطي في إمساكه من ذراع والسرعة

به رأيتهما في الطريقة الطويلة الممتدة أمام الباب، الشرطي يسرع

والرجل يسرع جواره بكاد يتعثر، بار لي الرجل من بعيد أصر مما

رأيت داخل الغرفة وجلس وجهه محروفاً وضع رأسه بين كفيه،

وأطرق ناظراً إلى المكتب ظهر باللباس رجل آخر أسود، يرتدي

جلابياً وغترة قديمة ومقالاً معرقاً، وقال

- أرسلتني الممت عابدة يا دكتور.

قال وجهه دون أن يرفع رأسه

- سؤلنا شدياً يا نعمان. معنا صيف عزيز

قلت لنفسى: هذا إذن الخادم أرسلته عابدة تخفف من أثر ما

حدث منها. ولم أنس الرجل الأول الذي دخل مع الشرطي، المصري

الذي يرتدي بدنة قديمة وخاطبه وجهه «بالدكتور»

قلت

- ما المكالمات بالضبط من الذي دخل مع الشرطي؟

تنهد وجهه وقال:

- إنها قصة عويبة هذا طبيب مصري له فم حمض سنوات

منذ عام ارتكب خطأ فظيحاً حضر إليه شد - سعودي ومعه مائة قال

إنها زوجته، وطلب إليه أن يقوم بإجراء عملية، جهض لها لا تعرف

كيف أحسن الدكتور لغريب اسمه هكذا سعيد علي الغريب. كان عليه أن يحتاط الإجهاد مصوغ أصلاً إلا لنوع طبية إن أي طبيب يمكن أن يجادل صميمه ومخالف الأسباب الطبية للاجتهاد لكن هذا لا يحدث. الدكتور سيد الغريب فعلها كتب تقريراً ضرورية لاجتهاد لهذا فعل ذلك لا أحد يعرف لا أظن أن الشباب السعودي أعزاه بالمال. الدكتور سيد قديم هنا ولا بد أنه كسب كثيراً كان يمكن لمسألة أن تمر، لكن الفتاة ماتت أثناء العملية. والأشجع أن الشاب خفي. ويظهر أنه ليس رجبها ولا يمت لها بصلة منذ هذا اليوم ثم تحديد القامة الدكتور سيد الغريب. مع عنه راتبه حتى تفصل المحكمة في أمره المحكمة لم تفصل حتى الآن صابروا ما معه من نقود ووضعه في بيت جعيل جداً تصور البيت الوحيد الذي له حديقة بها نخيل وأشجار ليمون عام كامل مضى وهو من هذا الوضع كل شهر يسمعون له بالعروج مرة مع الشريط ليأتي إلى مستشفى يأخذ ما يساعده به إنما نجعل له كل شهر بعض النقود. نشترك نحن الأطباء المصريين والمرضى في ذلك أهله في مصر لا يرسون له أي شيء منذ وقت الماتة ولولم تساعد سيموت من الجوع

وسكت لحظات ثم قدم فجأة وهو يقول.

- لم أكر أحب لك أن نرى ذلك هذا ما حدث على أي حال سأقوم بحوله مربعة وإحساء معمار بلاشاي فلا ننتظري

ثم بكر من السهل مسلمان شخص مثل الدكتور سيد علي

الغريب. لقد نظر إلى نظرة طويلة في اللحظة الذي شمع فيها وحيه يخرج المظروف من المكتب كأنه كان جيداً لا أراه

أنا في النهاية مصري مثله لم يكن يحب أن يرى مأساته لا بد أنه يعرف أن مأساته شائعة بين الجميع ولكن لا بد أن يأمل أن لا تتسع الدائرة وتنفذ دعسي إلى رؤيته مرة أخرى لا أعرف لماذا وأحسست بضيق شديد، اكتشفت أن بعض قد جاء ووضع كوني في الضاي على المكتب، وأنهما صلتنا جارتين لا يمكن شرب أي منهما، وعاد وحيه إلى الغرفة وحلفه رجالاً من أهل البلدة قال بمجرد دخوله

- ما لك اكتابت هكذا تفكر في الدكتور الغريب؟ لقد تعودنا ونعزبه

لم أرى والتفت هو إلى الدرجين للذين كان أحدهما متوسط العمر بينما كان الثاني جسدًا، محني لظهور، وحاطب متوسط العمر - ما نلشيدة

راعني انساخ جلداهيها وتمزقه في أكثر من موضع، لم يكن على رأس متوسط العمر عترة ولا عقد، وكانت هي رأس لمس غترة قديمة جداً عتدها فوق رأسه بلا عقال، وكان يرتدي سترة قديمة سوداء فوق الجلباب

قال متوسط العمر

- بيشنكي من المدة يا دكتور

أشار وحيه إلى منضمده الكشف خلف اسرافان، فاحتفى الرجلان، وتبعهما وحيه الذي رحت أسمعه يقول. هذا لأرى.

اجابات

- هذه مجرد عيذان قديمة وحدثها في لطريق هم بقدر
بطريقتي وأما أوقر مال الدولة



عاد دعان غطلب إليه وحيه أن يعد د كوبر جديدين من
الشاي وأنا رحت أنظر إلى ساعتني، فوجدتها تلحف د منتصف
الليل، وراودني رغبة في الانصراف اكتشفت انيوم في وحيه جديدا
لم أكن أحب أن أعرفه ثم انني لم أر شيئا طريفا رأيت سجييا
مصريا ورجلي من أهل البلدة أشد فقرا من فقراء بلاد في هذه
البلاد العاز لا أفهمها ولم يكن من اسهل لانصراف فوجه
بتحدث ولا يكف عن الكلام

قال إن ما يحيرد هنا ليس كثرة الحوادث، عهدا شيء وارد في كل
البلاد العربية حيث يفودون السيارات برعوة متقة لكن تحيرد
الحوادث التي لا تنقطع عند بلدة قبيية الواقعة على الطريق
المؤدي الى المدينة المسورة

في كل ليلة يعمل فيها موشج للصباح، بتوقع حدث أو أكثر عند
قلية، ويظل طوي الليل يرهف أذنيه لسمع صوت سيارة لا شعاف
وهي قادمة الى المستشفى الليلة يرجو أن لا ترد من قلعة أي
حادثة وجودي معه يقتل من حجم القن اذي يشعر به نأ حين
مضي الليل وحدهما سالت
- ألا يوجد مستشفى في قلعة
الحاج

وأسمع صوت ارجل المسى واضعاً غير واضح الكلمات مجرد
عميقة غير مفهومة وأسمع وحيه ههنا ما رجال؟ ويورد الصوت
الواهن كأنه مواء معدب ثم ظهر وحيه، وجلس الى المكتب، وتظهر
بعده متوسط العمر قال وحيه

- سأكتب له على حيوب تقويه وتنقيه

- اكتب به على إبر الله يرضى عليك الإتر قدخل في الدم ويتذبه

نظر لي وحيه كأنه يشهدني على هذا التدخل القريب في عمله
ويظهر المسن محباً لا يكاد يلف فأسده متوسط العمر على دراعه
وقال وحيه

- اشيبه لا يتحمل الإبر

- اكتبه - الله يرضى عليك يا دكتور

رد متوسط العمر، فسكت وحيه، وفيه درجا من انكتب، وأخرج
منه بعض عيذان خشبية لاولها له، وقال.

- لا إبر ولا حيوب، حذ هذه يغليها ويشرب ماعا في الصباح
كل يوم

اختطفها متوسط العمر وهو يقول هذه افضل الله يرضى عليك
يا مصري، واستدان بالنسن، وانصرفا على مهل، قلت

- يبدو أنه لا رات لطب العربي سطوته

سكت وحيه قبيلاً وقال

هذه حاد ميسر منها

شعلت

- هل مسموح باستخدام الأعشاب هنا؟

إلى قرية صعبة لاحظ اسمها الذي لا ند أخذته من انقلاب
السيارات بها مستوصف صعب يعمل بالبنهار ولا يتحمل حالات
الحوادث - ونسب - لا شك أنك تذكر الدكتور رافت الذي زارنا
مد أساميع ليرى عد قس عودته
- أذكره بالطبع

- حين جاء هنا لأول مرة تم توزيعه على مستوصف قلبية. هناك
لا يوجد محب ولا محل يبيع القبز استمر رافت يعمل هناك سنة،
رغم كل أسبوع أن يأخذ ما يكفيه من خبر من هنا لا تعرف كيف
نقد الحبز دور أن يدري كان الجو شتاءً بارداً بهرياً وهو
مستكين مصاب بسكر لا يستطيع أن يتحمل الجوع كان معه
خمسون ألف ريال ظل طول الليل ينظر إليها ويتلوى. كان
مستعداً أن يدفع الخمسين ألف ريال لمن يعطيه رغيفاً واحداً. ومن
سوء حظه انقطعت سيرة الاسعاف عن الذهب ثلاثة أيام بعد
ذلك كان يأكل نفسه لقد اكتشف أنه يفسد براعه بالفعل ومن
وصلت سيارة الاسعاف كان هو على مشارف الهلاك ركنها وجاء
إلى هنا، ووقف أمام صاحب المحبر اللبناني يطلب أن يبيع له حبراً
بألف ريال لقد صعد المحبر وقلبه مجزوماً لا أحد يشتري أبداً
بهذا المبلغ، ولكن رافت وقف يصرخ طالباً أن يبيع له الرجل بألف
ريال طيراً بع به لرجل كل الحبر الموجود عنده، ووصفه رافت في
الاسعاف، لكنه في اليوم نفسه لم يعد إلى قالييه صدر قرار بنقله
إلى هنا لقد زرع الحبر علينا وهرقنا نضحك

لكي لم أصحك، ما زالت أشعر بالصيق والزعة في الاتصاف
وبحلت عايده إلى الحجرة، فأنصبت بواحة حفية: كل حلفها رجل

من أهل البلدة. قالت لوجهه وهي تنسج

- عده خراج

كما تجاورها منتصف الليل وقال وجهه مستنكر

- وهل هذا وقت مناسب؟

قالت باسمه

- لقد جاء، محجزة حتى الصباح؟

لكن وجهه خاطب الرجل الصامت

- وبين الأذى؟

مد به الرجل يده اليمنى خراج عجيب ركب على أصبعه
المصيلة قبل النظر مباشرة، نظر وجهه لي ولا استنكار لا يزال من
وجهه وقال للرجل
- ضع يديك فوق - الماصة.

وضمها الرجل على المكتب ورأيت وجه عايده بمقطع رعيده
تكدان تقفزان. تريد أن تتكلم ولا تستطيع. كان وجهه يقترب
بوجهه من يد الرجل، ويده تعذب في أحد ادراج المكتب تخرج شيئاً،
ووقف وجهه فجأة، وأمسك بفراغ الرجل من عند أرسع بيده
اليسرى، وبيده اليمنى التي كانت تعذب في لدرج طعن الرجل
بمشرط في الخراج مباشرة فصرخ الرجل، وسحر الدم والصديد
فوق يده وصرخ وجهه (قط يا مسطر)، وجرت عايده إلى دولاب
تحضر قطعاً، وأنا وقف كم لدعه عقرب وتعاذت إلى الحائط خوفاً
إلى أن اندم والصديد سينفعل إلى وجهي ورأيت الرجل يغص
الدم من وجهه، ويكاد يتهاوى، حتى أن عايده ألعب بلفظ على
المكتب، ووضعت سرعة مقعداً خلفتهاوى باللفظ مره عديداً عن

الوعى ووجهه الذي ترك المشراطاح بيده المسمى يصعق على
صراح بالعص ولا يرب وسع للرجل الذي لحكم القبض عليه.
وعنده تظنر لي وجهه باستنكار شديد، وطلب إليها شاشاً ودهاناً
للحرح ثم راح يصمده مذك يد الرجل مسقط من فوق الكرسي على
الأرض

- شيلوه

قال وهو يخرج من خلف المكتب ويفادر الحجرة كأنه معلن قد
جاء وأخفى يحمل الرجل ويمضي، ورأيت عابدة تمشي خلفه
ولدموع في عينيها

عاد وجهه وأن بعداً واقف ثم اجلس لقد خرج يفصل يديه، وهو
الآن يظهرهما بالسافلون ثم يجفهما بالقطر
- هذا لا تجلس؟

ثم أكن قادراً على الجلوس تذكرت الأفلام الغابات والمكتنضين
لنيس انديس يمشون، في أيديهم سيوف قصيرة يقطعون بها
الأشجار الكثيفة التي تعوق الطريق وعادت عابدة ووثقت بالباب،
وقدت لوجهه

- كسده؟

- هل جري شيء؟

- كان يمكن أن يدخل في صدفة

- هذا محمي يا سمسر

- انت مهتر يا سكتور

- سمسر الرمي حذوف

كانت عيناها لا تزالان تديتين بالدمع، وبسرع وجهها عصب
شديد، وأبصرفت تقدمت أنا أطس من حديد مدهوشاً من تحادن
وجهه أمام عابدة، وخيم عليها الصمت لثغرة ثم هس
- لا يمكن أن أفصح الخراج طاسج نحاول العملات سوف
يفيق ويشكرني وسيتري

ولم أكن مستعداً أن أرى أسعدي الحظ وسمعت صوت سيارة
الاسعاف قادمة من الخارج، وذحلت عابدة بعد لحظات فرهة
تقرل

- حادث فظيع ستة جرحى انقلبت سيارتهم في قلبية.

وجرت من أمامنا وأسرع وجهه خلفها قمت بهدوء ونرت، إلى
الدور الأول وجدت حركة كبيرة من خدم المستشفى حول
الاسعاف حملوا الجرحى، وأسرع خلفهم وجهه وعابدة بعد آخر
من الأطباء الشباب ومن الممرضات ثم أرفع من قبل وقفت وهدى
في ردة المستشفى، انظر إلى سائق الاسعاف الذي لم يقدركماته
وتقدمت منه.

- أنا صديق الدكتور وجهه كنت معه هنا وأريد العودة إلى
البيت

استسلم لي، فرأيت سناً ذهبية تلتمع في مقدمة فمه لخال

- أصعد

صعدت إلى جواره، وأدار محرك الاسعاف شاب صغير من أهل
البلدة، نظيف اللثام، لم يتكلم إلا في منتصف الطريق قد

- للدوران الذي تقع عنده الحوادث في قلبية يستطيع أي سائق

ان يقصعه بسهولة. لذا إذن تحدث الحوادث؟ سحر هذا والله
عظيم

سم ارد ولم يعد إلى الكلام أرشده فقط إلى بيتي



نأذا أنا هنا؟

سؤال صعب يا واضحة أصعب منه ان اراك وجهاً لوجه
وكانني كنت أصرف. من يوم رأيتك تحت الشمس ووسط الضوء
الابيض وثافت نفسي لن أرى جسديك يختلج وأنا أعرف أنني
سأقابلك. سحر كالذي يقلب السيارات في ثلينة كما قال اسبائوك
دو السنة الماضية لكن هل أنا مُسَرَّك؟ لا افكر ان اهدأ من ميسر
للآخر. لماذا إذن تضعك الاقدار في طريقي؟ لأنها بلدة صغيرة؟ لو
كانت القاهرة ما تغير شيء. أنت الثانية أنني رأيت وجهها.. لتي
كلمتها بالأمس فقط رأيت أول وجه نسائي رأيت هابدة اليوم
رأيتك ما الذي جعلني اذهب لأعطيك ادرس؟ كنت نسيت موعدي.
يمضي على الاسبوع أسبوع آخر ليأتي ما أخذت هناك أقلام
الشفير رأيت فتذكرت أنني نسيت. لم أكن نسيت سعيد ذكرني
أكثر من مرة إنك لا تعرفينه أخوك بعينه. وفي كل مرة قلت له اني
أذكر الموعد. ويردني لا اذهب. وأقول سموت بفهم أنني لا أريد ويكف
عني. ولم يكف ولم أت. رأيت هدنة أحبك فأحاطني بشعور
الدمع وجئتك حائفاً

أعرف أنه لا أحد رأى جسديك يختلج عيري أنا وانشمس لا بد

إن اشتمس راته هي لتي كانت تسكب اشعتها على الكون بدوامة
البلبل الحبيب سارى حسدك الآن أمامي هل يختلج لم يختلج
جسدي أما هذه المرة؟



استقبلني خالد بعرج مسلولي غامر فالدني إلى عرفة واسعة
مفرشة بنسب الحمرء الوثيرة، وعلى جوانبها حشايا صفحة
خضراء رايت مكتباً في ركن بعيد وجوه مقعدان، مكتباً صغيراً يبدو
نشأراً في غرفة عربية انصميم، فقلت لا بد أنه أعد للدرس على
حجل لم يسألني خالد عن سبب تأخري عن الموعد الذي ضربته
له، خالد يبدو شخصاً شديد السبل حقاً شغل الوقت بأن راح
يحدثني عن نفسه قال إنه متخرج من كلية التجارة في جدة، وأنه
كان يتمنى لو التحق بجامعة المصرية في القاهرة وقال إن جده
لأمه مصري جاء هنا في الثلاثينات ليحج ولم يعد، وأنه لا يزال
يعيش، وإن العائلة تكتب تحب مصر والمصريين، وقال إنه رخص
استكمال دراسته في أميركا، ذهب عاماً وقطع الدراسة وعاد لم
يتخلص بعد من شعوره بأنه العربي الذي ما كان عليه هكذا فجأة
أن يتنقل من الحياة إلى حرط الاسمت العالية ومضحك، كيف
تعيش في بلاد لا تسمح فيها حكايات أجداده؟ وعضب، وقال إن
أقصر وقت هو الذي يمضي في الحصة المصومة في باحة البيت
الخلفية التي يعيش فيها جده حده لأمه وجده لأبيه جده لأبيه
حارب مع الملك عبد العزيز في العشرينات ولا يزال لا يتكلم إلا عن
ابن سعود وأعماله الاسمورية هذا لما تحدث وصحك خالد كثيراً
وهو يقول إن جده لأبيه لم يكف يوماً عن تلاوة القصة القرية التي

راحت عن ابن سعود، والتي قيل فيها أنه جرح في بطنه جرحاً كبيراً
وشاع بين الجنود قرب وفاته فكانت موته سدحر حتى فاجأ الجميع
بدخوله على روجة حميدة وقال خالد إن حده كان بهل هرجاً وهو
مصور حقون الجنود بعد ذلك فاستنهم الفريد اسدي لا يؤثر فيه
سيف، ولا رصاص بل يبرج ويطنه معروج نكن الجدم صاصد الآن
لا يتكلم منذ زمن طويل وسكت خالد لحظات طويلة ثم قال وأحتي
هي واضحة بنت سليمان بن سبيل، قلت «أعرف» ببساطة
تحدثت قال «اكتفوا بأن لا تذهب إلى المدرسة وتؤدي الامتحانات
من الخارج» وسكتنا طويلاً حتى قال «انت يا استاد سمعير
مصري ولدينا من مصر دم يجري من عروقنا»



دخلت واضحة يسبقها عطر عامر صافحتني بيد صغيرة
ارتعشت في يدي ماداً وقدم خالد كلاً ما سلاخر ما كذا نحتاج إلى
تقديم هكذا فكرت، أخال أبي كما رأيته في الصوة الأبيض الرائق
رائتي رغم أبي لم أر وجهها، ولا كان يمكن أب يرى بوصوح من
خلف مقاب ثقيل وخرج خالد وتوكلنا معاً رأنا في ضية الدهشة، أن
وقشاة وهذا في الغرفة الواسعة الرصبة في لبيت الكبير الصامت
وسط الصحراء المترامية في البلاد شامسة الأرجاء

ولم أعد مهياً للدرس وأحسست أن واضحة أدركت ذلك ثم
أعد منظم العهن، وبدأت الانتهاء بسرعة، ووددت لفرار كنتفت
مصاعها تتحدث عن الصعوبات التي تقابلها في اشعة الانكليزية
ووعيتها يسير كل شيء
قلت فجأة

- كشعبي وجهك

كانت لحظة أحسست فيها بصروزة أن أرى عينيها تستقبلان كلامي ما دعت لا أرى وجهه حبيداً فلا يمكن أن أرى وجهي.
كيف اس يعرف أجدنا لأحرو كيف يتذكرك؟ وكنت أعدد لولا أنها
تمجلت في ثوبية انطاب

فم صغير وأسان مدية وعينار عسلبتان ناعستان وأهداب
طويلة وبشرة خمرة مفاجئة، وقوس الشبر الأسود فوق الجبين
وتحت رباط، رأس الأخضر يدي - بشعر عزيز خله

- ما الذي يضيقك في النفة غير القواعد؟

- القصة طويلة

- كنز ممتعة

- أقرأ معي

- سقراهم ونعيد ترتيب كل شيء، ونضحك كثيراً مما سيقوله
الخادم بأسبار توت وهو يطوف العالم مع سيده المقامر

رشرت فجأة أشم أنفسها لزكية، وعطرها انغامض كثف
وامتشر، وهال اندرس أكثر من ساعتين، وكلما نظرت إليها أرحت
أهدائها، وكلما ناولني الكتاب تلامست أسامها فارتعشت
أهدائها لا بد أنها تم تكن تنصب لي طول الدرس لقد أمنت
أكتد حسناً، وبسألمي

- مصر حمية - أسود

جداً

ونظرتُ إليها وطالت مطرته إلي

- أدن لماذا أنت هنا؟

أريكتني يا واضحة ولم أجد كلاماً أقوله أنا من أذن هناك من
يسعدهم ذلك هراء أنا هنا لأن المصريين جمعاً هذا هراء يست
أنا أحرهم ولا جند المصري أولهم. هراء أنا لم أكن أحسن إلا
بعطرك انغامض قلماً جفنتني أنني أدرس الذي طال وكنت لا
أريد أن أذهب؟ رغم ذلك صرت مطبوهاً سقائك مجتثك في أسبوع التالي
وجفنتني بلا رباط رأس شعرك الأسود بغير مسندل عن ظهر
كبحر عميق بليل مليء بالأسرار «عطر جميل» قلت ولم أكن أجاهلك
فيذا بك تقدمي لي زهاجة عطر

- لي أنا؟

- لخطبتك في مصر

ولم أستطع أن أقول إني غير حاطب ولا مترج كيف لم تدركي
ذلك وحدك ويداي أمامك طول الوقت؟ بك صديرة تلعبين معي بعبء
التميمة والاستاد نكر سؤالك ليس صغيراً، ولا شيء ينقذني لأن
من شعرك الغرير المعري ما سجاهة لكن هل أستطيع؟

- هل مناشي في الحب؟

- لا

قل لا نبي تعودت أن تكون الإشارات في لاعداد ويد حبيتي

هل ستحج؟

- لا

أدن ميمضي العيد وحدت

ولم استطع التراجع وحاصرني الصيق نسيت أنني رأيت في
يومين وجهي جميل وجه تَدَّتْ فيه العينان بالدمع، ووجه وقع
الغبار

٩

لم توقظني أمي اليوم على صوت الراديو ولتهيب والتكبير
وأصوات الأولاد في الشوارع ولا أغنيات «صبح ليلتهجة بالعيد
ليس علي اليوم استقبال اختي المتزوجة وروحها وولديها، ولا اختي
انطلقت وبنيتها وإن تطلب اختي المشكسة لطالبة في الجامعة ن
يفسحوا لها مكاناً لتجلس جزائري وإن يبدو عر أخي الطالب
بالجامعة أيضاً شيء من القلق لكبر حجمه زهد يده لي يأخذ ما
أعطيه له من نفود

أي شخص مكاني الآن قد يبكي من بيت كبير واسع عليه أن
يتناول فيه إفطاره وحيداً في يوم عيد، لكنني رفعت صوت الراديو إلى
آخره وأبسمت

لم أذهب للصلاة منذ سنوات لا أصلي العيد، فمت مبكراً حقاً،
ولكنني شُخِّلْتُ ماعداً الإفطار لهم مسروق وشورية بهيل وقتاً ولا
أحد يحطس حولي

شجار مفاجيء لا نعرف كيف بدأ لقد عاد أبي في الحال من
الصلاة وأوشكت أمي أن تفرغ من أعداد الطهور اسماحر ولا
معرفة سعب الشجار

ارتفعت لأصوات أيضاً في لشعق المحاوره، والتي فوقنا، والتي تحتنا وحتلت أصوات لرجال بأصوات النساء يحيد الأطفال بحوقنا، بك أبي يذرع محقق علي يا أم اسماعيل كل سنة وأب طيبة وسكت لجميع حظ على الدنيا صنعت وارتفعت الصيحات في كل الشفق وفتحت الأبواب للعرج. ماذا كان يحدث ذلك حقاً، لا أعرف حتى الآن لماذا اختفى؟ ربما لأن الأطفال في كل الشفق كبسوا مثلي، وربما لأن الآباء ماتوا، مثل أبي والأمهات مريض مثل أمي كثيراً أو مرن يا الله، هل يمكن أن تموت أمي وأنا هنا ورجعت أكل بشهية عضيمة فخر مبال بما يقدر إلى ذهني من ذكريات، أو الأفكار خبيثة

خرجت لي الشارع لا حاجة لي للسيارة سأمشي وأرى من انبت خالية حق لا أستطيع أن أمشي العيد وحدي في البيت كل الأعياد يسافرون في العيد إلى الشام وأوروبا كل الفقراء يسافرون إلى مصر. أشخاص والأطفال لا يتركوا التلفزيون والفيديو أفراد يهجون. الغرباء من غير المسلمين لا يقدرون بيوتهم يا بهي هل يكون هذا حقيقياً؟ ومشيت

أرض مشرقة بحر بيوت محصنة أقطعها لأصل إلى الشارع العام لا أرى غير بعض عذرات صعبة تتقافرو فوق السيارات امركوه امام أبواب معقة لموت حلقه للتواضع أيضاً وأمشي

باب يفتح فجأة، يخرج معه رجل وامرأة معطاة بالسود، وأطفال يركبون سيارة قارئة واسمع صيحة كلامهم، لا أنهم منها شيئاً، وسحرك السماره على مهل وتحضي وأمشي .

أدخل الشارع العام لا سور اليوم أبواب المحلات كلها موهدة تذكرني بأبواب محلات شارع الكسب في الإسكندرية بالليل أرض الشارع مليئة بالأوراق المنهدم والكراشير القارئة تلصق الرصيفين، وطب الباردة العارفة في كل مكان، وأجود صحن والغذاء بديع، وأقرأ الألفات هنا مهر ساعات، وهذا عصور، وهنا مكتبة، وهنا بقالة، وهنا جواهرجي وهذا شرائط كاسيت وهذا أدوات كهربائية، وهنا بنك الزواجي الذي رأيت فيه منصور غاصباً وأمامه بنك الرياض وحلقه سوق الحظير لطلق اليوم أيضاً الشارع ليس طويلاً كما رأيت من قبل وهذا أند أممي عزميد النور، فأجدها حالي حانة عر ناهية وحده. نذ هي مائتان على الناحيتين ولا داعي لإحصاء الجنب الأهر اكاد أنتهي من الشارع، وتقابلني حرايات ومساحات غير مبنية، وبيوت مهدمة جدرانها، وبيوت يعاد بنائها وأرى قطعاً ضخمة كأنها تعود أن شياء تتجمع في الخزانات حول أشياء لا أراه، لا بد أنها بقايا طعام الشمس تعوي السماء وبعضه يتبع ما أجس الطلاء حين تكتشف وجوده وأنت مبي الزجاج ما انمسه حين لا يكون معك إلا هو في بلد بعيد في يوم عيد ما أنعسي روضاني قد لا يقتلون القسط لقد باركها الرببي هكذا يقولون لكن صيحت لكراب أن تنجو من أحد ما الهني ما هذا الكلب لا يبص السارح في الشارع صرخاً مثل حمار شارد؟ إنه حتى لا يقلعت حوبه في حجم الكلب الذي رائحته من قبل في الصحراء. هذا كلب آخر وربما هو إشاره

في الرمال أسرته احد ما في اليوم تكون الطلح صحراء. إنه يقف
ويظهر لي اذاعه يبدي من بعيد اشير الى القطط حتى يهلجها
لكنه بلغت ويبتعد على مهل وامشي حتى اصل الجامع مع آخر
الشارع فأجده مفتوحاً وجدياً وأمامه محل المحلات مغلق

هل أجوس في طرقات أم درما؟ لا مائدة مفتوحة ولا أبواب
مدلر وأطنة من قديمه أنبهر صحم وسيارات قليلة مبعثرة على
أرض منربة لشوارع ضيقة وأكواخ قمامة لا تعلق حولها ولا كلاب
ورائحة مكتوبة في الفضاء والشمس تضيء معي أين ذهب أهل
المنسى والطرب والحظ ولا المرح لنجوم ولا زينات هيك هيك هيك
ضجكة داعة ممتدة كسكين بركة تمكس أشعة الشمس وصمكة
رجل عريضة قوية بعدد حليلة أم خيل؟ لا أدري لكنني سمعت
رذات رجلاً يمرق جدياً عبر الشارع الذي لمشي فيه الهويما
ويحتفي في رقائق ويمرق بعده رجل آخر تكاد فقرته نزلت من فوق
رأسه، إذ وضع يده فوقها واحتفى بدوره ولا أحد يظهر بعد ذلك ولا
قد يمشي جوارري ولا كتب خطي يا لك! اتقدم أم اتراجع؟ لا خوف
من الصلال فاسطقة كلح تنويها العين، والبلدة كلها يحتويها
النظر إذا سمعت فوق مقعد للحد هلامش

مدن واسم في مدينة مهدمة وكثر البيوت حول المدن تشتعل
فيها حرمو ويطلق من مرفد مدني وحندي يصحو من بين
الفتى يتلح حول في مرع مصوباً سدقيته الى لا شيء أو أي شيء
يمكن أن يظهر بعنة بعشي لحندي بجدح الحرائق المشبعة في
انسيارات والدباب التي هوهوا حثحت محتية الهاعاب، ويصور حول

تفقه كالطون موقعا في كل لحظة عدوا يرى امرأة مصطرة
الوجه امام باب بيت تحرق نوافذه الشمس تسقط على وجهها
الانيس الملعوف بشال اسود مسطع لوجه مهراً خاداً ويتحد
الجسد المشوي في الثوب الاسود أيضاً ونور الكاميرا إلى حدائق
الاسود وريقتي ملاقيها اللامعتر وهي تعود مسرعة تسبح بقات
حذائها عبر الميادين دي البلاط الاسود لمربع الكبر وتدخل في رفاق
صديق قذر

شركات مواقد البيوت في الرقاق امامها غسيل مغلق في حبال
مقطوعة الحدي يتردد لحظة قبل أن يعود متايها المرأة يدخل
الرقاق الصديق غيراها تحتفي في أحد لأبواب فيهرور أرى ريلتي
ساقها يحذاها الاسود وهي تصعد اسلم احديدي بإيقاع
سريع، حتى إذا ما بلغت السطح رايت أنجدي في بئر السلم يتطلع
إلى أعلى فيرى قدمها ويصعد مسرعاً تقطع السطح في سرعة بين
بط ودجاج يقفر فرعاً ويصرخ وتدخل من باب غرفة ويكون هو على
السطح واقفاً يرى الباب وهو يفتق، فيتقدم ببطه ويدفع الباب
ويقفان وجهاً لوجه تشفق خائفة وتترجع ويدف عن لهما وهو يظفر
اليها بعينين مهنين ووجه تحوصه لمية مفرقة ويتقدم تاركاً لبندقة
من يده تسقط على الأرض وتضطرم هي في تراجعها بالسرير
الفضلي دي الاعمدة العالية حلقها ولدموسية لمبصاء الداسيلا
حول الاعمدة من اعلى ويفترق منها تنفس الخيون في معنى
غامض ويمد يده إلى عبقها وتترعرع عبقها ندمع بريح شعر
عن حباب العبق فتعيل برؤسها على يده يهدوه بعد منه لأخرى
يزيح طوق جلستها عن كتفها فيبرر معضاً ورساً ويتسمع طرق
صدرها وترتفع شفتها في نداء موعود وسدل اهداب ويصرح

عائش فوق السطح ويمرّق طائرته تلقي بفسله فوق النخلة فسندفع إلى
أحصار الجدي لسكنى الخشب وفي جبهة القتال البعيدة نطلق
المدفع متدبّعة وأرى اسحدي بعد ذلك فوق السربير مدحى سيجارة
عارياً نصفه الأعلى ويعطي نصفه لأسفل ملاءة بيضاء وهي قائمة
فوق صدره عار ظهرها فوق الملاءة، وعلى كتفها الأيمن حبال صغير
وتعيث بأناملها في شعور صدره، وما زلت أجوس بين الحلال
انصامته لأم درمن، نوافذ موصدة وأبواب مغلقة ولا أحد يجري
أمامي أي سر في هذه المنطقة يكاد يحدّ أهل المغس والغرب في يوم
عيد لا وجه أسود أو أبيض يوحى بي مهل لطرق الأبواب يا للهي
بني أسمع صوتاً يقيني صوتاً كأنه أنني قادم من كهف بعيد
والقدم ويزداد رتاع الصوت وعمقه وتتضح مبررات الأسمى في
ترجيحه إنه صوت أنثى تكاد أرى دمعها يصاحبه عزف عود بك

جعلت لعراف اليمامة حكمة

وعراف نجد إن مما شفياني

فما ترك لي زقي يحرمانها

ولا سقية إلا وقد سقياني

بقالا شفاك الله والله مالكا

بما ضمنت منك الضلوع يدان

وساد صمت وأنا صرت أقف تحت النافذة وعاد الصوت ممرحاً
ببحيب يردد العماء وساد صمت ثم علا الصهب وهذه فوجدت
مفسي أهني ذهبت عن الموت حولي حتى وجدت نفسي قد خرجت
إلى أشمارع لدي يعمل أم درمن والعزيرييه مهاً عن السلمانة
بالنخلة لعمره للعلاء حيث أسكن اسرعة بالعودة إلى العيب وأنا

اشعر أن شيئاً لا أدركه كان معي وسقط مني

استلقيت على السرير وضجكت حيي اختر جسمي عند جنف
هذا فائراً ما جلست في حجرني على مقعد اكتسبت ذلك الآن
صعب أن يكون بالحجرة مربر ويجلس على مقعد قمت واشعلت
التليفزيون ماذا أفعل؟ صورة للخجّاح في «مسي» زحام هائل من
اللون الأبيض بشر وحيام ابتسمت من فكرة أنني قد أرى أحداً
ممن أعرفهم وسط الرحام لا بد أنه قد أدرك بلظنير لأن الصورة
للحجاج يصلون في العلاء سيك لمدة ساعتين ونصف العدة التي
تذهب الاكروبات فوق العاصي لها ساقان طويلتان كل فتيات
السيك لهن سيقان طويلة ساعة مع الغناء الذي لم أنفبه ليه
فيلم أمريكي مثير لبنت لانكستر وصولي لورين راغ غاردر عن
قطار انتشر فيه الوباء ضاع مني اسم الفيلم بدأ ولا أدري
انتموني أعرفهم جيداً فقط ظننت أن غاردر ابيزايث تايبون
كبوت أفا غاردر ولا يزال في وجهها شيء من توحشه الجمين القديم.
لحس الآن بالهواء الراكث القديم في أرقّة حيناً «بالقراش»
بالاسكندرية وبرانة سيمعات الدرجة اشطة حين تك تجري بلا
مثل خلف «الكونتيسة الحافية» أيما غرض وأرى دكمال لغار وهو
يصرخ بنا الكونتيسة الحافية في سيمما «كوكورينا» الكونتيسة
الحافية في سيمما «كليمانترا» الكونتيسة الحافية في سيمما «بير»
في كل أحياء الاسكندرية البعيدة كس يتبع أنا حاردر ويسوق
أمامه مصحك لماذا كنا نقفل ذلك حفاً أحد «المس» كس من سيمما
في وقت مبكر ولم يحدث أن شاهدت «الكونتيسة الحافية» بعد ذلك

ولا أيت شفتي ما عاردمو المكتوبتين ولا قوامها الذي يدعوك لرح
تجوده إلا أيزم لم يعد يدعوك لشيء... مصت عشرون سنة على ذلك
لأباد

ورحب أتعالى على نفسي ثم طهرى منتهى السلام وأطفأت
التليفزيون وكان المساء بعدى الآن في موعد العشاء لمبى من
سهل أن نأكل بعضاً مرتين في يوم واحد لكنه عيد ما بين الحجرة
والمصباح، في المسافة بقصيرة مريحة، المكتوبة أحسست بالبرد
هذه بشائر شتاء قاس رعدت بعصية كبيرة عليها سلطانية سورية
وطبق من اللحم راحر من بفتة كل شيء ساحر وأربع العصيبة
بيصن البخار الى وجهي حتى ادحر العرقه امني جائع بحق.

وسط الاكل أدركت أن السكور حولي أكثر مما ينبغي، سكور
جاثم كأنه شخص أحرس وأعمى بجس معك أشعلت التليفزيون
واقمت اغلق باب سمجرة الذي كان يضيء لي الظلام الكبر في
احصارج ولا في حجرني مصباح كهربائين أشعلت الثاني
أريد ضوءاً باهراً انتهيت من الأكل ورفعت صوت التليفزيون
أكثر، وبجلت تحت بطاء ممدء فوق السرير ورحلت أتابع حلقة
جديدة من «لوجه لأخصي رجل يعرف من الرجل الأحصر ميمون
نفسه إلى رجل أحصر آخر رجل أحصر شديد الإحصار
ويستخدم قوته في شرب فيكون على الرجل الأحصر الأول، الأصلي،
لعدم مسكن له أصابه خطأ كمة من الإشعاع وهو يُحري
تجاره يكون عنه أن مهر الرجل الثمر شديت الإحصار ويلاها
من معركة رهبة بين سنان يصصر فيها الرجل الأحصر الأصلي
لحم على القاند لشرب لكن المصباح يد بهرمان. ونصعب

مطعم تراب ناعم في قمي، ثار الحج في الحارح بر ويسل انعد
من تحت باب الحجرة ومن شيش النافذة ماء أعل؟ ليس عني لا
الانظار لا استطع ان افتح باباً ولا شباكاً سكر كيف بهتر
المصاحل حقاً؟ ورأيت رجاسة الكولومبا لموصوعة فوق
التليفزيون باردة أمام عيني هذا بشريون الكولومبا، ويقفون بلبس
مكثري تحت أعمدة النور ثم أكن مستعد بالخروج مرة أخرى
ثقل الطعام على جسمي، وشديت النوم من ساقني.



انتهى اليوم الاول بمهارة وليله كان لابد أن ينتهي أعرف
ذلك وخرجت في ضحى اليوم التالي أمشي أريد أن أرى البسدة وهي
تعود الى الحياة شيئاً فشيئاً

وجدت محلاً لنقله قريباً من البيت فتح أبوابه ولا أحد يشترى
ولا أحد يقف فيه ليبيع صاحبه يسكن في بيت خف اجل لابد
أنه سيخرج من بيته بعد قليل أرجأت شرائي للسجائر حتى
عودتي، ومشيت حتى وصلت الى المخبز اللبناني بأوى العريزية،
ونظرت إلى وجه صاحبه الأحمر، أرجأت شرائي للسجائر حتى عودتي
ومشيت خذرس باليقين أنني لن أرى في بلدة أكثر مما رأيت لكني
مشيت.. قلت لنفس مع نفسي أمس جمعت في شوارع العريزية وأم
درعاً أنعم اشحرف يسار الشارع العظم في اتجاه الإمارة لا أدرك
هنا بين حي وحي في شيء إلا الاسم السموت متشابهة قصيرة
ببصاء وصقراء لها أبواب حديدية، والعمارات منها لا ترتفع عن
ثلاثة أدوار. نكن هذا أصبح أن أمشي في مكان لم أمش فيه يا
إلهي! هذه الطريق تصل الى بيت واسعة القرد من الإمارة لا

يمكن ان اقصد ذلك لأمش كيما اتفق لاختلق لدنسي شعباً أفكر فيه وأشرب عن الطريق، عاداً أحتسني قديمي لأوصحة أطرق الباب وأسأل عن حاله أقسه لأقول له - معركه العبد - كما يقولون هنا. ولا بد أن وأصحة ستأتي حقور لي ذلك أيضاً إذا لم تأخذني قديمي أو وأصحة أعود فكرت في شيء اشغل فيه ذهني فلم أحد. ربعا لاني فكرت في ذلك لكن لحقيقة لدهلسي فانا اشعر براسي خاوياً يصرف فيه الهواء كما نرعوا من تحت عظام الجمجمة كل شيء ورحت أزيد بصوت حفيظ، جعلت لعرف اليمامة حكمة وسمعت صوت المرأة يأتي راعاً من بعيد يخاطله التشجيع

- لماذا تقف؟ قيم تنظر؟

سألني الشرطي انوقف امام الباب ارتبكت انني أفقد حق تطلع الى البيت. بيت صغير له حديقة نخيل وشجر ليمون وعلى بابيه قلب جسدي صغير السن يحمل يدقية. وفي شرفة صغيرة بالدور لأرضي يجلس الدكتور سيد الغريب بلحيته الطويلة الموهشة ينظر إلي بتركيز شديد كالان ينظر إلى الآخر منذ لحظات إذن

- آسف لا اقصد شيئاً

قلبت لجسدي ومشيت وجدت نفسي أسرج الحطاي عائداً الى البيت لم اشتر حبراً ولا سجانز في عربتي لدي ما يكفي على أي حال

في معرفة وجدت انليفريرو مشتغلاً أنا الذي أشعلته. ولما لم

لجد الإرسال قد بدأ تركته يعيش وخرجت ها هو بيت برسمجاً عر ميلاريات متلي مانش عريب صوت هذا اديع بي يتابع اسديت الالمانية بلغة عريمة فصصى هذا شي لم أتعوده من قبل وكان عني أن أكل مما أكل منه ليس لم أتعول مضاري حتى لأر لمد خرجت اليوم حقاً فقط لكي أرى البيت الموقوف فيه سيد اغريب كي اصطدم به في طريقي وأرى نظره الي وكأنها لعجري كالدي يتكلم ويتذكر في أن. ماذا حقاً يفعلون به ذلك؟ ماذا لا يحاكمونه وينهون المسألة؟ لا يمكن أن تتأخر اجراءات المحكمة كل هذا الوقت. هذا في المحكمة قاص شيع لا بحثج إلا أن شهيد. لا محامي ولا نيابة ولا مرافعة ولا عريضة اتهم لا بد أن مسألة الغريب طواها المسيان لو أن أحداً ما. أي أحد، ثول بفت ابتداء الإمارة لانتهت مسألة الغريب على أي نحو كن لا يلعب ذلك أحد حتى الآن هل الملك أنا؟ وأنشفت بعدد الصدم. كنت ونمت وصحوت اسمع صوت طرقات بالباب سأفتح لأجد امرأة تطلب شربة ماء وتنهالت ساقطة فأسندتها فوق دراعي واحمى اي غراشي فلا تعيق من عشيها إلا بالليل وبالليل لي تخرج ولي لأصبح تكون قد ألقت اللقاء محي وهب هواء أرعش الباب الحديدي بالخارج وأخذت ادعك عيسى وأمنه إلى الصرقات هي الباب لفقت وضدت الحجر. ثم اسدع انشمت ومشيت نحو مهبل لا يمكن أن تطرق الباب امرأة وأمام الباب توقفت قليلاً مدداً بركار لعديق مرارة يحق؟ لن أسمع لها بالدحول منحت الباب فرائه بحر محور حموق الثياب وعلى رأسه عذرة قديمة وعقال حاس سواده ويعد لي مدد يا إلهي! شحاذ هنا في المملكة العريمة السعودية ويدق الأبواب أصماً بلبصرا! سهل لك قلت لم يتحول انه حافي

انقدمين ايضاً . بـ يتكلم معكم بما لا افهمه. لحسن الطويلة هي
اسي تحركت صاعدة فائقة وظل ماداً يده عذب إلى الحجرة
مسرعاً وأحصرت عشرة مالات ماوتة ثيابها متخفا ومشى في الرهبة
توهفت سلام واسع حوري لكن القمر يعترّب هومي من الاكتمال
ويكفي على اسديب بقليل من اجهاء سحلبا في الليل ولا ادري
والتيغريون يديع اذن تعرب لم اناول غدائي ولست بجانيح
وجبة وحدة تكفي اليوم ورحبت انصت لدعاء انشجي بعد الاذان

قد رسد لله صلي انه عليه وسلم من مات في هذا الطريق
جائياً أو ذاهباً، بقية الله تعالى يوم القيامة ولم يحاسبه وأدخله
الجنة وقال: من حج هذا البيت أو اعتمر فلم يوفث ولم يفسق كان
كما ولدته أمه وقال من حج رقبتي دين قصي الله دينه وقال سعيد
ابن المسيب: كنت جالساً عند الخبر المنير فسمعت قائلًا ولم أر
شخصاً: اللهم إني أسالك عملاً براءً، ورزقاً داراً، وعيشاً قاراً،
اللهم لا تجعل بيني وبينك أهدأ سواك، اللهم إن كان رزقي في
اسماء فبزله وإن كان في الأرض فيسره، وإن كان قليلاً فمكّمه،
وإن كان يسيراً فكثّره أعوذ بالله من القنوع والفخوع والهموع،
اللهم اجعلني أفقر ضلّك البند وأعاهم بك، اللهم أحمل لي رزقاً
واسعاً، واجعني به قانعاً

احسن دعاء اسنيه عن كل دعاء ليس لوحدي ولا لاني لم أحج
، كُرمي دُني كان كثير الدعاء بعد الصلاة سبع سنوات مضت
عن موته الآن ولولا قطعة أرض صغيرة كان يحتفظ بها ما أكملت

العامين الآخرين في في الجامعة ترك ما بكفي إلى اليوم الذي تاسع
فيه رسالته هو . كأنه قد رسم لي كل شيء . كيف لم احتفظ بصورة
واحدة لاني . وكيف اني نسيت وجهه

قمت فجأة وتناولت من الدولاب كراسة استخدمها في كتابة
الرسائل وكتبت

السيد / ناظر مدرسة طاهر بك الاعدادية بالورديين
بالاسكندرية

السرا بعد التحية

انا اسماعيل خضر موسى مدرس اللغة الانكليزية في مدرستكم
الغراء . سافرت الى السعودية بجواز سفر تم سنطراجه هي اساس
بطاقة شخصية مزورة لم اثبت فيها وظيفتي كمدرس حتى لا
تتمعني الوزارة وعليكم ان تعقبوا ايام انطلاقي جرة بدون
مقرب حتى اعود بعد عام .

ومرقت الورقة . وكتبت .

السيد / ناظر مدرسة طاهر بك الاعدادية
رجاء حفظ مكسلي في العمل سأعود بأسرع ما يمكن .

ومرقت الورقة وكتبت .

السيد / ناظر المدرسة

لي اعود ولن ابقي هنا . سأفخر

ومرقت الورقة أيضاً . وفكرت من فوق الممرير وسط العربة
واحد اثنين ثلاثة اربعة واحد الاربعة للكثير اثنين
الاربعة جانباً ومع ثلاثة اسفل خضر واحد اثنين ثلاثة هذا

اسباب النعير بت معي في العرفة رغم البرد وانكشف فوق ساك
 اصباحي من اصدده" سستشر ولا يخرج هذه الروزنامة
 المتعلقة بالحائط لا بد من تعريقها نوفمبر بعد شهرين يبدأ عام
 جديد وبعد اثني عشر شهراً ينتهي لن اضع روبرنامة في العرفة
 في العام القادم هذه وصفتها فاروق لقد جهر في الغرفة تجهيزاً
 كاملاً أين فاروق لأن؟ لم يعد ولم يرسل رسالة هلا علق انكليزيون
 وافتح الراديو بداعة صوت مصر العربية تحييك من بغداد يعد
 أيام تلح الذكرى اسبوعية للريادة اسيانية للرئيس المصري انور
 السادات إلى القدس اليوم بدأت دورة الخليج لكرة القدم بالقوف
 دقيقة حد دأ تقرب هذه الواقعة احيائية ما هذا الرئيس المصري
 بالافكار العربية. واحد اثني ثلاثة واقفز في الهواء وفتحت باب
 غرفة لاسكب مستطيل الضوء المنبعث منها على الردهة وامتد
 طويلاً على الارض ورايت البدر في اسماء يمشك على الاكتمال لقد
 رايته منذ قليل حين دق الشهاد الباب لم يتحرك من مكانه كثيراً
 الوقت لا يمر من لأب لن يمر بسرعة. ان اهل إلى اليوم الرابع
 للعيد لا هالكاً. اهلاً بك ايها البدر ايها الملك. هاتذا اقف في البرد
 احبيك وحدي في هد الببت الفارغ في هذا الحي الساكن في هذه
 ابداً سائمة في وسط الصحراء. هلازلت وجلست معي قليلاً ايها
 الملك العظيم؟ لا امرأة تكلمني واقلول إن وجهها كالقمر أو
 اني رأيته على وجهها هل تعرف من قال بانك ملك؟ من المحتر
 الشاعر حليلة كان رديء الاسعاره والتشعنه. ما راي اذكر.
 ربما قتله حصومه بعد أن حصوه يا انهي؟ إنه لعروة بن حرام
 صاحب لايب التي سمعتها صباح امس من المرأة الباكية ذلك
 لذي شهب شهب ما فيها. والذي لم يدركه اين الحصاب فلم

يجمع بينه وبين غراء ايها البدر الملك أين ستمام في انصباح
 وحتى؟ اريد ايضاً أن اقام وبطلت الحجرة واعلقت باب التمسر
 الغاء. واحد اثني ثلاثة ما هذا الصوت الصادر من المطبخ؟
 حوشة متتابعة وانقطاع قليل إنه هار هار هار هار ادرك ان
 سعيدة الذي تحصن في صيده في مكة الآن بالصمصاكة أدرك
 الكب الأبيض الصخم خلو البلدة فنزلها ورايته أمس يا بلعاز
 انذكي! ويا لسعيد ومصيده الجيارة! لا يستخدم مصيدة مالوفة
 ابتدع طريقة وحشية مقرزة الفئران دائماً نذهب إلى المطبخ وصنع
 لوعاً من الحشيش تحت حوص المطبخ بحيث يصنع مع الجدار
 زاوية حادة عند الركن يطارد سعيد الفار حتى يدخله في الزاوية
 العادة ويصطد بقدمه على اللوح الخشبي لينفجر الفأر بين اللوح
 والجدار. ويحمله سعيد في ورقة يلقي به إلى الشارع من اعين
 الباب كل يوم يقتل فأراً عند اسبوعين تواف اختفت الفئران وقال
 إنها أصبحت بقدوم الشتاء فلم تعد تخرج من جحره. عد الفأر
 كان يتكأ في مكان ما فلم يذهب إلى جحره سائرته حتى يزول
 بعده ولا غلق الراديو واشغل التليفزيون الآن. طرقات خفيفة فوق
 الباب الحديدية للبيت انني اسمعها جيداً. لا يمكن أن يكون
 شامداً آخر. لقد أدن لسلالة العشاء وما هو المايح يتلوه شيئاً. من
 يأتي في هذا الوقت؟ من يمرضني هنا لم يحج؟
 -منصور-

فتحت بعد أن فتحت الباب. كان يتشم وأنا لا استطيع أن أعود
 عيني عن خصيتي القرد الزرقاوين فوق كتفه.

احترقت وجوه الباكستانيين بهدوا أكثر حركة ومرحاً بعد
 عودتهم من الحج سالت أرشد الذي دخل مكتبه ووقف لا يتكلم
 - هل كان الجو هاراً إلى هذا الحد؟
 - كان برداً مستر اسماعيل نعم في العراق وسالنا في عربة
 مكشوفة

وعاد إلى دهموله كانت الساعة حواري الساعة ونصف قد لي
 هيبق

- ما هي حكاية مستر عابد معنا مستر اسماعيل؟
 - هل حدث شيء جديد؟

- أمس مساء بعد عودتنا تحدث لي ميرانية الكامي هذا
 الأسبوع. لقد عاد من الحج أكثر بطلاً.
 - مدهرة أرشد أنت تعرف أمي لا أستطيع التدخل بينكما

- أعرف مستر اسماعيل لكن لا بد أن يساعدنا أحد من
 أتحدث مع مستر عبد الله؟

لا

نظر إلى طويلاً ثم اتصرف دون تعليق لقد أدركت هجاء من

عابداً لا يفعل إلا ما يُرصى عم عند الله فكيف بعد انصراف ارشد
فكرت من جاء جداً لنقول لك لا بد أنه كان يوم الحدث معي في
شيء حر عاد ارشد من إلى تروده معي في الكلام

هي دخل بين يحمل القهوة كان يتقسم اقسامه كبره وصبح
البحر امامي، وقال
- لم أرك في العيد
- كيف ترسي رأيت في الحج؟
- أن لم أرح
- تسعت عيادي وابشمت لا بد أنه يمزح قال.

- عدت من منتصف الطريق ، من ثلثي الطريق حقيقة من
الاشياء التي ضابقتني في العيد امي لا اعرف بيتك لو كنت اعرفه
كنت زرتك وامضيت ابرقت معك من الوقت كثيراً علي وحدي هذا
مررت في ابله أكثر من مرة، ورجعت امشي في شوارعها علي
استخدمت في طريقني حائلي لحظ لم أجد إلا كلباً شارداً
- هو صحيح أنك لم تحج

صحت واقسم أنه لم يحج فعلاً ثم عدل في يكتم صمكات
قال

سُف باسمدي وصلنا في ميار عمي، ثم اعاد مبار علي قرب
ككة ومنها يند، إبحرهم بها ليست مدسة ولا قرصة نقطة على
طريق بها ماء وجامع صغير هناك القديا جماعة من المصريين
أو يسفلون أرتوبيسا كثيراً كلنا عليها جمعاً أن نيبب الليله

هناك وكل بيتهم شاب مجنون لا تعرف عاقل لا تعرف، مصيبة
والسلام كان هو الإمام الذي يصي بهم ويحصب فيهم ويحدثهم
عن الماسك طبعاً اتضعت أنا وعاد اليهم يستمع إلى صاحب
الذي راح يحدثنا عن الواجبات بعد إبحر لا تقطع شجرة ولا
زروعاً ولا تطوق دفتك ولا تقصر اذعرك، وطبعاً لا تسوق ولا روث ولا
قتل لأي حيوان ولو قمته حتى لو خرج عليك أسد لا تقتله إلا إذا
هاجمك، هكذا قال طبعاً معه الحق لأنه لو خرج عني أسد من أقتله،
سيفتلني - وصحكتنا بشدة وعاد ببيل يتحدث - بالنيل رأيت ذنباً
ذنباً حقيقياً يقف قريباً منا كانت النساء نائمات في الأوتوبيس
والرجال نائمون على الأرض، أنا وحدي كنت سهران ليتني كنت
نائماً. ضمت وانظرت أن ينصرف الدب فلم ينصرف
- طبعاً هاجمت الدب؟

طافته ساحراً وضاحكاً، سكنت قليلاً وقال

- أنت لن تصدق لكن عابداً يمكن أن يؤكد كلامي تبوك كلها
تعرف القصة، كيف لم تصل اليك؟
سكت الحقيقة لم يتحدث أحد امامي شيء كهذا تحدث
سميد ووجهه عن اشياء كثيرة طويفة وشاقة حدثت في ابرهة إلا
هكاية الدب هذه واستطرد ببيل

- أمسكت بحجرتي فحدثت به الدب أنا في دراعي وعزق لحياتي
كنت في مصر اذبح الحمار من «الكيب كات» عبر النيل ويصل
للزمالك، ما علينا أصاب الحجر من الدب فعزى وجرى بولم
يعو لما نبيه أحد استيقظ الرجال واستيقضت بعض النساء
واستيقظ صاحبنا ومناكي هل سمعت صوت الدب فحكيت له

القصة عبي أمي لمي فعلت ذلك. تقدم صلحيتا الى قطعة الحجر التي اشرب له على حكايتها فوجد فيها آثار دم فقال لي إن إحرامي مسد وعليّ أر احرم من حديد كيف تفك الاحرام جنوبي ومحرم من حديد هن هناك أحب من ذلك أنا مُحرم وعليّ أر أفك الاحرام من حديد قال لي إنها مسألة سهلة كل الناس قالوا ذلك أيضاً وأنا وجدتها غير معمولة في الصباح الياكر أخذوا طوبقهم إلى مكة، وأنا وجدت تريلا قادمة من جدة تحمل سيارات إلى تبوك فركبتها هل تصدق أنني وإن اضغ قدمي فيها انصصت بحطتي وكنت أعوذ وأبغ ما ليس لي، لكنني كنت إن هذه التريلا جاءت في الوقت الذي أراد الله لي ربف أراد الله أن يهيني من شيء خطير كان سيحدث لي في الحج، من يدري؟

أطلت النظر في عيبه لم يكن طوال الكلام عن الابتسام. قال

- ما أعرف أنك تر تصدقني أبداً تماماً كما لم يصدقني صاحبها حين قلت له إن الدُوب كان سيهاجمني قال كان عليّ أن أنتظر حتى يفعل ذلك، قبل ذلك ربما كان يمشي عائداً لا يشر بوجهي كأنه كان من الممكن أن أقاوم الدُوب إذا انتظرت وهجمني.

قلت

- إذن أنت لم تحج لأمه؟

ومع وقار

لهي مرة لا أستحق

وأمصرف وتزكري أضحك بقوة لم يبهها غير محول سيارة عم

عبد الله مسرعة في الناحية تثير روعة من الراب

دخل عابد الى غرقتي مصطرباً وقال

- خذ ملف آرون بوميكر ولذهب به الى عم عبد له

وجلس خلف المكتب المجاور للخدمة، تحدث أما وسأوبت صف

آرون من الدواليب

سألته

- ما الحكاية؟

- عم عبد الله ميبغبرك

دخلت غرفة عم عبد الله، فوجدته قد استلقى عن الحوتيل

الطويل وقد طح العقال والفترة وبدأ يبالغ استعاس لا بد أنه لم

يتم الليلة الماضية. رايت صلبته لأور مرة ثم يكن في رأسه الا

قليل من الشعر فوق لذهه نظر لي دون أن يغير من وضعه وقال

- مو ترمينيشن لأورون. غداً بالكر يكون لي تايلاند

ارتبكك لماذا هذا الفصل المفاجيء لأورون؟

- لماذا لا تتحرك؟ أنه الاجراءات ثم احضر الحلب عندي

ضاع الكلام مني، واستطرد هو

- اعرف أن آرون مدين للشركة بثلاثة أشهر من راتبه، وأعرف

أنك وافقت له على القرض رُخ من أمامي

كانت هذه أول مرة يتحدث فيها بنفسه إليّ أنا لحقيقة لم

أوافق لأورون على شيء، لقد توسط فقط عند عند عنده عدد من

ويكتب هذا أول اللعب القبيح لكن هل أستطيع أر أقول لعم عند

المه شمساً إنه مديرو حال غير مستعد لتصميم وقته في معرفة
الحقائق ويرى أول ما يسمعه هو الحقيقة دائماً

دخلت عروفتي بطر إلى عماء مبتسماً بوجه حامد. بدا مستعداً
لنرد على أي كلام أقوله فيه لتكلم خرج إثر عروفته وجلست انتهى
أجراً ت فصل آرون كانت هناك استمارة يجب أن أملأها حتى
يبدأ جاء وقمهم وكان علي الاتصال بالجوازات لإرسال المفقوب-
الذي سيأخذ الجواز ويضع عليه تأشيرة الخروج بلا عودة، والذي
سيجهر تذكرة السفر.

جلست أفعل ذلك رجاء رايت منصور يدخل بسيارته الكابريسي
الفاخرة وجواره آرون

- سریت له ترمينيشن؟

سألني منصور وهو يدخل إثر الفرفة وحلفه آرون كنت أصطك
من قوله «ترمينيشن» عم عبد الله بحرف الانكليزية جيداً من عمله
السابق في الدمام، كيف ذكر يعرفها منصور؟ ربما لأنها
مصطلحات تتردد كثيراً اسمه قلت وأما مندهش من عدم وجود
اسمها معه

- آسوبة الأري

كان هو قد جالس إلى المكتب المتحاور للحلقة ويجلس آرون على
أحد المقاعد الجلدية، مصرح فيه منصور

- لا تجلس

قالها بالعربية وفهمها آرون ربما من إشارة يد منصور، وجههم
وجه ثم وقف يتنقسم لي في ارتباك شديد، وسألني منصور
- ماذا تأخرت؟

حملت فيه الحظائ ولم أريد

- هيا، بسرعة

هتف وقام ناركاً المكتب وخرج، قلم بعطسي فرصة للانفجار فيه
أشرت لآرون أن يجلس وسألته
- ماذا حدث؟

- ضيظوا عذري خمراً

هذه ثاني مرة يتحدث فيها عن الخمر

- هل كنت تصنع الخمر بحق؟

أجل مستر اسماعيل، مستر عبد الله يعرف إنني أعطيه منها
ارتبكت للحظة، واستمر هو يتحدث

- كان كل شيء يمضي بهدوء، في أجازة العيد كنت تقريباً وحدي
في المكتب قمت بتحصير كمية كبيرة، كان مستر عبد الله في عائلته
لقد حضر أمس فقط أول أمس عند الدكتور استاينور، إنهم جميعاً
يعرفون ولكن واحداً منهم قل أن لا أفعل ذلك مرة أخرى قال إنه
بعد الحج لن يسمح بوجود خمر في المكتب لم أهتم أسمع الشرطة
إنه خفي

- للأسف يا آرون لن تعود للمملكة مرة أخرى

- أعرف مستر اسماعيل سأذهب إلى إيران لقد عملت هناك
عدد سنوات.

لكن في بيران معدهرات صحفة الآن. انفجارات والشام يضرب
لدى ساطانات
تسم وقال
- أعرف مستر اسماعيل

لا جدري من الكلام سوف يُرحل آرون وإن شاء كما سيصاني
قدمت له نموذج إنهاء الخدمة ليوقع عليه وقت
- سأرسل لك الجواز والتذكرة في الكامب سأحجز لك بعد يومين
لقد برزفسد

- أشكرك مستر اسماعيل هل هناك مشكلة بخصوص القرض؟
لا
- أشكرك مستر اسماعيل بنني لن انساك أبداً انت مصري
طبيب
ابتسمت وقت

- لهم ان تشتري بيتاً في بلنكوك
وقل وقال
- سأشتريه مستر اسماعيل ، سأشتريه. لا بد

ورفعت أصابعه فشد غل يدي يديه وخرج مسرعاً يهرول بدا
لي من قصره كهجر يتسرع

- سعاد مع اليوم
فأحاسي منصور الذي عاد إلى مكتبي بعد انصراف آرون
- رأيتك تدخن مسدوك الكابوس.

- عطلت

تألمته بحدة بعد أن جلس إلى المكتب لتدور بلحارة وقلب
- اسمع يا منصور لقد طلعت معي شيئاً ووجدت أن أحبك في
الوقت المناسب فلا تطاردي
سكت قليلاً وقال
أخلى أن تظفني انه أمر بسيط جداً لا يحتاج كل هذا
الانتظار

حين حضر منصور إلى بيتي ثاني أيام اعيد فأنجاني بأنه يريد
أن يعرف متى سيتزوج سعيد من حبيبته ود أرعشي انه
يعرف سعيد وأخطبته وكنت أنظر إليه وهو يجلس مؤدباً حجولاً في
الفرقة وأرى الكحل في عينيه. علمت بعد ذلك أن لرجال هذا غالباً
يتكلمون في الأعياد سنة عن الرسوس كان شكله غريباً جداً وكانت
هذه أول مرة أرى رجلاً يتكلم. وقال وأنا لا أستطيع ابعاد عيني
عن عينيه

- حتى لا ترتبك أخي اسماعيل أقول لك إني أعرف ود د هند
ثلاثة أعوام. أمها مدرسة في المدرسة متوسطة وأهني تنميدة
عندها كانت تأتي إلى الفصل ومعها أمي نشمري لقمش رب
ملك محلاً كبيراً في الشارع العام خذ عكرت من أتروجه وذهب
وأبي وأمي كما تعلمون في مصر أتر منها وحطبتها بكن أمي
رفضت قالت إنها محطوة ولم تكن محطوة أخي سماعيل
رفضت أمها بشده ورفضت المائة ألف ريال مهراً رفضني أخي

سماعيل وأبا اعرف أن للسعوديين يهزلون مصر في كل وقت
يتروجون فقد حطبت لسعيد معد ذلك وصدمتني صدمة كبيرة

كان وهو ينكم يندو محروماً نحو ولم اعرف كيف أهون عليه
أعدوب له شدة ثلاث مرات وفي كل مرة يشربه ويبدأ أنه ان يتوك
البيت كل ذلك والفرد فوق كتفه ينظر إليّ. قلت

- ريب كانت علاقتها بسعيد قديمة

- لا

- كيف تعرف؟

- أنا اعرف

- إذن .

ولم يدعني اكمل قال

- لقد فصلت عن المصري السعوديون أخي سماعيل
يتروجون من مصر كل يوم بسهولة.

ضايقي هذه المرة كيف أشرح له؟ لا ريجة مما يحدث حفيظة
للسائلة لا تزيد على غرام سعودي بللجم المصري. أو ففر عد
لمصريين الذين لا يغالون في المنور كما هو الحال في المملكة
وما دخلي أن في هذه المشكلة؟

- أنت تعيش مع سعيد. أريد أن اعرف منك موعد زواجهما

تذكرت نظرت بعاصفة لي يوم رانا في البنك. ومعاملته الحشنه
عند معي ماد يفيد أن يعرف موعد زواجهما حقاً. راونتي شيء
مر احواف شخص مثل منصور يفوشديد التقيد قلب
- أنا رعم عيشي مع سعيد لا أتحدث معه في أي شأن خاص

- تكلم واعرف

قال محمدم ووقف ليصرف. لم أتم تلك السيلة إلا بعد اصباح
ساعدي ذلك حقاً أن أمام منار اليوم الثالث طلعب ان افتر يوم من
ايام الصمت. إلا اني حين جاء سعيد في اليوم الرابع. لم ستعه
ان أسمع بقصي عن التطلع إلى وجهه بين حين وآخر وحشيت ان
يفطر سعيد إلى تطلعي إليه. ويسألني عن هذه الحالة اندجته إلا
في سعيداً لم يفطر لشيء. وإنما استطعت بعد يومين أن اكف عن
ذلك. الآن يأتي منصور طالباً اجابة سريعة على سؤاله. إذن لا بد
أن أكذب قلت

- لو قلت لك متى يكون زواجهما هل تقول لي ماد يفيد؟
- لن يفيدني شيئاً. أنا فقط أريد أن اعرف مجرة معرفة لا أكثر
ولا أقل

- بعد عامين يا منصور

ورأيت ينظر إليّ بسعادة مفاجئة.

- أصادق أنت أخي 'سماعيل'؟

- صادق جداً

- حيوك لك يا طويل العمر

وقام يصافطني ضاحكاً فرحاً كطلل وجد بعنته اضائعة وقال
- الكبريس ليست معطلة لن أعود معك

- كيف انكسرت سيارتك؟

سألت مندر الذي جاء ليلحق بي قبل أن أعود لدحه
سأرتني

سيارة ملعوبة موبيل ١٩٧١ سَقَطَتْ بها في حفرة سحبتها
الوش ورميتها عند أرشد
قال ذلك وهو يصعد السيارة وبعد أن جلس استنظر

- طول النهار تعالى يا منذر. روح يا منذر، كهرياء يا منذر
ميكانيكيا يا منذر مباء مقطوعة عن الحبش يا منذر اسمعت ناقص
يا منذر طيب يصوري سيارة قوية. ياكر سأحصل واحدة جديدة
العمل بلا منذر يتقلب ومنذر لا يعمل بلا سيارة

رحت أضحك وأراقب الطريق واستمتع بالهواء البارد قليلاً
الداخل إلي من نافذة السيارة المفتوحة فجأة تذكرت أنني لم أر
أيمني العجوز اليوم. هر حقاً لم أره أم لم أنظر ناحيته؟ لا بد أنني
لم أنظر ناحيته. أربكني منصور إرباكاً شديداً

- ما رأيك بمنصور يا منذر؟

سألته ولم أرتب للسؤال

- منصور! قلت لك من قبل إنه محبب. مجنون

- اهرب لكن ماذا تفعل بالخيبة؟

ضحك ضحكة طويلة وقال

- تريد القصة كلها؟

- كلها.

- سمع منصور من عائلة كسيرة لديها شحارة واسمة في
الشوارع لعدم ترك شحارة أبيه وجاء يعمل سائقاً عند عبد الله
البحر هذا حمواً

لكن عبد الله لا يستحبه كثيراً

عبد الله معروف عائنه

- اهدأ كل شيء؟

- منصور مجنون بمدرسة مصرية يريد أن يتزوجها منصور
بالمصريات. ليست هذه أول مصرية ترفضه

- هذا غريب حقاً

عاد يضحك ضحكة طويلة وقال

- أنت تعرف كل شيء يا أخ سماعين. تريد فقط أن تستوثق.

قلت محوّلًا الموضوع

- إلى أين وصلت مع جارتك الحساء؟

- الله يستر عليك لا تذكرني صارت صديقة لزوجتي زوجتي

صغيرة بلهاء

ضحكت واستمر هو يتحدث

- أراها يا استاذ فكأنني رأيت الحرب.

- لا بد أنها جميلة بحق

- أقول لك حرب يا استاذ كمبي مصوب لندر

وهجأة كشف لي صدره

- انظر صاع شبي الایمز من حريق قاذفة نزلت من امامي،

وانظر هذا للهور في ريلة ساهي وهذه ذرعي بها عشر فرر

واستمر يكشف لي أماكن كشعة مصادة من جسده، وأنا لا

استطيع أن أتبع إلا قليلاً فصياعي على الطريق

- أنا من عائلة قداوية يا أخ اسماعيل

لم أدر بما أعلق صمغتنا قليلاً ثم قال

- اعذروني إن كنت أزعجتك أما لا أعرف بالصنط ما فعل المره

السابقة لم أكر طبعاً معك، لكني والله أحب المصري جداً. أنا فقط
أكره السودات هل نطومني؟
كان صوته يتهدج بما يشبه النكاه وهو يتكلم وجدت نفسي
أقول

- وأب مثلك أكرهه يا مندر

- الله يستر عليك يا استاذ

وأشعر سيجارة لي ولنفسه ثم قال بصوت خفيض

- لا تخبر أحداً بما رأيت من جسمي يعرفون أسى كنت قد أثبتاً

يرهبوني يا أستاذ

- معقول؟

- جداً.

- يعيدونك إلى الأردن؟

- هل تظن أن فلسطين؟

11

لا نطوميني يا واضحة لقد تسكنني شعور انجليزي من لندن

في طريقي إلى بيت واضحة فكرت بأن أمضي معها اليوم أطول
وقت ممكن لكني رأيتها. البيت الجميل ذا الحديقة ذات النخيل
وشجر الليمون، على بابها جدي شرس، وفي شرفته جلس سيد
الغريب ملتأاً بهطالية رأى سيارتي ورأني فوقف ولم ألق ضاقت
نفسي رغم اتساع الدنيا حولي. لا أحد يستطيع إبلاغ الأمير بأن
الشبح نعى مصالحة الطبيب المصري لم يسجعه ولم يطلق
مراحه شركة ليحف مع الوقت انترهن قست لرجيه. لا يمكن أن
تثنى المحكمة قضية كهده. الأمر مقصود. قال لكل لانس
تصرف انه سييس هذا ممكن جداً فكرت أذهب للإمارة وأطلب
مقابلة الأمير وطلعت صحاة إلى أنه قد مضى عام وانفريه «موقوف»
ولم يعكر في تلك الحده، وأصانمي شجر شديد سم أذهب

رأيت البيت اليوم وقررت أن أهرب من الدرس وريد أهرب
أصلاً من الدرس الجديد لأن صاحب البيت الذي يسكنه صاحب

أين الواجب؟

قلت حاسماً فقدمت لي الكرسي بيد مرتعشة لا بد أن وجهي
تجههم. ولم أشأ الفطر إلى وجهها الذي لا مد ظلت خيبة الرجاء سم
تعرف أنني غصصت البصر حتى لا اتحاس أمام دعوة شعبيها
الموتحشقين

- استأذ هل من الضروري أن يُكتب الاسم قبل العنوان؟

- لا أظن أن ساعي البريد يعيد رسالة كتب فيها العنوان قبل
الاسم. لكن هكذا تقتضي تقاليد كتابة الرسائل بلغة أجنبية
- لا أعرف لماذا أفكر لو تصل الرسائل دون كتابة الأسماء
- يمكن طبعاً لو كنت رقم صندوق البريد

لم أفهم إلا متأسخراً ماذا تلصد رأيها تتجههم حية رجاء
أحري. أدركت مقدار عبائي، ومقدار عداها ونظرت إلى الباب
المفتوح لرايته، الشيخ الهرم فوق العربة المتحركة
- جدي

هتفت وقامت بسرعة إليه من الذي دفع به إلى الباب وتركه هكذا
موت كلام؟ ماذا كان يمكن أن يحدث لو لم أنظر وأره؟

ودخلت به تدفعه أمامها، وأنا أقام كم هر ضئيل لا يزيد حجمه
على حجم طفل. ثوباً أن بشرته سوداء مبيطة بالفضون ورايت يديه
مرتجيتين فوق العطارية التي تعطي ساقيه وحلد عظامهما يشع
عن عظام منضاء، وعروق ررقاء عاتمة مفتحة
- هذا جدي المصري. حلقه حدثك عنه أراد أن يراك

قالت ذلك وهي تتحرك بعيداً جوار الحائط، وأن اجاهد أن أعرف

سبيور الثقفي الذي حين قادني به وجيه لم أصدق أنه تنميد. قال
وجهه إلى الميريس لصالح قد يفتح لي الباب للتبريس لغيره،
قيعيسي ذلك عن كسب أكثر ما يمكن في زمن قليل، ووافقت، واليوم
موعداً لنبدأ ولكن بعد أن أنهى من القوس الواضحة التي أمسك
ببسي أكثر من مرة متكبساً بانتظار موعد الذهاب إليها

على اليوم أن أشرح لها درساً عن هيلي كيار عن الإرادة
الإنسانية، ول يوم أشعر بالخوف أكثر من كل وقت أفكر كيف كان
يخامرني شعور منذ رأيته فوق عربة الشرطة بأسي سائقها، وكيف
أنني سأكون حاتمة القصة. أخاف عليها ممي وأخاف منها علي. أنا
رجل أغلقت شطآن لبحيرة من زمن، فكيف أسافر كل هذه الأميال
لألقي فيها بالحصى؟ وحد فينا ماقول لا أريد أن أموت ولا أن
يكون لي في كل بلد حسيئة هل أقول لواضحة ذلك؟ هل تفهمه؟ هل
يليد؟ لتستمر قصتي إذن إلى غايته الموسومة، لكنني رايت البيت
انجمل والدكتور الغريب فحاصرني الضجر وفكرت أن أعود

استقبلتني وضحة فتحت لي الباب الخارجي وأسمت
الطريق، فدخلت منكس الرأس إلى الغرفة الواسعة، وقلبي يتدحرج
أمام قدمي حين لي أني أرورها بالليل ولا أهد في الدنيا غيرة،
لكمني ظلت حاصراً رأسي حتى لا أرى وجهها السافر، ولا شعورها
الذي يدعوني لأحسي رأسي فيه

صعبره وصحة كالعصفور، وتحلل من القصاص عصاة كثيراً.
ويكن لا بد أن أرفع رجلي إليها

بور عبيد، اطلبى بطل هذه عني وأطل بعيني عليهما فصاوان أم
حصروا، اضمحج لوبهما لا أستطيع التحديد صقيرون
مدفونتان هذا ما يبدو مؤكداً
- هذا هو الأستاذ المصري

هتعت واحدة لجدها، ورأيتهم أول مرة ترى شيئاً جدياً
يبتسم، مبهج كظفر وايد وهفت لي
- تكلم فجدي أعمى

لم اتكلم قمت واتجهت إليه أمسكت بيده أرفعها أصابعها
وتركتها فسلطت علي حجره

كيف إذن أعود أو الدرس؟ دواته بالفياء الذي سبقه في الطريق
صهر من أجل بيت الذي يسجده الجبن والنسيان، وانهاه حصرو
هذا الجهد من الذي دفع به إلى الباب حقاً، لماذا لا أرى في هذا
لبيت أحداً غير حالك وواحدة؟

- من ضايقتك اليوم؟

- لا

- إن لم، تريد الانصراف؟

- سأعود معك أدرس الحصة القادمة

رأيتك تكاد تنكي وظلت مدحداً في عيني لا تعلم لي يدوت
أن أودحون انكس وحدها في صدري

هر حطيتك بيسر محير؟

لمرة اثنية تذكر حصتي ما حاجتنا الى كل هذه القلوب
اليوم؟

كما نوس أنا لا حلت ولا متزوج

قللت يدي أمامها وانصرفت مبرعاً كتب أعرف انه تنكي في
صمت خلعي، لكن ماذا أفعل؟ تنلكني شعور اساحي من لمر لا
مد أيضاً أن أحد طريقاً آخر لا يمر باليب لدي سوطه الدليل
والليعون والسيل

- يا علا يا استاد،

هتف صالح وهر يستقبلي بحفاوة بيت صالح لا يحتلف عن
بيت واحدة بناء من دورين حوله ردهة تدور مع بلا أشجار

قادني الى قاعة طويلة مطروشة بالموكيت الأخضر وتورع عن
جوانبها الحشايا بجمال لا مكتب هنا ولا مقاعد جدران تليفزيون
كبير يتصدر القاعة، وتحت على احدهم الرجاء جهر فيديو،
وجوارهما مائدة صغيرة فوقها مجموعة من شرائط الفيديو
بالقفل، في الماحة الاخرى من المدة، يجلس أربعة شرس بم
يتجاوزوا العشرين مثل صالح وفهر بمجرد دحولي وصافحوني
متشعبي، وجلسوا من جديد يظفرون إلى بعضهم، ويضعفون بلا
صوت

- أصعابي، لا داعي لعرفتكم

قال صالح متسماً ولنا بعد لم احلس تسمت بهد نصحكوا
وصفقوا في وقت واحد كأنطفال

- لا مدعش يا استاد، يأتون هذا بأكلون ويضر نوس ويشهدون
الانقلام

أدركت أن الجو لا يجني بلمكانة التدريس فجعلت صامتاً
فوجدت به يسألني

- تعمي بدي عملاً يا أستاذ؟
- أحرص

صنفوا من جديد واب لا أعرف كيف وافقت هكذا، لكنني وجدت
لو شربت حمراً أيضاً

قدم واحد منهم وأحضر عدداً من الأفلام، وخرج صانع ليعيد لنا
الشاي بنفسه هكذا قال

- فاستلنا عناوين الأفلام يا أستاذ
قال الذي يحضرها وهو يقدمها لي وقال آخر
- لأستاذ يترجم لنا

صحبوا وصنفوا طرماً وضعت الأفلام أمامي فوق الأرض
والتفوا هم حولي، وتناولتها واحداً فواحداً

- هذا «راعي بقر منتصف الليل»
- هذا معروف

- هذا «كلام من قش»
- هذا مختار فكّر رأيتاه كثيراً

- هذا «موت في فيسبيا»
- ها هذا فيه الصبي الصغير

- وهذا «الحارث»

صحبوا

هذا منه الرجل الذي يبول

سكنت اللحظات وألوا معظم الأفلام فعمداً يريدون أن أترجمها
لهم؟ رأيت أيضاً هذه الأفلام في سينمات الاسكندرية ورأيت
«الخادم» منذ حوالي عشر سنوات ولا أذكر ما به، كان فيه شخص
يسبوا أم لا كنت أحب ديزوك بوحافد أرى في وجهه، انشأ مسجحة
حزن عميق، وكنت قرأت عن هنريوك بيسر كاجيد كتاب، المسرح
الطليقي في انكلترا، ورأيت اسمه في الأفيش ككاتب لفيلم يا
الهي! كان هذا أيام كنت أفرا عصى وقت صوبير عن ذلك حقاً.
قال واحد آخر وأحضر طية الأفلام ووضعها أمامي فوق
الأرض.

- هذا «موبي ديك»
- هذا عن الصوت لا يقرأ.

وادوا فرحتي بالفيلم الذي لم أشاهده وكنت أحب لو رأيته لم
أفرا «موبي ديك» أبداً وإن كنت قرأت عن تعدة هرمان ميلفيل
لصبت دانماً أن أقرأها ولم أقابها في مكتبة ليكن ما معنى أن
تثير في نفسي «كوازن الشجن» ما القراءة التي سلطت بين قدمي
وخلفتها وزايتي في زحمة الأعباء التي قدرف لي أسي أحسن تقديم؟
وما الكتابة لو كنت كتبت؟ لا معنى لأي شيء نسبيته لا يضيع منك
حقاً إلا ما ليس لك رغبة فيه

- هذا «قصة حب»

- هذا «أشمل»

- طيب هذا «العودة إلى الوطن»

أمسكه أحدهم من يدي، وضح عصبه فأقضي التساع، وقال

- يبقى هذا «هذا» وحل مشلول بالخص.

صحبوا وزجره أحدهم

- يش سفي هذا! انتظر حتى يفسر لنا الأستاذ بقية الاقلام.

هوجئت لأول ينكمش ويسكت يعقد ذراعه امام صدره، ويرجع قدميه كتلميذ صغير في كتاب لاحظت ان جلجانه مسخ، وقدميه كبيرتان بهما شر صغيرة ذهبية لها رؤوس بيضاء، ورثيته يجلق في عبيس وسعتين يزيد من اتساعهما شحوبه وصالة وجهه احسست بسحافة الامر كله لو حل صالح وانقضي ويحل صالح يحمل فيلمى ويقوى

- هذا، رسالة، يا استاذ، ينبغي تراه، إنه ممنوع في البلاد لعربية

ولي لحظة متي كدت به، وافق رغم الجهامة التي بدت على وجوههم استنظر، صالح

لا تؤخدي يا استاذ، بوي «الرسالة» فيما بعد، غالب يريد ان يرى هذا الفيلم لا أستطيع ان اكون طلباً لغالب

كان يشير الى لثاب دي انشور في قديمه، فصفقوا كلهم وصحكوا، ولغز غالب وأمسك بالفيلم من صالح، ووضع في جهاز الفيديو، وضبط التليفزيون ثم جلس، وبالروموت كومترون أدار الفيديو

خرج صالح من جسيده، ولم يعطيني فرصة الانصراف، وأنا لم اطلب ذلك لم بعد الدشاي الا في منتصف الفيلم وسع انصبة تكبيره القصبة وعليه ابريق الشاي والكائنات لعلنا على الأرض لم بشر ولا فكر واحد فيما ان يعلا الكائنات الصغيرة

لقد بدأ الفيلم بموسيقى ناعسة، ثم صهرت نغم من الانوار حضراء وحمراء وصفراء وزرقاء، وصارت تشكل في خطوط طائره وتقاطع وتنقائل في بقاعات شاعرية حوحيه بأحسار معدنه تتعاب بعد طول عناء، ثم حفت الموسيقى شئنا فشيئاً، وتلاشت الالوان وظهور ساقا رجل مصمومتان يدخلان تكاد على مهر من حبه اليسار ويهتكت الامر كله لا يسر سيب، جسدي يسوء المعاماة وعناية الاستقبال ويظهر عمود الرجل مننصباً ضحماً ثابتاً لا يهتز، ومن بعيد اقبلت المرأة عارية تتضح ملامحها كلما ردت قرباً، ووقعت أمام عمود الرجل، وبطرت اليد وضحكت ضحكة فاجرة، وانصتت تضع همها حول العمود

هل اكذب هاقول اني لم اكن بحاجة الى رؤية ذلك يوم عن الآخر؟ أنا لم اشعر بأي خطأ اخلاقي، في النهاية ان تأري هذه البلاد، ولا بهمني ما يقوله صالح عن اندرس الذي لم يطلب تهينة الجواللتديرس، وراح يتلرج على اهلام مبعوعة الذي حيرني طول الفيلم، كان غائب الفاتح د ثماً فمه في دهشة، واندي لا يسي يوقف حركة الفيلم بالروموت الذي رفض ان يتدخل هذه الاحداث كان يوقف الفيلم كلما ظهر عضو امرأة لا اكذب أيضاً إذ قلت إنه سيب لي كثيراً من الثقرر لكي انتظرت إلى النهاية للثلاث سماعات كاملة لم يفه احدنا بكلمة، ثم اقترجم لهم شيئاً ولا هم طس

لا أعرف في أي لحظة من الفيلم اصبحت وركنت وادي النيل من التلال الى المحر الأنصر - بيوك بؤس وشعشع تسطع على لشريط الأخضر انصيق في الجيوب فتتفتح زهور العول النساء بطول

العين، وشمس تسبح على الجبال فيصحو رجال ناعوا جوار الزنايق
 ويقفون كأنهم رايات وشمس تسقط على المعابد القديمة فيضجك
 رجه رمسيس في أقصى الجنوب وتعلق للكباش من معابد الأقصر
 تنعو ويجري تسطح بعد قيد طويل وشمس تسطح فوق الدلتا
 منجور الأنهار ويصحو الأطقال يسحبونها حفاة إلى المزارع
 الحصر، ورجال هموا يغتسلون في رضا ويصلون ثم يعشرون
 والغويس على اكتافهم أو يركبون العمير وشمس تسطح فوق
 القاهرة يخرج لرجال والطلاب عز رؤوسهم طرابيش حمراء
 يصيحون في أشوارع ويمطون المصالح ويطلق البوابس عليهم
 الرصاص وفي شرفة عالية يقف المندوب الساسي البريطاني يتعرج
 والببيب لا يفارق شفقيه ثم شمس تسقط فوق الاسكندرية حانية
 ويصعد هرة اليهر إلى الهر محملاً برائحة اليد وردة خفي يبحث
 عن ضلوع تنتشي فلا يجد إلا سدود الأجانب الذين احتلوا شمالها
 وتركوا جنوب الضيق المكتوم لأهلها وللغرباء جاءوا من الزيف
 خلف سراب المدن، ثم رأيت وادي النيل يكمش فيقترب جموده من
 شماله ويمينه من يساره ويصبع كله غرفة أو ردهة بيت صغيرة
 مليئة بأثاث قديم وناس مقعبي من رجال وساء وأطفال قليلين
 يصحو من بينهم رعد عند العجر في العقد الرابع يرتدي جلباباً
 قديماً يأخذ محلاة بها عيش قليل وملح ويصع قدميه في حذاء
 مهترى، ريشلر حارحاً في هدوء وضباب فوق الدنيا وكل شيء ميلل
 بالنوى ريمشي لا يرى أحداً ولا أحد يراه ويوحده يشو الصباب
 الكثيف عارماً طريقه ميركب القطار وسزل يعبر قنائه ويقف ذاهلاً أمام
 اسرع الصحراء ويتسأل هل ستمشي فوق كل الرمال؟ ويجيب
 سأمشي ويمشي فوق أرض سياء ينام الليل ويتابع المسح بالدهار

وكما أهدق به الموت عطشاً تعجرت له لأرض سيب، وكلم أهدق
 به الموت جوعاً أنزل الله عليه مائدة من السماء حتى أحر أرض
 فلسطين فرأى أهلها معلقين في المشايق يصربهم الانكليز من الأمام
 واليهود من الخلف ولا زال عليه أن يلبي انداء انعمص لأرض
 الحجاز فيعبر الدهر ويمشي في وادي الأردن دلاً حتى يدخل بيد
 نبوك موكلاً على الله فلا زاد من ماء أو طعام فيرى صيب الحالية
 «وتيماء» الضربة «وتوبوك» المدونة ويواصل فيرى قليلة للعزة
 ويواصل حتى يصل إلى المدينة فيجلس عن باب مسجد الرسول
 ببهج الحبوب للداخلين فتصير له بعد ذلك تجارة ويصير له حواف
 بالبلاد حتى رأى تبوك مرة أخرى فدخلها وفيه باع لامرأة مشي
 وراءها حتى خيمة أهلها فاطعموه فقال ما أطيب طعامكم وأهنا
 عيشكم كيف أسلوبكم وأنا غريب يمضي في البلاد أجيروسي فأجاروه
 وصابت المرأة زوجته أنجبت بنتاً أنجبت واضحة بنت سليمان بن
 سبيل فصار جدماً وصارت حفيدة

يا الهي ' ما اقرب المص رغم اتساع البلاد وما اقرب البلاد رغم
 اتساع الأرض



دخل منصور اى مكتبي في الصباح والقرود فوق كتفه وقال:
- استعد للذهاب الى المدينة

ابتسمت كلما كلمني منصور اجاوب ان اتكلف لابتسام قلت
- خيراً؟
- قال

- ستذهب الى مؤسسة الضمان الاجتماعي سنحضر نماذج
للتأمين على العمال. نظام جديد اظن ان بديكم مثله في مصر

اندهشت من تدخله الدقيق لي عمي، ونسيت ان عم عبد الله
كثيراً ما يعطيه هذه القرصنة. قلت مبسماً

- هل انت مديرنا الجديد يا منصور؟
جلس الى المكتب القريب من الخاؤنة وقال
- اريد ان اعطيك هذا القرود

انطلقت ضاحكاً. لم اعد احشى جانحه بد وقد هدأت نفسه منذ
أخبرته بالوعد الكاذب لرواج سعيد من واد
- لكفي لا أحب القرود.

ليس لك لتحملة إلى ابن عمي بالمدينة يريد واحداً من عمار
وأنا من أسافر إلى عمار الآن

نصرت إلى الفرد هو حدة ينظر إلى كيف يمكن أن تحمل الفرد
معى حقاً هل يصح للفرد يركوب الطائرة؟

- هو صدقتي يا أخي اسماعيل. أنا فقط أروح معك

تدبست برتياح صت

- لكنني والله كنت مستعداً

- تسلم يا أخي اسماعيل.

قال ذلك واسرق ينظر في صمت إلى المكتب، وإن لا أدري ما الذي
حدث لي أحسست برغبة شديدة في البكاء تنفراً من سذاجة
ورداة هـ لانس الطيب الذي لا أعرف ماذا يريد بالصبي

ساعة ونصف استاعة وصلنا الطائرة صغيرة لعبت بها
لطابت انهنوية كثيراً في مطار صغير يشبه مطار بنوك نزلنا لا
مشاكل في الاستقبال نحن قادمين من الداخل رأيت عدداً كثيراً
من الرجال يجلسون على الأرض في أحد أركان صالة الوصول
زجاجة احذر، وهو به يفعد من رجال الشرطة حليط من
المصريين والأسيريين كان الحائسون متزاحمين لا نستطيع ان
نحسبهم، مقبري لثياب والوجوه هيهام حفاة وحرمت

نصاء واسع وسماه عاليه وناحة عريضة مسفلانة تقف فيها
سبيرتة الأجرة والحاصه نصف ساعة من الحمار إلى المدينة
هكذا علمت دوفعت أن يتقدم معي ساتي لكن لا أحد تقدم

الحزجوي مثلي من انظار يتجهون إلى الصنار في صعب، وقد
الرجل الجالس على المقعد الحاور لمقد السائق شير ناحيتي
انظر حولي فلا أجد أحداً يقصصني أنا ادو، ماذا يريد؟ هتف
- أركب بسرعة قبل أن يأتي السائق.

لم نعلم لكنني دخلت العربة في المقعد لجنوبي وظهر سائق
وفتح بابيه ودخل وهو يقول

- جاء لحوك؟

- أجل

تلفت الرجل في وانقسم، ولم ينتفت السائق الذي قد
يا صلا

وأدار محرك السيارة وأد في غاية الحيرة

- أخرك يعمل في المنكة؟

- أخي واس عمي أيضاً، تركنا عويناء هناك في مصر

صحك السائق الصغير

- والله زين ما سويتم .

واستمر يضحك والسيارة تحركت طلعة لك عن السور،
قال السائق والتفت إلى لا نأاحدي يا أخي، ورايت وجهه
عجوراً ليس ادو شاماً صغيراً كما تصريت وفكرت أن أقصر شيء
لي هو الصمت الرجز الذي عاصي مصري ولا احسن أنه يؤذي

الطريق طويل صيق يقطع حوالاً سمراء وحمراء عادية مسدحة
الارتفاعات حوالاً صحرية لامعة، على سفوحها أحاد يد حادة من
آثار انظار بعدة الزمان، وعلى الأرض المسطحة بينها دحراً -
قديمة تنفت دحناً شققاً خفيفاً كأنها مؤهتت براكبي صغره جامدة

ممد يصر جنوباً، ولا رجال حولي ولا كئاش لا أعرف لماذا تذكرت
الكلب الأبيض الصمخ مثل الحمار الشارد الذي رأيته في طريق
نوبت ويسمعت هذا لاند أنيم مغنون الكلاب في المن والصحرى
معاً، والتفت، في الرجل وقال

- هذه جبال مركابية تشبه جبال الصحراء الشرقية عندما

م ارد في حجة ن معرفه اسمه حتى أحاط به، لكني رأيته وجهه
جيداً بد لي شخصاً عربياً لا يمكن التنبؤ بشيء وراءه، وبدأ لي
مسكياً أيضاً فقميصه متسخ البياقة، والبرار الأعلى فيه مقطوع
وللوفر الذي يرتديه قديم لكن وجهه أبيض مشرب حمرة خفيفة
وشعره أبيض كله وعينه صفيرتان دابلتان من التعب واستمر
يتحدث محاطاً بالسائق

- جبال مكة رجدة كانت متصلة بالجبال عندما في مصر في
الصحراء الشرقية وفي جزء منها

- سامحي يا استاك والله أنا ما شفت مصر، شفت تركيا..

قال السائق ذلك بخج حقيقي والتفت الرجل الي مبتسماً وقال

- المنطقة الغربية كلها من المملكة كانت متصلة بالصحراء
الشرقية لمصرية بعد فصل بين المملكة ومصر الحدود الأفريقي
العظيم في العصور السبعية كما تعلم

يهاشمي باعتناري شخصاً متعلماً يريد أن يشعري بأنه
شخص مثقف ولا يجب أن أحشى خذبه، بدأت أطمئن اليه

أحدث المديني مظهر ميوتها الواطئة معها عمارات كثيرة عالية

ورأيت منى المسند النوي والقبه الحمراء شمع في العشاء، وقار
الرجل

- المدينة جميلة هوائها عليل وأهلها طيبون إنهم لا يصار

امتسم السائق وقال

- آله يرمى عليك يا أستاذ

ولم يختلف ما رأيته في الضوايح عند رأيته في شوك الشوارع
هنا أنظف قليلاً وأوسع والأسويدي أكثر لمدينة اكبر

توقف السائق أمام الحرم النبوي رهام من بداخلين
والحارجر في سرعة وصمت، ورحم هو لبعة بجواز السنين
على الأرض أمام الحرم يبيعون الفمخ للذين يقفون به للحمام
هذا حمام سابع فوق الحرم وتحت أسماء لا يصنعه أحد ولا
يأكله أحد ورملا وسيفني الرجل ودفع سائق عشرين ريالاً، وقال
بعد أن مضت السيارة

- تستطيع أن تدفع لي عشرة ريالات أعطيت سائق الأجرة
المقررة.

- أستطيع أن أعطيك العشرين ريالاً

- أريد فقط الريالات العشرة الانسل هنا قد يحتاج لكل هبة.

هذه هي أسسك التي دعائي للركوب من أحدها، ولم أشأ إذالة
في الكلام أعطيت الريالات العشرة لكنه صابني
- هل تعرف أحداً هنا؟
لا

اذن نزل معي في الفندق أعرف الصديق الرحيم

كانت الشمس قوتنا قوية نحن هنا في الحبوب قريون من
سوك النهار هنا حريق، والحريف هنا كالمسك في مصر
واركتسي حركة السماء أمام باب الحرم كنا تحركنا قليلاً وحنا
أمام باب آخر السماء كثرات يفتح ويخرج كاشعات الوجوه.
عبور حصر، وعبور رقاء وعبور سوداء، وكما تعرف حسسات
الرجال في الحصة من سخائهم وأريائهم تستطيع أن تعرف الدلاد
نفسها من عبور أسماء وروى بدت الوجوه كلها واحدة هكذا فكرت
لجأة وأنا أنظر إلى الوجوه المأزجة كورود سباحة في مياه من
أخوه عبوات سوداء حقاً أمامي لكن تظهر من فتحات صدرها
ملابس خصر، وحمراء وبيضاء راهية لامة عبوات سوداء حقاً
لكنها مع الضوء الأبيض للنهار تعطي الفرصة للرجز، الياعة أن
تعلن عن سحرها هذا أمام باب الحرم النبوي الشريف لم أستطيع
رابع بحري أي أسعد ولا أن أحفضه إلى الأرض، صارت عيناى
على مستوى وجوه أسماء وعبور النساء وشفاة النساء ومضارة
وجدتهن لم يكن عمر بن أبي ربيعة مجنوناً وهو يصح للفرل ما
بالي لو رحت مكة، ستفطر الله العظيم ماذا أفعل في خطف العيون
والراحة التي تبعثه الرجوه في الأراج أنا الآن محمول على سرير
من الزئبق

— أسعد هد يكتشف وجوهن لا تتعشى، المسائل كلها مقنونة
قال نرجل فأنزلني إلى الأرض، ومشى همسيت حوار كقطف
متبع لياه.

أرد في ضيق تحدي زحام شديد ولكن الحركة تنساب في

هذو ولا صوت لشخص ولا لراديو أو مسجل ورائحة لبحر
والعطور تصمخ المكان كله صمت وحشوع كأنه برفق واليبوب
كلها داخل مسجد كبير

— من حسن حظك أنه لا توجد عفرة هذه الأيام ولا ما وجدت
مكبأاً للقدم الناس أيام العفرة تنام في الشوارع

لم أزد كأنما تركته بحق يرشدي دحب فندقاً صغيراً اسمه
«براء»، وقابلنا في بهو صيق مظلم شاباً مصرياً يتشم ويصهين
إلى غرفة في الدور العلوي، وقال بلا مناسبة به لا يعم بالفندق
عبره وزيمس آخر، ورحت أنظر إلى الغرفة الصغيرة التي لا تريد
مساعدتها على تسعة أمتار بها سريران صغيران منفصلان، وبدراب
معدني من صلفتين لا يصل عرصه إلى المتر ولا يرتفع إلى المترين،
وحوض مياه مثبت في الحائط فوق رف زجاجي عليه كوب بلاستيك
واحد، ولوحة مرآة صغيرة صندة الخوف، مغبشة الزجاج، وفي
السقف مروحة، وأحسست بالاحتناق كأنما كان لهر محبوساً في
الغرفة وأطلق يحاصروا مشبعاً بمرطوب لا نافذة للحجرة عن
الشوارع لها نافذة صغيرة على محور صيق قلت لشباب المصري

— افتح النافذة

اشتم وفتحه، ولم يتعبر الحال

— اندر انزوجة

أدارها وانصرف، وطمعت فوق هامة أحد السريريين رأيت
صاحبي قد جلس على حافة السرير الذي بفتح حقة صغيرة
كانت معه، ويخرج منها جليلاً نحل فيه سرعة بعد أن صبح بسرعة
انصباً ثيابه فقلت مثله لكنني ارتدبت بمجاعة لا أحب الحلاص

ممد صغري كانت ترتفع دائماً وأنا تلتهم من سلقي وأشعر بالهواء
الدرى في محدي وتلهري كلما اقترح عني أحد أن ارتدي الجلباب
شعرت على الفور بالهواء البارد لقد أرهمني كثيراً انتشار
الجلابيب في مصر الناس صاروا يرتونها في الشوارع وأحياناً في
العمل تقيد حديثاً نساء ومعهن العفدوني من بلا: النقط ولا
أعرف كيف لا يشعر هؤلاء الناس جميعاً بالهواء البارد في
المهاذم وقد صاهبي
- نرتاح ساعة ثم يتعدى خارج الفندق.
- لا أشعر بجوع

- اس يتعدى بعد أن يصلي العصر لقد مات الظاهر سمصلي
مع العصر في الحرم
أحسست فجأة أنه ثرثر ينكم أكثر مما ينبغي لكنني لم أمانت
الامر وحارلت أن أنام لم استطع ولا هو استطاع رأيته يتمس
معدة فوق سرير رأيته ينهض بهرج من الحقيبة التي مع
كتاباً ويعود يستلقي يقرأ فيه
- اسمي اسماعيل خضر موسى
لنت، هيتشم وقد

- كان عني أن أعرض نفسي كامل البشافي لا تؤاخذني لا بد
أني أريكتك
- لا تشغل ماتت لقد همت أشرارتي
- بي مطرة لا محب في الناس
وسكت تسلاً ثم سلقي
- ألا تحب القراءة

- أنا قلري، قديم
دهص بخفة، وأخرج كتاباً آخر قدمه لي
هذه رواية رائعة، وصغيرة كما ترى
أمسكت بها وقئت مبسماً

- شيس في رصيف الازهار من جيبه. اعزها لا ينس أن
أقرأها مرة ثانية. لقد مضى وقت طويل على قرئتي بها

لم أكن بحاجة حقاً إلى قراءة ما يعطيني كنت بحاجة إلى معرفة
ما يقرأ المنطقت أن الملح عموماً الكتاب والتصوير كتاب أسود
على علاقه وجه عرواً مثير سمعت عنه من قبل ولم أقرأه وشرعت
أقرأ رواية مالك حداد انتهيت منها في ساعتين سرقنتي الروية
الصغيرة العجيبة كما سرقنتي أول مرة قرائتها، رأيته يلف ويضع
الجلابيب ويقول
- لا بد أنك الآن في حاجة إلى المشي

وكأنه مداسي من عالم مسجون، حتى أنني دعكت عيني وقمت
أعسل وجهي من العوص، وأشعر أنني شخص آخر برعوا جلده
وأعطوه جنداً أكثر بهاء وعدت أجلس على حافة السرير أنظر إليه
في صمت، ثم قلت

- حين قرأت هذه الرواية أول مرة أحسست أنني أنا الذي يقرر
تحت عملاء القطان الآن لم أشعر بذلك. فقط حقق قلبي
تألمي قلباً وقال

أنا أقرأها كثيراً ربما لا أقرأها إلا من أجل ذلك ساندرك
في الجو السفلي

وخرج مسرعاً نادياً من على وجهه صيغ مفاجيء: وقفت أفكر

دحسا مسجد ليرسون، مضى الظهر والعصر معا أول ما فكرت فيه وبحر بذكر بعضو أن لا أنظر إلى وجوه النساء الدخول إلى مسجد الرسولي ليس بالشيء العادي في عيد الأضحى لم استوعب فكرة أن تأخذ سيارة وتذهب لتعبد وتعود في أيام قليلة الآن لا أصدق أنه يمكن أن تمر من عندق وتدخل المسجد النبوي في دقائق توقعت أن أهقر وأبكي ربما لهذا السبب لم يحدث شيء. دخلت المسجد وتطلعت إلى الحمام السامع في الفضاء فوق الجزء المكشوف لفت انتباهي اتساع المسجد الهائل، وأعداد الناس الفخيرة، انقسام المسجد إلى مصيفين الأيمن للرجال والأيسر للنساء لا أرى وجوه النساء الآن وجوهنا جميعاً إلى القبلة لو التفتت لي كل هاتك المنسوة كنت في الحال، لا يحتاج أي إنسان لدخول الجحيم غير أن يرى هذا العدد الهائل من وجوه النساء دفعة واحدة يا شبيهين انجهمي الذي يحاصرني قال البلطاجي - إن يستطيع الوصول إلى قبر الرسول إلا بعد الانتهاء من الصلاة.

- وجلسنا في الجزء المكشوف من المسجد، ثم أقف للصلاة وحسب خشوع هدم نفس الدنيا مع هبوب الشيع المدي الذي يؤم المصير اكذب اذا قلت إني شعرت بتحول في شعوري بلحية لايمان، فإنا غير ملحد. واكذب اذا قلت إني لم أشعر بشيء ربهما وكلمتي البلطاجي - انتظر قليلا حتى يحق الرحام

وكنيت أنا أحدث نفسي. أن هذه السهولة يمضي الوقت في حصره الرسول؟ منذ تفتحت عقولنا نسمع الكبار بصمود بالمرارة، ولم نمل قط قصة الهجرة في المدرسة والنبت، احبنا لرسول في العار وصاحبه أبو بكر فناصر اليمام على لده وعكك بعنكوب وورع أبو بكر وهو يجمع نصوصاً أقدم حيل ابتكار، ورسول يضمه لا تفرغ إن الله معنا قال أمي ذلك كثير قبل حين راني أبكي مع الناس يوم تحيي جمال عبد الناصر وبطحت اسرئيل البلاد، ولا تحزن إن الله معنا، وقمت أتقدم إلى قبر الرسول

- بي مديري وقديري روض من رياض الجنة هذا حديث نبوي وهذه هي الروضة الشريفة يا اسماعيل

قال البلطاجي وهو يراني أتقدم بصعوبة ببر مجالسين من الآسيويين المستغرقين في قراءة القرآن من مصاحف صغيرة في أيديهم، يقرأون بسرعة ويهترون مع القراءة ولا يكادون يحسبون ممن يتقدمون وسطهم.

- كنت قفرا للرسول وأبو بكر في بيت عائشة كن عمر أرضى أن يدفن معها منذ دفن عمر لم تستطع عائشة أن تتصلص في ثيابها حراً من عمر هكذا قالت هي منذ ذلك لحق أبييت بالرسول

البلطاجي يتحدث وأنا لا أهتم بنار عليه سأقرأ المصحف وأطعم الرحمة لامي والصحة لامي والسويق لإحوتي وبعث أمام قبر الرسول وصاحبيه وأوسكتك على التراجع كيف جفا لا أبكي؟ من يتقنني من حاله الحلاء الروحي التي تلمسني منذ زمن طويل منذ أمسك أبي بأذي خوتي وسلمهم إليّ بعد قالت وهي تنكي

«مركنتي في اليوم الخامس من يونيو. ألا تذكر هذا التاريخ شيء؟»
يوم لا يمر كل عام كغنية الأيام. يوم سيظل معداً، حتى لو حاربنا
وأنصرنا وسببنا الناس، سنكون أنا الوحيد الذي لا نعبأ، لأنك
مركنتي هذه. ناداً يا اسماعيل لا تعرف كيف تحترق، لماذا تكون
طعمك ناعمة طرا، نعم لا يسعي جرحي اقتصاراً يوماً عن
إسرائيل يا طوب جرحي وينس عدايي.
وخرجنا ما كذب جرح حتى تكفي
- هل أنت نصلي حقاً -

- لا -

أجبت دور أن بطرانيه وودت أن أكذب، وودت لو قلت مع
- أما أيضاً لا أصلي بكى كنت حائثاً منك هياماً مدنية

عريض منحد أحمر قاب قائم منطفيء هاديء مستكين غامض
يعصره لصوه فنبس داخله ولا ينعكس كنما هنا نهاية الرحلة
رموس الرحلة أنه جبل أحد الهواء يملأ الغصاء أمله يزدأ
منعشاً، والجبل الذي يهوى المدينة من الشمال كانه حارس صامت
يقف في ثبات يقيهم شرور الزمان جبل في لونه حمر وحشور
والرغفور قليلور لا يربدون عني باعة التمر الحاف والحباء والعطر
في الرضحاء بصغره واسمواء وحمر كأنه لم يتزل المدينة عرسه
عرب ليوم لا أحد يتكلم من الساعة ولا صوت يرتفع
- انتم والنساء والعطر والسواك سنة عن الرسول، والكحل
صاً

- قال البلداجي ولم يتكلم أحد غيره ذلك الأصل وعاد يقول

- كان الرسول نطيعاً معبلاً على الحياة كل يحب كل شيء - لا
يرضى بالقليل إلا في المال والطعام أنظر مر هنا جاء - من
الوليد

أشار إلى المكان الشهير للواقعة

- وهنا كان يقف المسلمون

ورأيت حيث أشار مستطيلين من الطوب الصغير عن الأرض

- هذا الطوب يحدد ليرقي حمرة ومُصعب بن عمير أعظم شهداء

لواقعة. هل تعرفهما؟

- أعرف حمرة ذلك الذي أكلت كبده أم معدية

قلت وتهدج صوت المتناجي فجأة بالبكاء

- كلل مُصعب فتر الفتيان في قریش اجتمعهم واعاظم، ورد

أمن بالدعوة ترك كل شيء ونحمن جوع ولغري وهو محاصر مع

المسلمين في شعب أبي طالب، وأبدى يستسلم كان هو حامل

الراية ذلك اليوم، ولم يتركها حتى تمزقت أعضاؤه رمات،

وسكت ومن فوق الجبل هفت علينا سعة طيبة ضربة، وكنا

نوشك على اندحول في المغرب حيث ينسلل أسير عن مهل والشمس

على يسارنا بعيدة حمراء تتراجع عن الدنيا في حرج، وأنا أرى

المسلمين يتحركون مواقعهم فوق الجبل ويدرس حتى لا تلوّتهم

القنائم والمعوكة نوسك أن نحوي بالانصراف ناله من الوليد

يظهر علينا كجمل فترق الحمل ومعه حنوده وبعرون عن ظهر

المسلمين، وثبتت الرسوس، وتكسر سفتة ويدهرم مسجون،

وسؤال الامحلى الدائم عن العمره من الهريه وإلحاده طدعه

القائد لكن لماذا كان السؤال يتكرر كثيراً؟

وتحرك الملاحى سحى فمشى.

في الحجرة التي كان بورما صغيراً أحضمت بالاختناق. فطنبت مصباحاً آخر أكبر وأدهشني من عدم ادوات الملاحى لصعب نحوه هو الذي يبدو شحيح البصر استلغيت عن سريري أفكر ما لدي أشعر أنه يقصني الخيبة. التثبيطيين؟ استطيع أن أنزل إلى بهو الفندق لقد لصحت جهازاً، ونحن ندخل عاندين. بعد أن تناولنا طعاماً في مطعم صغير خلف الفندق لكن أي نزل؟ هنا 'ستميع' أن اجلس بينهم؟ باكستيون أو أفغان أو أتراك مسلمون ومن كل البلاد فالمديسة لا يدخلها غير المسلمين لكن ما يدريهم أن لاسيويين سيسجسون صديقين قد ينكلمون ويتناقضون بكتباتهم لسريعة ويسدون جسدي أمام الجهاز لأبق اذن في الحجرة ومالني الملاحى

- كم صارك في المملكة؟

- ثلاثة أشهر تقريباً

- هل تعمل عملاً ثابتاً؟

- لا أهتم ما تقصد

كان مشغولاً بأعداد كرج من الشاي بجهاز كهربى صغير أخرجه من حقيبته لم يره إلا بعد أن انتهى ووحدا بشرب الشاي

- قصد هل تعمل بمعد رسمي أم متي؟

- تعذر أن قيل حصوري. لكن كيف تعمل هذا لا تعافد؟

ننعم واحد.

كان عليك أن تترك ذلك وحيدك الا ترى معي عدة الشاي؟
وأشار إلى الحقيبة الملقاة حوار الحائط. وقال
- فيها كل ما يلزمي صغيره كما ترى ولكن تحوي الكثير

وهام وفتحتها. وأخرج منها مربيه تعمل، بالهواء فبصبح بسوم،
ولحافاً يمتلئ بالهواء 'يضاً ويدخل لإسبس فيه ويعتقه حويه
سُسُت في الجانبين، وأشياء أخرى كثيرة، وقال

- جئت في عُمره منذ عام ونم أعد بر مصر بقدر وجهوا إداراً لكل
من يحمل هذا بلا عقد رسمي، أن يصحح موقفه قبل شهر رجب
الناصي

- لماذا إن لم تتعاقد قبل الموعد؟

- لأنني قد أسافر في أي وقت.

وسكت ولا بد أنه أدرك ارتباكى. فقال

- كان من السهل أن أتعاقد قبل القرار الأخير. الكلاء يجهزون
هذا النوع من العمالة الذي لا يرتب عليهم أي حقوق لمعمال. بعد
القرار صار حراً عن الاثنين معاً العس دون تعاقد، لكنني لم
أتعاقد ما رلت أجد الكلاء الذين يفرضون بتشغلي أما استطيع
أن أقوم بأعمال كثيرة أقلها الكتابة عن الآلة الكتابة بكن هذا ما
حدث. لذلك أنا لا أسلم من المطاردة هذا وصولك لي المطار كنت
أنا ضمن المقنوص عليهم نزعهم لاهم يصور بلا تعاقد رسمي
لكني استطعت الهرب كل مرة يتم مقنص عني استميع الهرب

تأملته في علية الدهشة قلت

- كل هؤلاء أنذين كانوا محاصرين برجال الشرطة مقنوص
عليهم؟

- واكثر منهم كل يوم يتم مرجعهم

وسكنت قليلا ثم هيا

- لا بد انك سببنا كيف استطعت الهرب

قلد في سى

- ما يدعشني كيف وأنت الشخص الذي يبدو مثقفاً معطفاً.

تقبل لنفسك هذا الرصع الصعب

ركانما كُتِبَتْ في هذه الثنية في لوح القدر لقد احسست حين

وضعت قدمي على سبم الطائرة في طريقني للمدينة، أنني سوف ارتاح

قليلاً من حولي البهيم من تطور الامور مع واصحة تركتني لمسك

بدها بين يدي في السبرس الثاني ليوم رؤيتي لاجدها قالت مجاة لماذا

نعاشني بهذه القسوة؟ وكنت أنا ارفع صوتي بلا سبب في الحديث

كأنني اود تنفيرها من الامر كله وبت عن ظهر يدها ففرقتها فاحدنها

لتقدم بين رحتي يدي، واحسست كأن بيدها عصفوراً صغيراً يود

لو ينطق فلا يستطيع عصفور داو، يبعث الدم مشارعاً في

عروقه حاشني لحظ وتكرت بدها في اللحظة التي سبقت دخول

حالة اليأس - يدبني حين - هت كال عائد الغور من رحلة قصيرة

لربهم لم يدخر بيتاً قط في اثناء الدرس. قهله اليوم ويخل

يصدهم عارتمشت كما لو كان رأني بالفعل انحسرت إلى وقت

حين ستجمع مداسي بعد أن خرج وكنتها كانت تعرف. كانت

تكتب ويندمم من حولي وأرتماكي

لماذا حقاً لا أستطيع الابتعاد، ولا اطيع الاقتراب من واصحة

بنت سليمان من سبيل - إدها اصغر من كل هذا العناء - واصحة

بنت سليمان بن سبيل عادت سبيلتها الأولى اليوم صُطبت مبسطة

مع المصري اسماعيل خضر موسى وسُرحم وسُرحم لن يُرحل من

البلاد. سبيلتي به من طائرة إلى صحراء الربع احدي مصري

ملحون مثل رئيسه الذي يدعو عليه المسمون بين بهار أن يموت لأله

وعلى القدس بدهم المدسة. وجلس مع يهود الذين أمروا انه

ان تقتهم حيث تقتهم يا رجم الزحمر يا صالح سنيسور

التقني اعطني بعيلم آخر وذهبت إلى صالح، وكان غالب وحده

الوجود. وكان بيكي. وصالح يسبه، يا صالح إنه ولد مسكين هلال

فغير ممرق الذباب يا أستاذ أنت لا تتدخل، هد للمعون لا مسكين

ولا مقبر. هذا مصاب بزهرى يا أستاذ نظرك قدميه. ملا جسمه

كله ولا يقول الكلب لقد مرقت كل بشرته وما هي اكوم أمامك

ورفعت الفيديو والتليفزيون من العرفة هؤلاء لا يسخ يريدون

قتلي. اخرج يا اخا القحبة وشالب بيكي بهرفة. وصالح بدله

أمامه بفصا صغيرة حتى لا يلعبه ولا يلعب ثياب ريعود يكلمني

هذا طرده أبوه من المنزل حين عرب بقصة حطم استيليزيوت

السبعة التي في بيتهم وحطم أجهزة فيديو ابنه مهرب شتري

لكل ولد من أبنائه تليفزيون وفيديو حتى لا يتألسوا ولا يتأوشوا.

المشكلة يا أستاذ ان هذا الكلب لا يكفي بالأملا لجسبية

والزهرى يا أستاذ مرض خطير هل لا تعرف ذلك؟ عرف يا صالح

وهيا بنا بدأ الدرس. لا درس اليوم يا أستاذ لا تعف راسك

محفوظ من قال يا صليح إني استطع أن احذر راسك بلا عس؟ ومن

قال يا أستاذ إني احتاج الدرس أنا لتتح. يأتي المدرسون قير

الامحاضات إلى محوذا، يلحدون البطاطا وأثواب الحريز

والصوف وأصبح. لا ننظر إلى عمري أنا أرسب ميراثتي. يارادتي لا أذهب لامتحان. أعطي المدرسين ما يريدون وأخذ ما أريد ولا أذهب للامتحان. أمي رحن حمار يأتي في كل شهر بمدرس فاطوده أنت أحسنك وساطك من أمي أن يعطك راتباً كبير بشرط أن لا تدرس في يا استاد. أحلس متحدث في أي شيء إلا الدرس ومشيت والظلام فوق الدنيا أكثر من كل وقت. وركبت سيارتي ولم اتقيه للطريق الذي جدرته ورأيت الحمار الموقوف ده سيد الغريب مظماً كله خارجة وداحه. ومعلق الأنواب والنوافذ. ولا صوت إلا صوت ذواهد الحمار الذي يعركها الهواء برتابة. ومشيت فوجدت نعلي في شارع صيق كنه مصاب بمصابيح صغيرة أهل أبواب البيوت. ورأيت قاذب في أحد الأركان ممدداً. وقد أسد ظهره إلى جدار بيت قديم. ومد ساليه على الأرض. وهوله وفوق ساليه تتقافز القطط. فاحسست بالقرب من كل شيء. وفي البيت لم أوافق سعيداً ووجيباً واستمر في المهزلة. قلت لوجيه ما كان عليك أن ترشحي للدرس مثل هذا الولد. ولنت في المدينة أنسر فقابلني البلتاجي قال هنا يا صديقي اسماعيل تقذف المصارف بالأحلام والمسى نتخرج أمام أرجح القادمين قريبة جداً من أيديهم لو احموا. كل شيء في الدنيا نجده هنا. لعب أطفال هوج كوج جوار بيض رومانيا الشيوعية وماليس تايرن انقذرة جوار دجاج بلغاريا الشيوعية أيضاً وعطور باريس جوار ساعات كورنيا الحرفة والمبار القوية. هنا تنبع كل العملات وشتريريه. كما الضهيق والزفر هنا شرطة أيضاً للحرثام الصغيره أم محرند الكرى مقلداً يحويها الخلام. هنا مهر متدق سدال لا يعترضه جنل ولا شلال. مهر من المكسب فقط عليك أن تحرر من عموك بعض أعوام تنمي فيها أن تكون لك

صديق. أن يحب أحداً وأن يحبك أحد أن تكون عظمي رصياً بكل شيء ولا تفكر حتى بما تفكر. جينة شيدر من اسراليا أم حسه خلوم من قبرص. أحمر ضامن من الألبان أم صان محلي بلا طعم أنا رجل وقف عند فكره فوقفت الدنيا أمامي كان ذلك مند زمن بعيد جداً قبل ثورة يولغو. حركة الحيش. وكنت بم ابنة بعد من دراسة لقانون بالجامعة قامت الثورة وأنا في السجن فأخرجوني كما أخرجوا كل الوضيين. لكنهم عابو وأخدوني عام ١٩٥٤. وكنت انتهيت من دراستي وتزوجت. وقال لي من الإحواي وأخرجوني بسرعة حين عادوا إلى ملغي عندهم ملف الملكية ادي تسلمته الجمهورية الفنية وعادوا وأخذوني عام ١٩٥٦ لأشهر قليلة وقالوا شيومي. وأخرجوني قبل العدوان بأيام. فذهبت القاتل في بقال. وبعث بعد الحرب وسلمت سلاحي. تعرفت قليبون هم من سمر سلاحهم الكثيرون باعوه أو هربوه وعادوا وأخذوني عام ١٩٥٧ ونم أخرج بعد ذلك إلا عام ١٩٦١ رأيت انسي الذي صار عمره تسع سنوات. وانسي التي صار عمره سبعة وأخذوني عام ١٩٦٦ وأخرجوني بعد النكسة بشهور وأخذوني عام ١٩٧٠ وننتهى دور جمال عبد الناصر معي وتسلمني الأسادت الذي أخرج عني وعن عمري وتركني في الشوارع أربعة أعوام ثم أخدني عام ٧٥ في أول أيام السنة وأخرجني بعد ثلاثة أشهر نياخذني عام ١٩٧٧ ليخرجني وأخرج أنا من محرر كلها. من كنت أحتاج حقاً لي كل هذا الوقت لأكره الوض. أم فقط حبل لى رحتي حزال اشقة. لي روضة لطفال استعاصت نوم عني. وعن ويدا لدي يعيش في السويد الآن. ومفتنا الذي موهجت مدرماً سلعراً إلى الحرائر. أن لا أعرف لماذا أثبت إلى هذه البلاد دور غيرها كنت أخرج من

نسجوني لكثير قوة رغم كل ما، لظك سمعت عنه، من مأسر
بالسحر، ووجني مقطعي التي انكمريت تدهورت وشاب بسرعة
وشاحب لمراه كل الارض بلاري تتشقق لا تسقلي لذا لم اسافر
في أوروبا كعقل الكثير، ولا نادا لم اذهب الى بلاد عربية
اخرى واحد صحبة وادامة ونسيم؟

وبكى ولم يتوقف منه زوشي عني يستمرى العذاب، رصت ان
اتعاقد مع احد لأظلم مدرسا للترجيل مريض أنا، متفوق في درسي،
يستطيع علاجي أم تواني أو فعلاً أن يعيدني الى بلدي احد أن
يجبرني احد على حب النبلاء؟ لم اكش شيوعياً أبداً يا أخ اسما عيل
ولا صعباً كنت من الاخوان بالقوة ادموني للسجون فقط لأنني
بدات حياتي بحب الوطن،

واجهت في البكاء بصوت عالي، فممت من فوق سريري مرتبكاً
وجلس جواره فوق سريره
- هون عيني يا أستاذ كامل -

- هل تعرف لى عمر؟ ضني شيئاً هنا كم شيئاً سبجري فوق
عقلي؟ هذا السملة توشدت من طريقها متجد فوقها ألف قدم هنا
لو أدركت قتل العجز ما رأى مجراً بعد ذلك ولا صباح هذا لائمة
(أنت فوق الجحيم) لقد فعلها السادات وصيغنا جميعاً معه
يهل واحد اضدع أمة أي قطع؟

لم أسمع انتحري بعد ذلك إلا قرب الفجر نصاً واحسست قبل
لحوم تنبع لم أعهد احتلظ أن الفجر الذي أيقظني بتحيب

مكتوم لم أتبع مصدره إلا بعد لحظات، ولم استطع النهوض
للحديث معه مرة أخرى حسيت أن أخطئه، وظللت على وصفي
دائماً وعلى انتظام لتقاسي فتكرت ما فكرت فيه غير أن ايام القصة
لها جوانب خفية لم يدلل بها ثم ما الذي حقاً جعله يشعر كما لو
كان هو الذي يقفر من القطار تحت العجلات كله قر رواية مالم
جداد؟ لقد تميت لو حدثني في الرواية مرة أخرى، وددت لو قلت
اني كنت مشروباً صغيراً لكاتب للقصة أيضاً إلا اني سميت
عقلي رسالة أبي في الدنيا من السماء والأرض، وابتلع الفضاء
كل الكتب والأوراق والأفلام نكت داعمي بهكايته يا له من عاجز
عنكم! ان اعظم ما اودعني الله هو لسيون لولا لعملة السيون
احترت منه فلكل منا سجن ضيق فيه شيئاً عزيزاً حتى ودم يطر
سجني

وبعت من جديد ورايته، الذيك انضم رأسه هناك في الاعالي
وعزفه في السماء السابعة وجسمه معقد الى الأرض وجناهاه بملأ
قصاء الدنيا بالالوان الراهية، ثم راح يصرب بجناحيه الهواء فتهب
رياح وأصمير ويصير برد ثم يسكت فيصير حر ويعود يحلق
بجناحيه فيندفع الهواء للبارد يكاد يحمدي أنا الذي انظر ابيه من
أسفل في فزع ثم يسكت فأكاد أعرق في بحر عرق وأموت وأهس
كما لو أن أحداً يمسك برأسي يصمعه في مرمى ماء فاحتلظ وأهرب
بذراعي الهواء في اللحظة التي تكاد فيها الروح تغد مني بزمعي
فتواتر لتقاسي ويصبح الذك كوك كوك سحان ملك للقدس
كوك كوك كوك سحان الملك القدوس ورد برأس الدنت يسقط فوق
صدره ويندفع الدم يملأ الفضاء بلون أحمر ويعرق الارض في

لاحمرار وأسمع سحجة في الخارج، فقصحو فرعاً قلا أجد البلتاحي
ولا حقيبته ترك لي فقط رواية (ليس في وصف الأزهار من يجيب)
وصوت عجلات القطار

١٢

هنا يمكن للإنسان أن يفسى كل شيء أدركه دند جيداً، انزلت
المقرهل مثل الوقت المزعوم، الإنسان يهرللك

كان علي صباح وصولي إلى تبوك أن ابدأ في تحرير استمارات
الضمائر الاجتماعية التي احضرته من المؤسسة الرئيسية في
الدينة لم أبق في المدينة غير نهار اليوم لثاني ذهبت في صباحه
الى المؤسسة وأخذت الاستمارات، وفي مساءه أخذت الطائرة
عائداً

كثيراً ما فكرت انني سناصطدم بالبلتاحي مرة أخرى في الطريق،
وربما في المطار، لكن هيهات، كنما كان حسماً ولأن وأنا جالس في
غرفة مكنتي أملا حانات الاستمارات ببينات العمل لا يفارقني
وجهه ووجدت نفسي اتوقف عن لمس القف وابتهد عن المكتب،
والنور في الحجرة أعصر ذهني، لا تذكر أين رأيت وجه البلتاحي من
قبل في الصحف أجل في الصحف المصرية كان ذلك مدد حبة
سنتين وربما ثلاث لا أنكر ما لصبط رأيت أكثر من مرة في أي
صفحة ولاي سبب؟ لا أنكر

وعدت أجلس الى مكنتي غير قادر على مواصلة العمل، مكتوب

إس أن أنسى هذا الرجل مرتين فتوك تتعيبك امك وأبوك» مثل
حقيقي هذا لا يحتاج المرء إلى أكثر من يوم واحد من السنين ثم
ينسى إلى الأبد لا أحتاج إلى أكثر من دقائق مع مصور حتى أنسى
كل شيء إلا مصوراً دفنوا مع سبيل هاتى كل شيء إلا ببلاً أو
أوشد كدك ومعد بطرة إلى ليممي الذي سيقني في موعد يحرك
السواب في معه، أو موقد سحيف من علب لكني فتوك كانت أكرم
أهء باب الغرفة بوجه مثالي وممر أشقر حوبر وعينين زرقاوين
بهرتني امرأة سائلة الوجه، تقف بالباب، تنتظر إلى بابنساء
وثقة امرأة حقيقية تريدني بنطلون الجير الصيق وهوقة بلوزة
حمراء لينة ويلوفر أزرق، وعلى كتفها وظهورها شال أبيض
ووجدت نفسي ألق

- غرد مورنغ

قالت وبسخت وجلست أمامي وسألتني ما إذا كنت أعرف
لانكليزية كل ذلك في وقت واحد تقريباً ولم تكف عن الضحك إلي
باتساع باهر في عينيها، بدا أنها تكاد تضحك من ارتياكي وقالت
به يمكنني أن أجس، واكتشفت أمني ما رنت واقفاً وجلست،
وسألتني أن أطلب لها فنجاة من القهوة من مستر نيل، ثمرف
نبلاً (إن)

وتسألتني هي

- أين مستر عند؟

- في مكتة

ليس هناك

- لا بد أنه خرج لأمر سريع وسيعود هل من خدمة أؤديها لك؟

ويظهر نيل عند الباب مبسم، ويقول بدهشة، مصسعة
وبصوت مثلي عال
- أوه مستر روز

ضحكت هي، وابتمست أنا، ودخل هو بصافحها أعطت يده
دور أن تتحرك، فتقافها غلباً في يده وهو يحامسي
- روز ماري روجة مستر لاري أحسن أجبية في البلاد

ترك يدها، فعمرت لي بعينها وهزّت كتفها وسألتني عما يقرب
ترجعت لها الكلام فضحكت وقالت
- لأنني المرأة الأجنبية الوحيدة هنا

ابتمست وبدأ لي الأمر سهلاً، هذه سيدة بسيطة تعطيك
الإحساس باللفة وسألت نبلاً أن يعد لنا لجنائين من القهوة ما
كاد يخرج حتى فكرت كيف تعرف نيل حقاً مضى علي ثلاثة أشهر
هذا ولم أرها هل تأتي في موعد آخر بعد مواعيد العمل؟

- هل أنت جديد هنا مستر -

- اسماعيل، لي ثلاثة أشهر هنا

- أسفة لم أرك لقد سافرت إلى أميرك الأشهر الثلاثة الماضية

- هل تمنحني هنا؟

- مستر لاري زوجي هو الذي يعمل العمل ممنوع بالنسبة لي
أعمل بشكل خاص ويترى في حصنة مستر عند الله

- لا أعرف أن لمستر عند أنه حضنة

له حضناته مشهوره بالبلدة تدبرها روجه كيف لا أعرف ست؟
وضحكت فأجبت

- ربما لاسي أعرب

واسمعت تصيح وهات. إن زوحة مستقر عبد الله ضخمه جداً
وعم أنه صليل بعباية، وهي لا تكف عن أكل اللوز طول النهار، مع
أن هذا خطر حد على الصحة ودخل بيبيل بالقهوة وقبل أن يحرج
سألها

- امريكا إذ غود يور؟

- غود بيبيل فيري غود.

وضحك ثلاثت ثم خرج بيبيل الذي أحمر وجهه بشكل لاقت
للنظر مضى وقت طوي وسبح نتحدث، حاولت هي أكثر من مرة
الانصراف، وأنا أشجعها على انتظار عابده، فتستمر جالسة، وأتمنى
أنا أن لا يعود عابده، ولا يدخل مكتبي أحد، وإذا بالساعة صارت
الواحدة، ولم أضع حتى لإبتسام التيمني الذي رأيته فجأة فتذكرت
أنه لم يتبادل لإبتسام اليوم، وتبادلنا على الفور، وإذا بعابده يقف
بالباب

- هاللو روز.

هاتف وهو يدخل يصالحها، فصافحته وهي جالسة، ولحت
الضيق عن وجهه، وقد
هلاً أتيت إلى مكتبي
وقعت وقالت:

- لا بد أن أعرب، لأنني إلى الكاسد ليس لدي وقت أكثر من ذلك.
أخبرت فقط أن أركم
واضطفت حرجه بعد أن صافحتني، ولوحت أنه بكفها، وسألني
عند فحاه

التم يسأل عني أحد؟

- روز

لا أعرف كيف قلب ذلك نظر إلى شجرة، وخرج إلى عروسته، وأب
اشعر بالأسف الحقيقي على إحاسني بهذا الشكل، لدي بم أحص
له

على المكتب الامتعارات السفيفة اخي كنت ملأها وأريد أن
لقي بها كلها في الباحة.

روز ماري اسم جميل بحق لا يزر في الغرفة شد عطرها يا
الهي كم هي خفيفة كريشة منثنية، كعصفور مجونة صريحة
دهشت لكل أجاباتي حرج غسقة، ويعمر مدرسا لغة لانكليزية
في مصر، وهذا مسؤول عن شؤون الافراد أي هلط لكن هذه
حائتي بالصبط وأنا فيها غير متفردين مصريين ستجدين هذا
عمل محارة وقشاشي من حصة المزهلات العليا هذه حالة مؤسفة
لكن هذا ما يحدث عن كل حال ولم أشأ لاستطراء هذا وقت
الامكشافية فيه طردت من الدرجة الثالثة والرابعة العلول وساققتها
أمامها بصياط السحرية ميراث العدل ممثل في بلاد، ولعله كذلك
في ملائكم والا لماذا جئتم لنا عذرت وليس لكم لعدر استروى سيد
هذا الزمان يقف عند باب حدود اشرقية والعربية ويقول أرض
مصر أرض حرام مؤامرة جغرافية هل يصطوق أنت أحد؟ أنا
أصدق. فالؤامرات تحدث دائماً بملادنا وان لم نعلمها احد
بعضها نحن لدينا وآله وهذا كثير أدلك وندينا صحف ومجلات

ورداً على تحفل الأسود الأبيض والأبيض أسود أو عديم اللون
والطعم والرائحة. ولم أقل شيئاً عن ذلك. تذكرت فقط كأنني
للتلحاحي، لكن قلب - ألب كما نقول في خروجة اجتماع وتعلمين هذا
في حصنة طفل سنكر سري. لا محتف كثيراً اس. قالت إن
زوجها جدير كبر. وكانت بصحة وتحدثني كأنها تعرفني من قبل.
وقالت إنه هو الذي دفعها لعمل بالحصنة لأنه ممنوع أن تعمل.
فلا هي صبيبة ولا مدرسة ولا معرصة. ثم لانت وقالت إنها تقدرني
ولا ترى حرمي. وقالت إن حلم حياتها أن تقوم ببحث عن حالة
الأمرب في البادية لأن عن التعبير الذي يلحق بسكان البوادي.
لكن لمست لا تسمح بها لأنها غير مؤهلة من أي جهة علمية
لذلك سافرت إلى أميركا واستطعت أن تأني خطاب من جامعة
شيكاغو إلى السلطات لتسهيل مهمتها، ولم تدرك أنه ستقابلها
مشكلة أخرى. حيث السلطات أن يكون معها «محرم» في
تحريكها ليس من المفعول أن تسافر امرأة وحيدة في البوادي.
ومستلاري أن يترك همه ليقع ذلك، والوحيد الذي يمكن أن
يساعدهم هو «جورج»، أخوها الذي لم يوافق على انحصور من
ميرك بلعيش في بند تجلد فيه الناس بسبب الحمر ساعات منها
للمرصة إلى الأبد. هل رأيت بيانية هذا؟ صالفتني لا رأيت شحاداً
مزل ابعدة في يوم عيد. لم أقل ذلك. ودعيتني لزيارتها وزوجها في
«الكامب» لمدة حقاً وجهت في هذه الدعوة ولم يسبق أن عرفتني
من من؟

رأيت النيمي جالساً والسموك في معه. ورأيت بصحة اليوم

أجل، والشمس كانت بضياء يعطي الدنيا دفء جميل. لقد بدأ
البرد يشتد بالليل هذه الأيام، وصارت الشمس تصحو بعد مرهقة
تصعد إلى السماء في مهل، ولا يبدو أنها امتلك الفضاء إلا عدد
الطهيرة. لكن البرد بالمهمل ليس قارساً على أي حال. تركت مكتبي
والبهجة التي تركتها. روي في الصحرة لا تزال تصحك في وجهي،
ودخلت البويعي فوقف فجعل فرعاً

- لقد خرج عابد إلى البلدة كيف ستجلس هنا؟

- ما الذي يمكن أن يحدث تليطون غبي لعلب أكثر غباء. هل
لديك مقعد آخر؟

كان حين دخلت مجلس من المقعد الوحيد، يقرأ في مجلة الوطن
العربي، ويوشك أن «ينكلي» على الصفحة أدركت أنه ضعيف
النظر كثيراً. ذال

- اجلس أنت على هذا المقعد وساجلس أنا على الأرض

تكلم واقعي في الحال، والمجلة لا تزال في يده. جلست وقد

- بويعي على قد الحال. لا تلمني.

كان البويعي صميراً للغاية وقدر، يذكرني بصفهات المصالح
الحكومية في مصر. دولا ب معدني صدى. صدى معلق على الحائط
ملا أصواب، وصل أرفعه الثلاثة علب وطرمسات بضاي والمكر
والقهوة. وتحدث الدولا ب مونتاز مسطح فوق مضدة خشبية. بدو
أن ديل هو الذي صعدنا من حشد قديم غير مهذب، وعن المضدة
الكواب فتحدثنا. وفي الزكن الآخر من الدفعة ثلاثة «مستبح
هاوس» كبيرة بضياء

شيء غريب يا أخي" مشتمون السادات شتمة فتليفة كل
لجالات هذا شتم السادات
- من تحد اسماسة؟
أبدأ عند شكري أحداث ولا يقرأها فاقراها أنا
صحك وعار ينكلم

- يقويون إنه سب حرب لبنان وصياح فلسطين، وعمل
لأميركان أو أعرف انه عمير لأميركان كل شيء في مصر أصبح
أمريكياً ثلاثت وغسالات وملابس. أنا مثلاً لن أشتري شيئاً من
هنا لأن كل شيء هناك - وسكت لحظة ثم صحك وضرب جيبته بيده
- إنهم لا يقصدون ذلك عميل يعني جاسوساً
وصرب لأرض بالجلعة وتركها ووقف يسألني
- تشرب شاي؟
- قهوة

أجبت وأب أضحك، تناولت الجلعة أكلت صفصاتها بيما
شغل هو بعد اد القهوة التي قدمها لي وقال

- لغريب أنك هم ترى سادات في التلفزيون يصعب عليك
يذكرت أحياناً هؤلاء المهندسين أي وأله لكن فلسطين صاحت
من رمي، وخرب سائر ذئمة من رحا أيضاً أمقول أن السادات
هو السبب؟ بلا سياسة - بلا مية

وسار الجلعة التي كنت وضعتها على الأرض وورقها ووضعها
في سلة المهملات، وأنا أضحك حتى دمعت عيني وسكتنا طويلاً
حتى قال

- والذي الله يرحمه كان له في السياسة
ثبوت؟

أظن المسألة واضحة يا اسماعيل

ضحكتنا وأنا لم أكن أقصد شيئاً، أدهشني حضور بديته
وطريقته في الكلام اليوم.

- ومن. زمان جداً كان أبي من الإحوان الذين اشتركوا في
حرب فلسطين عاد مقطوع الذراع والساق أي وأله. الساق
اليمنى والذراع اليسرى. شيء لن يصدفه أحد لكن هذا ما حدث
- وبدأ جاداً فجأة - كل سبباً في ثقافة الاسرة لا عمر ولا قدرة
ولا أحد يسأل قامت الثورة ولم يبق للأخوان قيمة هكذا كان يقول
أبي وهكذا حدثني أمي فيما بعد. نا ولدت يوم قامت الثورة
اليوم نفسه لا تسألني كيف استطاع أبي ذلك فانا أشبهه تماماً
وأكثر أحوالي شبيهاً له صورته لديها معلقة للآن كان لي خال
موسون يساعدنا ويأخذني إلى الإذاعة في عيد الثورة. بعد أن
أصبحت قادراً على المشي والكلام، كان هناك أطفال كثيرون يذهبون
في اليوم نفسه أطفال كثيرون جداً ولدوا يوم الثورة كانوا يذهبون
أسماءنا ويمطون كل طفل بأكل شيكولاته ويصف جيبه أمي قالت
جيبه كل هالي يأخذ الفلوس ويعطي لشيكولاته م عينا، لا
تضحك من مصلحت هذه حقائق ليست قصصاً صدفني جاء يوم
كان أمي كعائته معدداً في حوش البيت أواسع يتشمس كان
انتهار يطعم فمخرج أخوتي الأكبر مني يلعب ويخرج أمي إلى
السوق. ويضحك أبي إلى حوش البيت. وأنا ألعب حوله بيت قديم
جداً من أيام المملوك حجراته واسعة مسكن في كل حجرة أسرة

كاملة، وللباب بوابة صحبة لها ضلعتان من حفر الأشجار احاطة بالحديد، بوابة مفتوحة لا يمكن لأحد أن يحركها لأن اثواب علا حولها من أسفل، تصور أنه فوق البوابة توجد صورة انبثاقه من حورية في لحظ ملو، أزرق باهت وتحتها خال السمجدار، ولا يوجد اسمه. يوجد فقط اسم الذي يجر البيت المسم محمد، إبراهيم وولده إسحق ويحيى هذا مكتوب على البوابة، بلد تركنا هو البيت بعد ذلك وسكننا في شقة مستقلة في لحي نفسه، حي المديح بامباريه كنزاً بصريا رجالاً ثلاثة أخوة وأربع اخوات، واحد من اخوتي في السجن الآن كان موظفاً بالبريد واختلس لوس التوفير أي واه لا تضحك، (معود إلى أبي) في ذلك اليوم الغريب جداً دخل حوش البيت جميل هائج جعل عال كنه فطار، داس فوق أبي الذي لم يستطع الحركة ولا الصراخ ربما صرخ ولم يخرج صوته أنا كنت في طرف الحوش أصرخ، والحمل يدوس فوق أبي مرة مرة ومرة يتراجع ويهجم على أبي رافعاً ساقه الأمامية وأرى خلفه عريض أسودين يدوس بهما على أبي لذي يرفع ذراعاً رعدة لا تصل إلى ضيق الحمل وساقاً واحدة لا تصل إلى بطنه لقد خرجت النساء من الحجرات، والأطفال، ووقف الجميع بصريحون لم يكن هناك رجل واحد، كل الرجال كلوا قد خرجوا يعمون في اندح، لغريب، وعجاة قفر إلى الحوش حمسة من الرجال معفرين مكوسى الشعر كأنهم الحنوز الأحمر مسكون حلاً رسولهم رسناكبر، نكهد وقفوا مذهولين، كانوا هم اصحاب لحم، وكان الحمل يسعد عن أبي على حظه وقد كثر، وأبي سكن ولم يعد يرمع سافاً ولا ذراعاً، وقف الحمل منتفخ متعباً، ثم أناخ بهدوء على الأرض والرعاء على حطمه ينثال على الرءاء ثم مد عقه

كمن ينام وانقلب على جانبيه، والرجال الحنوز الأحمر تقدموا منه بحذر، وعقروه من رقبته، وجرؤا إلى الحصف، نكر لحمل لم يبهض ولم بهتج فقط رفس رفسى وسكت مثل أبي

وسكت تبيل طويلاً أطرق سطر إلى الأرض بحفي دمعاً لحاوس الاتسياب، ثم رفع إلى وجهه وهو يمسح بكعبه وابتم وقال

- عملت بهصيحك لم أرس لتعطيتي شيئاً هذا اشهر لم يصنفي منها خطاب بعد أيضاً لم أرسل لأبي ولم يصلي منها خطاب



عدت إلى حجرتي اشهر لن شيئاً ثقيلاً فوق كتفي بكاد يحني ظهري، وكان اليمني الجالس في الشمس ينتظر نظرتي ابتم لم ابتم وكنت اقرب منه، أود لو صرخت فيه هائلاً لماذا تخايلني كل يوم مابتسماتك البلهاء؟ من اندي أعصاك حق الجلوس بلا عمل؟ ماذا تعرف هنا عني حتى تبسم لي؟ كني دخت ابغرفة وسمعت صوت سيارة تدخل الباحة مسرعة ليكن من يكون فيه، لدي جبة جلمزة على السؤل المسيف لم ينص أحد يسأل عن شيء في عيادك يا عابد ويا عم عبد الله لكر الذي دهر ابغرفة كان عابداً ومعه شاب مصري يرتدي بذلة أميقة، وله وجه حسن، ونظرة بيضاء، وشعر أسود مذهب، ويحمل حقيبة سمسومايت لامعة

لم يسألني عابد عن شيء جلس خلف المكتب المحذور لمحاربة وجلس الشاب الأتق لأمه، وجلست أنا إلى مكنتي - الاستاذ اسماعيل زميلنا

قال عابد للشهاب الذي قام يصافقني بدعائه ثم جلس
وحططني عائد

- لاستاد عبيد الحميد متعجب بك الدلتا جاء إلى هنا لترويج
سندات سكية، هل يجب الاشتراك فيها؟
- ليس الآن

- أن كنت أعرف - وخاطب المندوب - أنا سأفتري عشرين ألف
دولار

قال ذلك ونظر إلي، وفتح المندوب الحقيبة يخرج أوراقه فقلت
وتركت المكان كله كان عابد بالبلدة ويستطيع إيهاء الثراء هناك.
لكه أتى بالمندوب يريد لي ما تصور أنه إهانة من روز ماري التي
جاءت تسأل عنه فجلست معي، ووجهت لي الدعوة أمامه، ولم
تذهب معه إلى حجرته

أخذتني لدماي إلى أسراج. وآسي أرشد ونهى شرب الشاي
أحملني في طعة حريذة (أشرق الأوسط) الانكليزية الموصوعة على
المضدة بين

- لا عليك مستر اسماعيل هذه مشاكلنا في باكستان

قد ولم يأخذ الحريذة ولم يعتذر عن وجودها في العمل. لم يعد
يحتر حسبي في الحريذة مغال يسفل مسلحه كبيرة عنوانه. الرأي
العام مضطرب من أجل انتقال بيوت. وكنت أعرف من للصحف

والاذاعات أن بيوت يتنظر محاكمة ثانية بعد أن قدم التماساً بعادة
النظر في حكم الإعدام قال

- ضياع الحق مطبق الشريعة الإسلامية لأن، إنه يستجدي
المملكة السعودية مستر اسماعيل
سألكه

- هل تعتقد أنه سيعدم بونو هذا؟
اجاب

- سبقته. ولو استطاع أن يقتله مرتين لفر مستر اسماعيل.
ورأيت بيلاً يدخل مضطرباً إلى الورشة يخاصمني
تعال بسرعة عم عبد الله يسأل عنك

سبقني في العودة ومشيت خلفه مسرعاً أصابني بعدوى الهم
الذي كان في عينيه، لكنني فكرت هل يتصور أرشد سي مهم
بالسياسة إلى هذا الحد وفكرت أيضاً كيف لسد ليوم كله.

المعتد البرد اليوم هو الثاني وأبعثرون من ديسمبر في لصباح
 نجد المياه في الحنفية مجمدة. هذه حالة لا تحدث إلا في البيوت
 العربية المكشوفة التي يظل الطلّ ينام في ردهتها طويلاً الليالي. المضي
 في الزهرة الصغيرة من الغرفة إلى دورة المياه كأنه سباحة في بحر
 من الثلج. التلفزيون الآن له طعم مختلف، لا يذكرني بأن الدنيا
 أكبر مما حولي، بشعرني بالدفء، نشاهد برصه في غرفة لرواق
 الخالية.

- لسنا في حاجة إلى شريك رابع.

قال وجيه

- لجعل غرفته غرفة معيشة

أريف سميد انقطعت أخبار لرواق تصاعداً ثم يرسل إليّ ولم
 يأتي له نكر في خطابات اسرتي. ومضت ثلاثة أشهر في مدة الفيرا
 التي خرج بها أن يعود.

نقلنا إلى غرفته مضطدة حشوات سفره وبعض مفاتيح وترك
 صريه كما هو أحرص أن يكون صوب التلفزيون عالياً وبدهش
 سميد ووجيه أقول إن موجات الصوت تراحم موجات البرد

وتطردنا من الغرفة يقولون أنني داخل على مرحلة من الجوع،
وبصحك في السانسة وانصف صباحاً أغادر البيت أجد
سيدني أمام الباب مفسولة والدي، وكل يوم نملاً القساء شايورة
كثيفة لا تنقشع قبل لتاسعة بعد أن أدخل إلى سيارتي مرتجفاً
وأغلق بابها وأديرني أبعث نهار أبناء من همي. وأتذكر مياراني مع
الأطفال في هريفق إلى المدرسة من الذي يبعث بجواراً أكثر لهنت
أطول. كل يوم الآن أفضل ذلك وأصحك اليوم أختلف صحوت
أشعر بغثين. ذهبت إلى الحمام وبقيت ليه بعض الوقت استجيب
لرغبة في القيء ولا يحدث عدت إلى الغرفة عبر قاذر على الوقوف
تعددت فوق السرير وسحبت الغطاء فوقي أذكر ألا اذهب إلى
أفعل لكنني ذهبت مضت نصف ساعة وأنا مقود بين الذهاب
والبقاء فوصلت متأخراً

- أين أنا؟

ورأيت أشياء رمادية وأشياء بيضاء، وميرت من يديها وجه عابدة
قريباً مني

- لا تضع يدي فوق الجرح لقد مَرَّت بسلام.

سمعت صوتها أذكر ذلك وأنا اسيقظ للمرة الثانية هذا هو
اندكتور وحيه يحس على مقعد حجار رأسي يبلل شفتي بقطعة فطن
معموسة مائة وأنا معمد فوق السرير في الغرفة ثلاثة أسرة أخرى
عنها ثلاث رجال مائمر لا أرى وجوههم أنا في المستشفى والوقت
ليل مرور الغرفة صمء

ماذا جرى يا دكتور؟

- لا شيء. داهمت الزائرة الدومة هاستانسان

- معقولة؟

- ذلك يحدث للناس كل يوم

- أنت الذي أجريت العملية؟

- كنت نحب أهدأ غيري؟

- لا أفكرك جداً

وأحسست بأسفي. لم أقصد من سؤالي شيئاً وقال

- لا تتحدث كثيراً. الأفضل أن ننام نحن الآن في منتصف

الليل في الصباح أحرص على أن تمشي قليلاً

ثم وقف وقال

- يوجد طبيب نوبتجي وممرضة إذ احتجت شيئاً. جوارك زر

هرس أضغط عليه. هل تطلب شيئاً قبل أن أمضي؟

- أين عابدة؟

- تعمل بالمهارة ألا زلت تذكرها؟

أجاب وأصغف على الفور ولم ينس إلقاء الدور

ظلمت بقظاً في ظلام الغرفة. أذكر الآن كل شيء لقد وصلت إلى
الحمل متأخراً. فأحبرني عابد بغصت عم بعد الله وكيف اصطر هو
إلى قبح مكتبي لأحراج دهر الحصور للعمال. ولد سألته كيف فتح
المكتب هال علي أن لا أسي أن المكتب والعرفة كلها كانت به من قبل

حاصرني الصبي وأحسست ببعض معالحيء. والرغبة في القيء

عابوسي والغلبان كاد يقفني توازني. أسرعت الى حوزة انماء روعت ايام الحوض افرغ ما في حوزتي، ولم تكن تناولت إقطاري بعد جُبل لي أن معدتي ستفقر من فمي، وتقصد عرق شديد على جسمي واشتعلت الحرارة في وجهي، ولم تعد قدمائي تستطيعان حملني، فامسكت بحافة الحوض بيديّ الانتقي. ولم ادري بعد ذلك إلا واب استيقظ في المساء في المستشفى لا يداني سقطت على الأرض رائدة ملعونة بحق تلك التي أهدتني بقة بلا إندار هل يكون الموت مختلفاً عن الوقت الذي مضى وأنا مُضطر فيه لا أشعر بشيء؟ لا أفسأ الموت سهل إذن لا أدري لماذا فكرت في ذلك الآن ربما لأنه المستشفى الذي مات فيه فيليب بعد أيام لقد ظلت أسرع خلف نبيل حين ناداني وأنا عند أرشد، وعند بوابة الشركة ترقف وقال

- مات فيليب عم عبد الله حزين جداً

ولم يقل شيئاً آخر. معرف إلى البوهية وتركني اتقدم ببطء إلى غرفة عم عبد الله نهلاً رأيت على وجهه غيظاً مكثراً. قال-

- سؤ فيليب مكافأة نهاية الخدمة شهر ونصف عن كل سنة وأخبرني كم يصبر له

كنت أعرف أن فيليب أو غيره يستحق مكافأة نهاية الخدمة شهراً فقط عن كل سنة ولاني أعرف أن فيليب يعمل منذ خمسة اعوام قلت

- سبعة وثلاثون ألف ريال ونصف

اماكذ

- أجل. كان ملقه على المكتب في الصباح أمامي أقل منه يباد: لاستمارة الضمان

- اجعلها خمسين ألفاً قل على مسؤولة مدير ثم خطاب عائد الذي كان يقف جوارتي - واد تذهب لي احصاج بالمكافأة لزوجته تتصرف الآن التحجير الصدوق الذي يستشخص فيه احثه إلى ميلان قدفع ثمن الشخص وثمن بتذكر زوجته وأولاده وأحجر لهم على أقرب طائرة

- أليس يدفن هنا في 'الملكة'

تسأل عابد، فصرخ فيه عم عبد الله

- أليس يعني يُدفن بالملكة؟ لأنه أسلم؟ يدفن في بلدته بين أهله. وسكت فأنصرفنا وأنا أشعر بالراء بعد الذي يبدو منكياً أكثر من الملك

دخلت غرفة مكتبي وجلست صامتاً وإذ بمنصور لدي يختلي كثيراً يظهر داخلاً والقرود فوق كتفه، ويقول بعد جلوس

- مه كان يريد الحصول على الجنسية كان يريد البقاء في المملكة قتل نفسه ذهب اليوم لتشييع بالمعكة لي شهر سلامه انتهى كل شيء، وحاولوه إلى المستشفى للختان فمات.

- ختان؟

- طبعاً ما في ختان في مصر؟

ظنرت إليه غير قادر على التخلص من دهشني واستعبد

- ختلى رجل مثل قلبك ليس سهلاً عسمة جرحية

لم اكف بما سمعت، ولم يكن أحد يعرف شيئاً حر في البيت

سألت وجبها ولم يقل أكثر من ذلك أيضاً وأنا لا أصدق وحيه الذي لا يريد أن يوضح لي كيف مات فيليب يخفي عني أمراً وجده هو «جرح الأثر بالمستشفى ما يدري أنه لم يحطى» وتفسير في موت فيليب لكن هل يحطى طبيب مثله في الحضانة؟ لا لأن أن روح الغدري استعالي صاحب التميز تجر لها وسيلة للتعبير في غرفة العمليات معرفة العمليات مثل عرفة العبادة، يعمل فيها الطبيب بإخلاص في اريض لذي أسلم له روحه، أكون وجيه شيئاً إلى هذا الحد؟

صرت تنظر إليه ويتعاش هو بظرفاتي لعله فهم ما أفكر فيه، وليس ذلك هو الذي جعله يسألني اليوم ما إذا كنت أحب لو أجرى في العملية أحد غيره

لم أستطع أن أتقبل موت فيليب بسهولة صرت عازماً في العمل عن الكلام في النساء ذهبت إلى واضحة، فقالت

«لماذا تبدو كثيراً على غير ما يرام يا أستاذ هل تصابك ملادة إلى هذا الحد؟»

سكتت تأملت عينيها فأرحت أهدائها فوقهما، لكن كل لا بد أن ترفع الأهداب أو لا تأتي إليك، لا وروحي مسجدة لتخضوع، إلا بقبي فرح جدلان لكن دائماً ما يحدث شيء يلقي بالاحتقان. وحكيث بها قصة لطبيب المصري الموقوف الذي رأيت منه في الطريق مرة فهاجر الدم من وجهها، وحكيث لها قصة فيليب فاستمع لي حبل غالب رأت حدث في كل الدنيا ويستنصت ثم قالت مغضب بها لا تعهم معنى دخول هؤلاء الناس في الاسلام،

ولا تصدق أنهم حين يعودون إلى بلادهم يحتفلون بالاسلام تعهم هي بنت الملاد حبسها العقوي كذب الامر كله بالصبر كسبهمه منصور لكني أرى في حالة فيليب بعض الصدق ولا أستطيع الدفاع رجل تجاور الحسني ولده من أبناء عشرة لا يكذب رجل صعب يحضره الخوف من العودة إلى بلاده دون أن يكون قد حقق ما أراد لأولاده فاحتار أصعب الطرق يصلح من جدره

قلت لها سأحاول أن أتيك بعد ذلك جلي أبداً، فابتسمت وراق لي وجهها، وعدت أنظر إلى غرارة شعرها، فنتحرت في جسدي طالة حفية، واذم عصرها الفاضل فأنكمش ويهاصري «صرف»، وقالت إنها تحب مصر كثيراً وتتمنى لو زارتها، ومن جذف يقول إن أهله في مصر كثيرون ولو سافر واحد منا إليهم لاحتقوا به وسكتت وقالت المشكلة أن جذها لا يذكر أين يعيش أهله ولا أين كان يعيش ثم ابتسمت وقالت مسكين شاع وفسد وسألني هل أعرف مصر جيداً قلت أعرف الاسكندرية لكن من يكون «الأم صعباً لوجاءت أن أعرف القاهرة وأسوان وأي مكان، وقالت نظرائك ثم قدمت إنها تحب الأفلام المصرية، وكثيراً ما لا تصدقها كتب ندهش من جمال «السوان» وقالت نظرائك وقالت مباحاً أنت أجمل، وأطوقت خجلاً وقالت «الحر أفسداً يا أستاذ»، وقلت قاصداً «أراك أجمل» وبحثت أقرأ وجهها ما بها تشرد طويلاً وتطو على الوجه الكوار شئ من الأسى والضيق وقالت هل تعرف لماذا عصبي الدرس يا أستاذ؟ هل تعرف لماذا لم تلحق لأحد «الدرس» باعتني وتامت وجهها، وقلت أعرف ما واضحة بل إنني رأيتك فوق العرة وجب الشمس ورأيت عينيها تشتتان وينسكب منهما الدمع كما لو كان ينظر خلف أحد

شهقت وقالت «قتلوني يا أستاذ» والطرق فوق المكتب فعدت يدي
ومشيت بها فوق شعرهم الغرير الناعم ثم نزلت بيدي إلى خدها
لأسفل الذي كان مثلاً ورفعت وجهها من تحت ثقبها لا عذاب
في الدنيا يمكن أن يرتسم على وجه كالذي رأيته على وجهها الصغير
وأخرجت من حيب سترتي منديلاً ورقياً ووجبت لمصح الدعاء وما
سال عن رجيتها من كحل معه لم أنكم ولم تتكلم ولم يكن ممكناً
استكمال الدرس اليوم أيضاً. وقفنا واقتربت منها فإذ بها تفتح
عينها في انبهار وارتعشت شفاتها وانعشت واستطالت هي إذ لا
بد شئت على أطراف قدميه لكبي لحت الباب مفتوحاً كالعادة
ذهبت إلى الباب لأغلقه فأخذت طريقي وخرجت مسرعاً

وعدت لي واضحة أمس أيضاً فلم أجدها قال خالد إنها
سافرت للرياض وستعود بعد أسبوع ضحك وقال إن لها حالة في
الرياض كثيراً ما تشتاق إليها ولا تستطيع واضحة أن تتأخر عليها.
وطلب إليّ الجلوس فاعتذرت، ومشيت الفكر هل هو صادق فيما يقول
أم أن واضحة أثرت الابتعاد. «ها أنذا بالاستشفى ولا بد أنني
سأضي أسبوعاً أيضاً» النوم يتغلب عليّ الآن وأسمع صوت أذان
الحجر بعيداً في البعدة النائمة

١٥

استيقظت في حوالي التاسعة ما زلت أسمع «صوت»
عصافير خارج النافذة. رأيت وأنا افتح عيني الثلاثة الذين فوق
الأسرة كوريسون يتكلمون واليهجة في عيونهم وضجيج غريب لي
أصواتهم. ورأيت ألسانهم تتحرك بسرعة غريبة أثناء الكلام.
ابتسمت لهم، فقالوا معاً في مرج «غود مورنغ غود داي» إن شاء
الله. ابتسمت مرة أخرى. ورأيت عابدة تدس الحجرة على وجهها
اشسامة رائعة. وتتألق عيناها السرداوان ابواسعتان في وجهها
الحمري، وترهق ملابسها البيضاء

وقفت جوار السرير وقالت

— يجب أن تنهض فوراً وتمشي في الطريقة بقدر ما تستطيع
لم أرد وبقيت أتأمل وجهها. قلت

أنت عابدة

اقتربت أكثر وقالت

— هيا انهض معاً معك

وأصك دواعي تنهضي قلت

سأمشي وحدي.

- إن لا تتأخر
وتركتني وحرحت

فمت ومشيت قليلاً مستهداً إلى جدار الغرف، وعذب إلى السرير،
فصعدت فوقه متعاً، ورأيت الكوربين يقفون في جلايب بيضاء
يحمون حجاب صغيرة جداً دعت عائدة ومعها حقة، فكشفت
لها درسي
- اسلام عليكم

هاتف انكريدون وهم يخرجون لم تلتفت عائدة إليهم ولوحت
لهم بيدي، رأيتهم يمشون متبعين السياف قليلاً، ولا بد أن عائدة
ادركت ما الكرفيه، وركت الدهشة في عيني إذ قالت
- كوريدون اظهروا اسلامهم أمس
ابتسمت وخرجت عند الباب قالت
- لا تحاول أن تشبه شيئاً اليوم، وطبعاً لا تفعل

لم تعد بعد ذلك لا عند الظهور دخلت وحملها عربة المرضى
يدفعها بعدن ومعها امرأة مسنة مصرية نادتها عائدة بيازم ربيب،
وهي تطلب منها أن تصنع المريض يرفق عن أحد الأسرة خرج
محمل وأم ربيب يدفعان لعربة العارعة، وقالت عائدة

رائدة دويبة أيضاً داهمت في السيارة شلب سعودي كل
قادم من مكة في طريقه إلى دركها، قال ملك قبل العملية، وشعر هنا
سألام حادة في مطه حواء إلى المستشفى

وحل الدكتور وجيه يرتدي الخنطو الأبيض يمشي في حويله حد
كثني لم أعرفه من قبل، قال،
فيه، كيف حالك مشيت اليوم؟
- هزيت راسي مبسماً

انا مشغول جداً ربما أراك في انشاء هب ياسسستر في العجنية
الثانية

وخرج وحله خرجت عائدة بسرعة رغم ما يد في أول مرة، من
تتأخر بينهما، فوجه لا يعتمد إلا عليها كما عرفت بعد ذلك

زارني سعيد في الثالثة وأحضر معه جلابياً وساعدني في حلج
جلباب المستشفى القدر وصحكت وأخبرتني بشعوري حين أرى
الجلباب فضلك وقال علي أن اتحمل الهواء في فحذي هذا الأسبوع
وأحضر معه أيضاً علبه كبيرة من عصير البرتقال الجاف وثلاثة
أطباق صيني وكوباً وملحقة وشركة وسكباً وبعضاً من شايي
الداخلية وبطانية لأضعها غرقي ومواق، بطاطين المستشفى
القديمة وبعد سعيد جاءني بين أطل هي بوجهه يصحك من
الباب أحضر لي علبه من الشيكولاته وقال إنه كاد يموت حين رأي
منقى على الأرض في صورة مياه الشركة قال إنه سمع صوت سقوطي
وهو في البوفيه خرج ليري مصدر الصوت فلم يجد شيئاً أمامه ولا
يعرف ما الذي عداه للذهاب إلى دورة المياه فوجدني ممدداً على
الأرض وضحك وقال «أنت ثقيل جداً» هو الذي حمسي بعد أن
صرخ، وجاء عابد يجري هقلاني إلى المستشفى وقال أن أرشد
حرين جداً لأجلي، ومند صرح وقال مياه الأندر ملعونة، وصحك
ثبيل وقال أن روز حاري اتصلت تسأل عني وأنه كان موحوداً

ملكوت فرد عليها قالت له رآيت اسماعيل فقال اسماعيل
هو سبنال اندهشت وقالت «هو سبيتال» فقال هو «ييس» أو
بريش» ريساني هل احباً في الامكليزية وضحكك واحسست
نالم لي لجرح من شدة اهزاري، فمضيت، وقلب له أن يسكب،
من أستطيع يصحب أكثر صحك وقال «ادن أعماك ولكمك عن
مصور» لكني صحكك بصوت مكتوم فقال سيروك هو والقرء»
وقبلي على جيبتي وانصرف

احسست بدعرج عن مقاومة الأعطش، وبجفاف شديد في حلقي
وشفتي، ودخل معان الى احجرة، فقلت له أن يبي لي قطعة قطن،
ورحت أمس بها شفتي، ورأيت يلف فوق راس الشاب السعودي
الذئب لي حبرة، ثم التفت رسالي
- من اذق من البهج؟
- اذق، كان ينكم كثير ولم أفهم منه شيئاً.
ضحك وقد
- كل لدس هاتنكم كنت قادماً لأهيه

وانصرف بعد أن شرع الوسادة من تحت راس الشاب ووضعها
عند قدميه وهو يقول «عمارة أم زبيب» ورأيت الشاب يفتح عييه
ينظر الي ثم يعود يسقط في النوم

في صبح اليوم الثاني سرت في الدنيا أكثر منها حولي. احسست
بهر لي وشحومي وأر حسمي بات وكأته من اثر شيء بين السماء
والارض واحسست كسي استريح من رحلة صعبة الوصعدت على

حبل عالي وحلست فوق قمته المتعشة وفتحت مسم جدي لهواء
النقي فكرت في الامس كيف مضى حبيلاً وأرسي عاد ايضاً لقانق
وزارمي بعده أرشد وجلس صامناً ينامني عبر مصدق، وقلت لي
المعرضه التي تعمل بالليل أن شخصاً اسمه ميسر جاء يسأل عني
فوجدني نائماً وانصرف بعد أن ترك لي هذه الملة فحبته فوجدت
فيها جلياباً جديداً ومهجة جديدة كبيرة ورجاجه كوني أود
سياس يا الهي كل هؤلاء اسرعوا يروني ويظمنون عني، لا بد
أن الامور على غير ما يبدو لي.

وأهلت عابدة من الياق باينسامة أكثر القأ من لاس لعلي أن
الذي صرت أكثر عافية وأفضل استقبلاً لما لراه
- تستطيع اليوم أن تشرى
وبكفت جوار المرير بعد لي كويأ من عصر البوقال قدمته لي
وقالت

- ليس كله

شرئت وهي تنظر الي لا تكف عن الابتسام وضعت الكوب فوق
الكوميديو وانشمت، سالتها
- لماذا لم ارك احسن آخر اللها؟
- أجريتا عنيك كتيرة وعدت الي «السكن» لي غابة الشعب
- طيب يبدو أنك تضحكين لشيء تريدان أن تقوبه
- اطلاقاً
وعادت تنضم ثم سالتني
- من هي واصحه التي ردت اسمها كثيراً وأنت في البهج هز

هي مصرية؟ هذا اسم سعودي

إس أفسيت كثيراً من الأسرار مجاهلت الأمر، وسألتها

- أي أسماء أخرى قلنها؟

تسمت وقالت

البتاحي كامل أروب أول مرة اسمع كلمة أروب هل هو

سم

- هورت رأسي باسم وأسمرت هي - فيليب لقد كنت تريد

فيليب كثيراً جداً أكثر من كل الأسماء - مرراً واحدة أيضاً سيد

الفريب، هل تعرفه؟

أشرت بها بيدي أن تجلس على المقعد المجاور للكوميديو

فجلست بدت كتلميذة طيبة فنهدت وقالت

- أنا أريد أن أسألك عن فيليب

- أنا لا أعرفه

- فيليب سعودي بيليا رجل أسود طويل له وجه قوي ميلاني

أشهر إسلامه وجاء هنا للفحطان ومات منذ أيام

أغمضت عينيها ورفقت سحابة دكنة خفيفة على وجهها ثم

ابتسعت وقالت

- يحدث هذا كثيراً

- أريد الحقيقة

- يس اندكسور وجيه على أي حال لم تكن نوبتسا، جراح

سعودي مقتدي، لكنه أيضاً أسس خطاً الجراح خطاً معمل

التحاليل الذي احتلظت عنده عينة الدم حلل عينة مريض آخر

باعتبارها عينة فيليب جاءت العسة سلبية في كل شيء لكن فيليب

مصاب بضغط دم مرتفع جداً اندفع الدم بقوة ولم يكن هناك

سبيل لإيقافه مما

هذه هي المسألة الآن حطاً تامه لكن هل يحتاج الأمر أن يجعده

وجبه عني ربما لأن الطبيب سعودي ومالك عابدة بن، حصاني

التحليل بالمعمل سعودي أيضاً، ثم سألتني.

- لماذا تهتم به؟

- كان صديقي

قلت وبسمها نعيماً شديداً فجأة من الشاب الصغير الذي معي

في الغرفة. قامت واتجهت إليه.

- لماذا تبكي يا ياسر؟ بؤلك الجرح؟

قال ياسر الذي سمعت اسمه لأول مرة

- الجرح هين يا ست عابدة

جلست على مقعد مجاور لسريه وقادت باسمه

- تريد أن تعود الى مكة؟

- أريد أن أرى أمي

نظرت إلي في دهشة. يبدو ياسر صغيراً جداً في حوالي العشرين

لكن لا يقن أحد أن شاباً في سنه يبكي ليري أمه قالت

- سنراها بالتأكيد أيام قليلة وثرها

- أمي هنا في نوك

وعادت تنظر إلي في دهشة. وقال ياسر

- أنا من مكة، لكن أمي من نوك لم أرها منذ مودي ملقها

أني وذهب يعيش في مكة ولحدا معاً أنا وأختي. لم يسمح لنا أبداً
برؤيتها أو السؤال عنها وهي لم تفتح يوماً الباب. أنا أعرف أنها من
تموت واسمها مصالحة، وهي حشنة أريد أن أراها

قال ذلك وعاد بجيش ملائكة وبدت عابدة شاردة الذهن ثم
قالت

- سأحضر لك أمك بشرط أن تكف عن البكاء.

تطلع إليها بعيني وأسفرت متوسلتين وقال

- سأفعل أحضريه لي الله يرضى عليك.

وتوقف عن البكاء ونام عن الفور. نام نوماً حقيقياً. وقامت عابدة
واقتربت مني وقالت:

- هنا يتزوج الواحد أكثر من واحدة، ويعيش الضرائر بلا
صفاتهن، لكن لم اسمع أبداً برجل يهزم زوجته من أبنائها، فما
تفزع الزوجة أحياناً بزواج زوجها من امرأة جديدة لأنه يضطر أن
يقدم إليها كل ما يقدمه للجديدة من ذهب
- هل ستجدين أمه فعلاً؟

- سأجدها لديد هنا حادمة سعودية اسمها مؤخبة، تعرف كل
شيء في تبوك، وس تعبر عن الوصول إلى أمه صالحة المستعمية كما
يقول

وخرحت ورحلت أب اسلم إلى الشاب الذي نام بدواعة الطفل
الصغير

أقدام مسرعة تدب في الطرق خارج الحجرة، وصحكات نسائية

تأتي من بعيد، ففقت على مهل، وعادرت السرير، ودمعت العات
اتطلع إلى الزحام. في آخر الطرفة رايت عدداً من المرضى الرجال
وبعض الممرضات، ورايت عابدة تقف على باب مكتبها وتشير إلي
أن أدخل إلى غرفتي تقدمت منها

- ماذا يجري؟

- شيء سخيف

وبدلت مكتبها عابدة لا أدري لماذا، ومعني هب الاستطلاع
أن أتقدم في الطرفة حتى وصلت إلى الزحام، ورن بالدكتور وجيه
يظهر فجأة عاصباً صارخاً في الزدحمين بالانصراف، ولم يبق واقفاً
غير ضبية باكستانية وأنا رأيت وجيه ولم يكلمني وحدث الطبيبة
الباكستانية بالإنجليزية

- ماذا تفعلين يا دكتورة؟

- ليس هناك طريقة أخرى

- لكن هذا لا يجوز في المستشفى

- فما طلبا ذلك ثم أن هذا عملي

نظر إليها بغيظ شديد، وانصرف دون أن ينظر إلي، ثم تراقب
فجأة والتفت يقول للدكتورة الباكستانية

- هذا مستشفى يا دكتورة وليس قسم بوليس

وبدا أمها غير آبهة له، وعاد الزحام من المرضى والممرضات،
والدكتورة الباكستانية تنظر إليهم بسلامة عريية، وسمعت صجة
داخل الحجرة المتعلقة أصوات مختلفة مواء وعواء وشحج وصراخ
وشكائم وأنفاس متلاحقة ووقع أقدام سريعة وأشياء تقه ثم صمت

موسى وأساس متعة ثم فتح القلب فظهر رجل سعودي متوسط
العمر ممسك الثوب، في عيبيه عصب ناري، ولحّت خلقه امرأة
حائسة فوق السرير تعطي نفسها بالملاءة البيضاء وشعرها منكوش
وعياها معدن
- هذه مجنونه

هتف الرجل، وهز من بين الرحام كما تشطر للسكين قطعة الزبد
وسقطت عثرته التي كانت مفرقة على كتفه إلى الأرض فلم يهتم بأن
ياخذها ودخلت الدكتورة الباكستانية الحجرة وأغلقت الباب
وسمعا نحيباً طويلاً هادئاً وانفض الرحام

شاعت احكامية في المستشفى بسرعة، وعرف الجميع أن
الدكتورة سرمد، الباكستانية سمحت لرجل أن يعاشر زوجته في
غرف المستشفى جاء يشكو زوجته وكيف انها تكره أن
يعاشر، وكانت زوجته معه، فقالت إنه هو الذي لا يستطيع ولقد
جاءت معه لتساعده عن أن يفرض نفسه على ضبيب، لكنه خدعها
ودخل بها إلى طيبة النساء، وقدأت سرمد، من روعهما وجلست
معهما سريلاً تتحدث بلغة عربية متحركة عن الهدوء النفسي الواجب
قبس لذة الزوجين، وفجأة انهم الرجل أن يعاشر زوجته هنا في
الغرفة نفسها لتعلم الدكتورة أنه سليم، وتحدثت زوجته ووافقت
فأغلقت عليهما «سرمد» الباب

كيف يحدث ذلك؟

سألت عايدة التي دحنت معطبي قرص «الامسحون» قالت

دون أن تنظر إلى

- عالم مجانين

وظهرت امرأة سوداء جداً وقصيرة وسحبية عيد الباب فقال-
عايدة

- انه يا «خبة» وجدتها؟

- ها هي معي

وافسحت طريقاً، فدخلت امرأة أخرى قصيرة وبدينة أيضاً،
حول رصفيها - هب كثير، وفي أصابعها رعن صدرها، وتلطي وجهها
بطبقات من الحبر الأصود سألنها عايدة،

- أنت سالحة؟

- نعم

- هذا ابلك ياسر

لم ترد المرأة تَقَدَّصَتْ وكانت «خبة» قد تركت الباب وتراجعت،
ونظرت إلى عايدة التي بدأ دمع يتراقق في عينيها تَوَلَّعَتْ مشهداً
عاصفاً بالدموع وجلست المرأة على كرسي جور سرير بها عند
رأسه، وتقدمت عايدة ووقفت أمامها نرفقه فتح ياسر عيتب ونظر
إلى المرأة الجالسة، وقالت عايدة بصوت محنوق

- هذه امك يا ياسر

اغفل ياسر بسرعة، واستند مظهره إلى ظهر أسريه، وهبط

بصوت هامس

- أمي

قالت المرأة بصوت عالٍ

كيفك يا امي كيف أختك حصّة؟

ولم ترفع، فحمار معدود الطمقات عن وجهها فأملها يأسروا وقال
هدهداً

بحر

- كيف الشيبة؟

بحر

- تعيشون في مكة؟

- لا ذلك

- الله معكم

وقامت وانصرفت وعديدة تنظر الي وأنا انظر إليها، وبظن أن

يأسر، فلهذا كتفه، وقال

- امي صارت مجنونة

- وسكنت ولم ينظر إلى أحد

لم يكن من الصعب قتل الوقت جاءت سيارة في اليوم التالي،
وأخذت يأسراً إلى مكة وكان دائماً معي في الغرفة واحد أو اثنان،
لكن لا علاقة بيني ولا حديث لقد حول وجهي عرفتني إلى غرفة
ملاحظة يمضي فيها أريصر قليلاً من الوقت قبل أن يغادر
لستشفى أو ينتقل إلى حشرات المرمى، وحول غرفة الملاحظة
الأصلية إلى غرفة استقبال طويل فعل ذلك حرصاً على راحتي كما
قال

تفرغت لقتل الوقت باستطلاع ما يجري في اليوم التالي لحادثة
لذكوره «سرداره» أنت الشرطة نتحقق في شكوى رجل من البادية
يدعي أنه أحضر ابنه الصعيرة المريضه إلى قسم الأطفال

فخطعتها للمرضة المصرية رأيت المرضة تقعد في ابصالة بين
ثلاثة من رجال الشرطة بينهم ضابط وعلي وجهها، عر شديد كانت
عديدة وعدد من المرضات يجسمين ويضحكن قالت المرضة
التهمة إلى ابنه الرجل موجوده وإبها هذه لتي تمسب بيده وقر
الرجل إبها ليست اسمه ضعة في الثلاثة سمراء شعرها عريز
وعيداهما واسعتان عسديتان يرتدي عسدياً بمبي مددش الدين
بدانر أحضر من الدانتيل والي جامبي رسها «ميونكتار» من شرط
الحرير الأحمر كانت بحق دمية جميلة يريد من ذلك ابنه صامته
لا ترد على كلام أحد قالت المرضة إن كل ما فعلته هو أنها رأت
البنث جميلة في ثياب فذرة غاخذتها إلى «سكن» وأبستها هـ
اللبس الجميل بعد أن أدخلتها السجن وقامت أظفارها وزجت
شعرها وعطرتها ولكن الرجل كان لا يزال يقسم أن هذه ابنت
ليست ابنته وأنه لن يتنازل عن بنته ولن يتنازل عن سجن
المرضة المصرية التي فجأة رآغت عيناها إلى بعيد وبدا أنها لم تعد
تدرك ما حولها ثم صرخت بافطاع طويين، لفرغ الضابط وأشرعين،
وتراجعت المرضة وهي تكرر الصرخ، وأسرع عيدة وزميلاتها
يتلفينها قبل أن تسقط فوق الأرض، واستطعن بحالها إلى عرفة
المرضات القريبة، وأغض الباب حلمهن سمعت صجة رصرخاً
مستمراً وبهجة غناء في صوت شديد الحرارة وليسخرية محببكت
والححك وحاحك على طول، ومن الارتباك عن وجه الضابط اندي
امر الرجل البدوي أن يأخذ البنث ويمضي من يقول لها انسي
أنا أقول صرخ فيه الضابط سدهدب لثملك ادعبد بلشبيش

وجعل الرجل البنت على دراعه، وانصرف في عجة وعيط

وانصرفوا لصابط والشرطيان الصريح منه

استلقيت على سريري مع قادر علي أن أقيم ضحكاني ضحكاً
وحدي بالفرحة وصار صوري مسموحاً أطلت عابرة بوجهها
تصحت ثم قالت
- هباً أنت تستغرب!

وقلت تصحت ثم وجدت به ثم بعد ذلك مسكت وتطلعت
وجهها البهيج لا بد بها أدركت أن أجسأ بالراحة صار يشمل
جسمي وروحي فاب أشعر بقائي عيني وأبصار وجهي أرحت
رموشها الطويلة وتكلمت

سمعت «وردة» الممرضة التي صرحت. لم يعثر على عملها هنا
سنة أشهر. بدأت عيني في استوصف «صبا» وفي ضبا لا يوجد
سكن للممرضات غير للزوجات عادة لا تذهب هناك مع المقرحة
يكن هكذا جاء تعبير ورده كان لأطباء والممرضات يتركون
استوصف في الساعة الثانية ظهراً إلى بيوتهم الأطباء جميعاً
متزوجون وممرضات كذلك. إلا ورده التي كان عليها أن تبقى
بالاستوصف نفسه في إحدى الغرف فوق السطح تمام
للمستوصف كبير به أكثر من عشر حجرات بالصور الأسفل

كان على ورده أن تصي يوم بعد الثانية ظهراً وحتى الصباح
وحدها أن يحجب حجم الأفكار التي يمكن أن يصر العقل في
بلد بعد معمر وفي مكان حال أصاب ورده انهيار عصبي شديد
وبقيت إلى هنا وصحكت عبيد وقالت إن ورده تعش الآن في سكن

الممرضات تضحك كثيراً بلا صابط وتذكر كيف كانت تقطع الوهت
بالقضاء فوق السطح كانت تغني للسماء والعصاة وتجري وتفر ثم
هجة تلطم حديها وبالليل تنكش في أبعد ركن من عرونها وتستحب
الآن. بعد أن يوصف النهار كثيراً. تشر ورده سفيها ثم تعود
وتشرع في العناء الذي سيقفه فتلبسها «عدة صبا» كما صر
سميها

- كنت أصيبها حانقة من الصابط

قلت ولم أمتلج أن أسمع نفسي عن ضحكك وضحكت هي
أيضاً وأرتجع صوتها. صرحت بضحك كلما تقابلت عيوننا يكن لم
يكن ممكناً الضحك في كل وقت.

صوت على صراخ جسدي. وتركت سريرتي فزعاً أنا الذي
أصحو كل يوم على صوت للعصافير التي لا أراها وجه عبيدة
البهيج خرجت ووقفت أطلع إلى مصدر الصوت بقدم من أطرلة
المتعامدة مع غرقتي. والمتجهة إلى غير المساء

شرطيان يمسكسان بأمرأة صغيرة تحاول الإلالت منهما وهما
يجزأها بغلظة ونغيط شقراء. شعرها طويل يغطي وجهها وهنرها
وتكتفيها. ويصل إلى نصف ظهرها اقتربا بها أكثر. ورايت عينيها
حمر لويين لكن وجهها شديد الاحمرار من آثار لعنات سابقة

كانت تقع على الأرض. ويرفعانها بقوة وتتشتت بسيفتهما.
والنساء المريضات يكيين أمام الأنوار والممرضات من كل قسم
وقفر يبحبن. واقتربت ورده مسرعة تحسن طعناً صغيراً أسود.

سجلت به الى عرفة عابدة التي كلنت دفع حوارى ولا أشرك كان
هناك صديق مصري شاب بقف حلق المرأة الشرطيين يرفع نظارته
اسيضاء ويمسح عيبيه ويمشي خطوه كلما تقدم الجسدان بالمرأه
خطوه استطاع الشرطيين ان يسحبا المرأة الصغيرة بقوة، ولم يعد
يسقط على الأرض تركت نفسها تسرع بينهما، وكل منهما أمسك
بأحد ذراعيها فدفعت الزوب البني عز جلابب أحضر به وزود
ببيضاء ويرتدلية، وتسع صدرها مبان طوقها وجيدها مبهزين،
ونزلا به السلم والطبيب خلفهما

دخلت عابدة الى شرفتها وجدت نفسي أدخل روعا رايت ورده
جالسة والطفل على صدرها تربت على ظهره وتبكي، وعابدة حلف
المكتب وضعت رأسها بين كفيها وتبكي أيضاً قبل ان أتكلم دخلت
المرأة انني كان يجرها الشرطيان الى الحجرة في حلق، وهجمت على
ورده تأخذ الطفل منها فتركته ورده دون مقاومة، وجلست المرأة
على الأرض وبسرعة شددت طوق جلاببها وأخرجت ثديها وألقت
على الحافس شديد السواد، وراحت تنظر الينا بعينين لامعتين
مرعوبتين، وظهر الشرطيان كأنهم جيتان، ولكن الطبيب المصري
الشاب لحق بهم وصرخ

- اتركها وشباب

كاد يهجم على امرأة مكبهما توقفا ونظرا إليه شزوا فقال
- امرا وسالحوكم معها أنا المسؤول

ملا ينظر إليه بحدده ثم انطلقا يمشيان ويدتان على الأرض،
وينظر هو الي ثم انهار جالسا عن مقعد قريب، لحظة ورمع رأسه إلى
مرأه التي كانت تشد على الطفل في صدرها كأنها تريد ان تحفيه

فيه، وتغطيه بأطراف الزوب فلا تراه، ورفعت امرأة وجهها إليها
دموعها غزيرة لكنها فجأة أخذت تتسكب انسكاباً وهي تنظر الى
الطبيب الشاب

- أعطها شيئاً تشربه يا ورده

قال الطبيب، وبثحت ورده ثلاثة صغيرة أخرجت منها دورقاً به
عصير برتقال، قدمت كوباً للمرأة التي أخذته وشربته دفعة واحدة
بدأ لي أنها لبست هي التي تشرب لقد تركت الكوب جوهر على
الأرض بسرعة وانكفأت على الطفل ترضعه شبع الطفل لما دخلت
ثديها الصغير الى صدرها، وترجعت بظهرها تستند الى الحائط
كأنها تستريح الى الأبد.

- يا اخت لا غائدة من ذلك كله لقد تركتك تعويدن لثري ابنك
خمس مرات الآن

مالت المرأة الصغيرة الجميلة برأسها إلى الحصف رالعة عينيها
اليتا وتكلمت بالكية

- صدري يخلعني يا دكتور انظر الى الجلابب

وتظرت أنا أيضاً، فوجدته فوق صدرها وإداه نحيب ورده التي
وقفت في ركن ووجهها الى الحائط بسم راحت عابدة تمسح عينيها
بعنديل صغير، وتكلمت المرأة الصغيرة الجميلة بصوت مهيء
بالعذاب

- صدري يا دكتور كلما ابتعشت يحن ويدل منه السر،

وسكنت وتركت دموعها تتكلم، ورفع الطبيب الشاب صدرته،

وراح يمسح دموعه بمعديل من الورق، ثم نظر الى ساعته وبدأ انه
بتماسك وقال لها

لقد احبب عرسك وهو مع سمير وردة ويسمر عابدة أيضاً.
ورعدتك انسي سائرس ليك باسم الاسره التي صنعته فقي لته
سياتي يوم تستطيعين فيه العودة الى الملكة وتعرفين الى اينك
بدا لي بترك اي أسرة تأخذك دون ان تعرف عنوانها.

وقدم بهدريه ومد له يده، فقامت والطفل على صدرها ثم قدحته
ذ هلة الى وردة التي مدت نراعيها وحملته. وبطل نظر المرأة الى
وردة الى وردة ويسر الى الطفل، هل كانت تريد ان تستوثق بان
التي اخذت منه يشرها حقيقي؟

لم اشأ اعرف القصة حتى اتملوا جثة عبد الله بن الزبير
ووضعوها على حجر امه اسماء العجوز الهرمة التي شارفت على
الامه اجبت عليه تقبله وايقن انها حاصت ويزل من شبيبها اللبس

لم اترك غرقتي ولا كملت إلا آخر النهار حتى سجلت عابدة وخلصها
ابحدهة لمصرية دام زبيب تعمل الطعام

- نسيت ان احصيه لك في الهداء لا يمكن ان تمضي اليوم بلا
اكر

- لم ار اماً بهذا الهلع من قبل

- لم ير اماً تقصر عن اسمها الى آخر الزمن
الى بعد مرة اخرى

- صمت حيل مثلها يوضع على الغائمة السود

- لكن الطفل ليس صغيراً ليس مولوداً حديثاً

- امضت عاماً في السجن ترصعه في مثل هذه الحانه لا تترك
الأم طفلها الا بعد عام حسكر الدكتور أحمد ورس ضا من
اسيرج ققما وكفهو بمراقبة الام حتى انطار رحمة يرفق الام
طبيب حتى لا تقدم على شيء خطر حتى لا تموت أو تسهر لموت
الرحم فصور لقد رفعت طول العام ان تدس مشرطة عن ابيه ابو
الولد.

اتصحت الصورة فتاة عرب بها احد رجال ابيلة الملا م
تعرف باسمه؟ اتراها كانت تأمل ان تأخذ بنها تركوها عاماً في
السجن ترصعه لا بد ان تتسلمه ادولة اكثر عافية وهي الام،
لم تستطع ان توقف مرور العام كم من منى حرافة تعلقت
المسكينة بحبالها الهمية وبما فكرت ان الله قد يهيئ لديها فجاة
فتفجر الى الاخرة وابنها في صدرها.

قالت عابدة ان المرأة لبنانية واهلها يعيشون هنا بكنهم ثيراو
منها لا يريدون العودة الى لبنان الى اير يذهبون ويهرب قاشمة
في كل مكان؟ لقد تركت لذا عنوانها وكى

وسمكتها طويلاً والطعام سبب لم أكل منه شيئاً شت وإنه صغر
حصيل-

- عبد الله؟

قلست

لا اعرف اسمه

قالت لهم اعطوه هذا الاسم، وإن القلاء يوضعون هنا في قسم
لأصغر حتى تتسببهم إحدى الأسماء أو الأضواء أو يقلوبهم إلى ملجأ
بالربص، كتبها ورملاها يحسن أن تأخذهم إلى السكن إلى
سنة يوم هو اليوم الذي يتنفي فيه الملأ أحد لا يحدث ذلك إلا
بعد أن يعتد على ظهر ويعتاد عليهن، يصبح له أكثر من أم تبكي
لغراقه، ربيكي هو من أجل كل هاته الأصوات

وكأنني دخلت من باب أقصى إلى جحيم لا خروج منه لا
استطيع البقاء أكثر من ذلك وإن ضبطت نفسي متلبساً بانتظار
دخول عابدة المبهج لغرفتي في الصباح، لقد نسيت الدتف بالخرج
لم يكرر أحد زيارتي ولا أنا عدت أنكر أنني أعرف هنا أحداً

لا أعرف الآن إلا أخطوات مسرعة تعمل اكياس الدم لا تمان
جريح، وإلا بكاء الممرضات على أموات الذين كان يمكن إنقاذهم
لولا ولولا ولولا، وزعيق الأطباء في المرضى أن لا يتركوا أسرهم أو أن
يتركوها وبمشوا حتى لا تتجلط أدماء في سيقانهم لا أعرف إلا
صوت زغاريد تنطلق من قسم النساء هذه فتاة بكر وضعت
مولودها بعد ثلاثة أيام من الطلق والألم والانتظار من أهلها وما هي
الفرحة ثقل من عيني الروع لشباب الغريب الوحيد الذي تحضر
الممرضات لإيمه كساء على نفقتهن وهدايا لأمه الصغيرة وبصاماً
ساختاً لا أعرف الآن إلا صراخاً كأنه قادم من مصور سحيفة من
رجل محبوب في غرفة سلفية ميبتر لي مستشفى لأمر من
العقلية بالطائف بعد أيام، وأسمع دائماً صوت عربة رجل المرضى
تسرع في الطريقة وتعمان الخادم يسجد في أم ربيب المتعة الجادم

من أصل السدة له خلد من بلاد بعيدة وقريب من عرقتي غربة
لعمد ريق وللرس أشباح من صراحهم هم المقيدين في أسرهم
بمعروف بالعين والناش المتلهي إلى نقطة ماء لا أعرف الآن إلا
سيارات تنرصدها الحوادث نهار عليها حُرُفُ حجة من فوق
الجرس أو سقط هي حجة من فوق الجبل أو يدفعها القدر إلى
«قلبية» فتقلب بلدة قديمة ذات اسم قديم ولا أدري كيف كانت
تقلب الجرس من أي ميلاد أنا ومن أي مكان قريب أثبت فعل
ثقل راح يغطي الذاكرة ولم أصر هذا إلا بصعة أيام لا يكفيني
وجه عايذة الرنق المبهج وسط هذا الجحيم من الممرضات
والصعكات واموت تفلأ في الحياة. كيف حقاً لا يموت الأطباء
يفتتح الممرضات؟ أي قوة شيطانية وضعها الله في بني الأسفل
ليبدون في نهاية أقوى من الأحجار؟

رأيتي حائل غدا وكأني مرلته من قبل في بئر مظلمة ولا أكاد
أعرف على ملامح وجهه ولا أدكر حتى اسمه «واضحة تهديك
سلام» قال ولمكرت أسأل من هي واضحة، وكان دماً. قال إنه علم
من سعيد بمرهي، وإنه أخبر واضحة في الرياض، فأنعجت كثيراً
وتهديني السلام ما «سلام» كنت أقول قال «واضحة ستعود بعد
يومين» ولم أقل أنتي سأخرج بعد يومين هكذا حدد لي وجه موعدي
الخروج مع أنني رجوت الخروج اليوم

وخطت عن لقائنا صمت طويل. ونهت فحاة إلى رقة وجهه ولولا
ساربه والعقر الأسود والغتره بصلر واضحة بلا اختلاف ابن
ما زلت أذكر وجهه من عرفت ومضى وهو يدعوني بسرعة الشفاء.
وبم أنكلم بني امطر الملية الاحمره رعم امساكي بنفسى مثلثاً

بانتظار دخول عايذة المبهج، وعايذة اليوم بدأت بعمل ناسه



عندما انتصف الليل كنت في حاجة شديده الى الكلام سكنت
الحركة، ولم أعد اسمع عن انفس واهة وجعد الاصواء وان في
الغرفة وحدي، يعاديني اليوم مع أني ساعدت المستشفى في
الصباح.

تركزت العرفة، ووقعت في الطريقة ذات مصوء الحالت اسم باب
عرفة عايذة، وترددت أن أطرقه في حاجة شديدة ان لمحدث معها
وما خرجت إلا لذلك وإن كنت لا أدري فيما سأتكلم رسمت صوت
منجاة الصغيرة. خافتاً وسمعت شيئاً كالنجيب

في اللحظة التي فكرت فيها أن أعود فُتِحَ اسباب ووقفْتُ تنظر لي
في زهول

- آسف. آسف جداً.

- لا داعي للأسف لقد اجسست بقدميك أهفنتني تلضل

دخلت مرتبكاً وجلست في خلف المكتب

- أنا لم أقعد شيئاً

- اعرف. يمكن ان تجلس

جلست وكنت أقول لقد سمعتك تنكسر لي صوت حانت وما أند
أرى أثر الدمع في عينيك، لكنها وقعت وقالت

- ساعد لك كويلاً من الشاي، الجو بارد ولربد أن أشرب شيئاً

ايضاً

واتجهت إلى دولايت صغير أخرجت منه موقداً كهولانياً، ووضعت
موقه مبرد الشاي، وودت لي وهي تتحرك صغيره للغاية وقلب ما لم
أول فونه

- هل أسالك لماذا كنت تنكح؟

- لقد سألتني بالعمل

أجابت مبتسمة وسكتت، وتسلطت دموع الشاي ثم قدمت لي
كوباً وأخذت آخر وعدت تجلس خلف المكتب

- أحياناً يشعر الإنسان بحاجة للكاء

فكرت ربما كان صوت نجاة الذي يبينه راديو صغير موزي المكتب
هو سبب بكائها، ذلك أمر سهل مع أي مفقوب
- أرجو أن لا أكون تسفلت على مشاعرك

- بالعكس

- ألسنت سعيدة جداً؟

- سعيدة جداً، وألا ما كنت بليت تعودت على العمل وفي مسكني

المريضات، بغضتي وقتنا في مرج، نعيش أسرة متواضعة إلى حد كبير
طبعاً ندب مشاكل مثل كل اناس، فيما من حرك طبعها خطيئها
وأخذ فلوسها، وفيما من يرفض أهلها أي عريس يتقدم لها حتى
تظن بكرة هوأ لهم، وفيما التي تزوجت وتركته روحها، وحين عادت
من أجازتها وهدته تزوج بذهري في الشقة نفسها التي جهزتها،
وهنا أعارفات عن الفرواح تماماً إلى الأبد

- يا الهي إلى هذا الحد؟

فيما أيضاً الناصحات اتلاتي الشريش عمارات وأراضي، وفيما

طبعاً سعيدات الحظ في الزواج في كل الاحوال نصبح مع بعضنا
حياة سهلة حلوة في المسكن

وسكتنا قليلاً وكانت نجاة قد انتهت من اميتها، ويساب صوت
عبد الوهاب رقيقاً يعطي الليل مذاقاً عذباً

- هل تحب عبد الوهاب؟

سألتني مبتسمة ابتسامة صغيرة قلت

- لا يوجد من لا يحب عبد الوهاب.

وسكتنا

لم نعتق والهوى يفري جراحنا

وكم تلتاق قلوباً وروهايا

- انها قصيدة جميلة للشاعر عزيز أباظة كتبها بزوجته

ابتسمت وقالت:

- اخلف أن أقول لك اني احب عبد الحليم لتسخر مني

- لماذا، انا احب عبد الحليم أيضاً

وعدنا إلى الصمت حتى وجدت نفسي أسأله

- آي انت يا عبيدة من كل من حدثتني صهون؟

كانت هذه أول مرة اضابطها باسمها مباشرة وكان سؤالاً

مفاجئاً لتفسي دائماً يسبقني لا شعوري في كشف ما أريد ستره

- آنا؟

ونم نكمل، وظللت ناظراً إلى عينيها حتى رمت أهدابها ثم قالت:

دعنا نترك هذا الحديث.

ولم يحدث

الصب مهنة مطيعة تحولك اى آله جلودة ادا لم تحول تنكسر ولا
 يصح هما رأيت الناس يحولون الى حيوانات مسكنة، يصرحون
 كاسهم وحوش، من لآلم الذي يعرفهم توحشاً. وهنا رأيت الناس
 حشاً بلهاء لا فيعة لها بعد تحملت ذلك كله من لطل اخوتي الذين
 هم سعداء الآن كل حشوني السعداء عارضوا تحولى مدرسة
 التريخ لا واحداً هاشم الذي كان اكبر منى مباشرة كان طالباً
 في كلية الحقوق وكان مصدر بهجة دائمة في البيت متقاتل لا يكف
 عن الابتسام، يؤمن بأن كل شيء يتغير مع الوقت حتى الافكار
 العتيقة لكنه كان مصدر قلق دائم للأسرة كان يشارك في
 المظاهرات بجامعة ويأتي رجال المباحث كثيراً بالليل ليقبضوا
 عليه، ويخرج دليماً من السجن كثر بهجة وتفاؤلاً. وكان صديق
 الجسم للغة لا يعرف احد أي قوة فيه ليتحمل السجن لقد
 تخرج هاشم من الجامعة عام (٧٢) وفي عام (٧٤) أثناء زيارة
 نيكسون لصر، حين أخرجوا الناس بالفلوس لتلق على شريط
 سكة الحديد تحيي نيكسون والسيدات في طريقهما للاسكندرية
 لم يستطيع البقاء في دهب بلدنا سافر الى الاسكندرية كل له
 بها اصدقاء دراسة يعيهم صدمته هناك سيارة ونقلوه الى
 المستشفى لأمرى حيث كنت أعمل بعد ان تخرجت، ذلك اليوم
 كنت في قسم الاستقبال، وفي ذلك اليوم استقلت

وسقطت دمية من عينيها ثم اسالت بعدها دموع، فأخرجت
 منديلأ رقيقاً من حبة منديل في أحد الأراج وزاحت تجففها.

اد اسف حد

- تصور من الوحيد الذي يرأسني

- موحى اذن

- لكنه فاقد القدرة على الحركة يعيش مع امي وامي المسكين
 وخالمة

هكذا أنت هنا قلت لنفسي اي عد بوق طاقة البشر لو كانت
 عديدة رجالاً لاحتل الامر أدنى حاضرة اجمال ووجدت نفسي
 أريت على ظهر يديا بيدي قالت
 - هل صابقتك؟
 - انت لم تصابقني ولم تؤلمني

كانت أعنية عبد الزهاب قد انتهت وسمعت المذيع يقرر مزجر
 امياء الواحدة من القاهرة قل كلاماً عن بيبي وكاين والسادات مع
 افهمه ولم أهتم به أدت منشر الجهد بعيداً هانسب صوت عبد
 الحليم حافظ وادعاً دافئاً شجياً

يا تمر سليل بين شطين يا حلوى اسمره
 طولا سمارك جوا المين ما كنت تنوره
 يا حلوى اسمر يا حلوى اسمر
 يا حلوى يا اسمره

وانقسمت ورايتها تنسم وتتلق عيناها بسهار هائق

وافق خروجي اليوم الأخير من شهر ديسمبر تركت وجهي في
 المستشفى. وفي البيت لم أجد سعيداً لست بحاجة إلى شيء قدر
 حاجتي إلى النوم تركت غرفة عابدة والفجر يوشك على الظهور
 وصفت لها حالي وقلت إسمي اكتشلت متأخراً جداً أنني رحت ضحية
 مؤامرة صممها أبي ووافقت عليها بقباء أخلاقي منقطع النظر
 عباء جعل بيني وبين النساء سداً والآن الكر جدياً في انزوج
 وصمتنا كثيراً وأطرق كل من أتم رأيتها تنفر في سعة يدها أعدتني
 إلى الحقيقة هي أنني وأنا ذكر في بلاد يتروعد فيها الهواء
 الأحاسيس ينظفها للمسح. قمت ولدي شعور بأني لم تفر كل
 شيء للملائكة حاجات يحفرها أيضاً كل منا أخفى شيئاً وعجز
 عن المرح به، مع أنني كنت كلف نظرت إلى وجهها ستأسفه
 وتسميت لو مصبت إلى صهرها لأنام لم قر لها إسمي أنا الذي
 نقشت قصص الغرام وزعم أنني نرت إلى أبلاد أنني غفل عنها
 الاستعداد والتي ينزلها الآن ألف سدد والف كل صباح، البلاد
 التي معود منها فتفتوح لك كل الموعود وكل الطرق والأبواب، عاصي
 ما زالت لا أحس بالدار تشتعل في حليد قلبي كدت كل ما فعلته مع
 وأصحة وكل ما أحس به كلها زرتها، وكنت إسمي أريد سروج لأ

لم يلقتم حرجي القديم بعد لا رأت أود لو أخرج من نفسي أعاقبها.
قتلها سألتي لها، نقرأ هذه الرواية كثيراً قلت أنا أحد أحمد
عائكة قالت صاحكة أنا لا أعرف أحدا بهذا الاسم قلب جديها
وجاءت بصحبة تقول من هو أحمد عائكة في الرواية؟ وصحكتا
وسكتت، وقلت أود الذهب إلى حديقة انطونيوس الدنيا ربيع
وهناك مهرجان الزهور الآن قالت لم أعرف عندك أنك تحب الزهور،
أنت تحب الحب وتريد أن تذهب، لأنه هناك بحثنا بالحب في يومنا
الأول وتأتى وجهها الأبيض وحسوتني عيناها الصليتان ثم
انطلقا كان يزرع حوسا في الكلية أخضر من كل يوم والفضاء
أبيض من كل يوم والسما أعلى من كل يوم وقمر يد الكلية الأصفر
لمشرب بالحمره أرى من كل يوم، وقالت ونحن معبر الباب كثيراً
ما أفكر كيف نلهم في منطق، أخضر منا جميعاً قلت أنا إذا ذكر أكثر
منكم، قالت كذب وكنت كذلك وواجهتنا مستشفى الشاطبي
بلولادة بالنساعة العريصر وباحتها الصفحة وبياض كل شيء فيه
الذي ينتهم مع بياض الفضاء، ورأيتني أطلع إليها معق فقلت
وهي تلكرسي في دراعي هل تعرف أحداً يله اليوم؟ قلت إن هذا أعظم
موقع لمستشفى للولادة لأن أمامه بحراً عريضاً قالت أنت تقول
كلاماً غريباً وفتلت دناكي، وركبنا واملنا صامتة عند حديقة
الحيوان فمشيها في نواح يفترب من بعضنا وبمعد ولا أفكر فيما
نتكلمنا حتى وجدنا باب حديقة انطونيوس وفوق لافتة وضع
دسموح بالدخول لجمهور الحد وقال الشرطي كما مرى أخذها
الحيش وتحولت إلى موقع عمكري قبل ذلك أخذوا السان السلطنة
بجمل وصر ممثل عروس الاسكندرية وحيداً لا يمر عليه عشاق
مسم احمدى لا يدرك شيئاً وقالت هي حديقة الحيوان أوسع

فسألها لماذا لم تقرأ الرواية جسداً؟ وسكتت من حديد وفبت لها
حقاً لا تعطيني ما تكتنه من قصص قراء؟ قلت لا أطر أني
بستمر لماذا؟ لماذا حقاً تتحلى عن كل شيء حمين في مست؟ لها
اعلاق الدوافذ وتراحت عن الشرح وظئت بيضا برسائل ابن هي
المرأة التي تعوت من أجل رجل وظئت بيضا للعداء وكان موقف
مساء في آخر دقيقة من آخر يوم لنا في الامتحان، ولأنا كنت معرف
أنا سمعنا فكان ذلك آخر وقت لب أيضاً بالكلية ذات لصيقة
الجميلة ومشينا فوق الجبل حتى حديقة كية استجارية ولشيطان
الاخضر يقول لي إن الصراحة أفضل من الخدع، فصرحت وقالت
أنا لا أعرف الحب الا للزواج وأنا لن أتزوج لأن من أتزوج أبداً،
ومشيها صامتة وفي محطة الرمل رأيت سعد زعور يعطي ظهره
للمدينة ويشير إلى البحر، إلى غريق ولفزت وقلتي عن خدي
والناس كلها تراما في الميدان وأسرعنت تبعه، ولم ذهب يوم الأحد
ولا أي أحد بعد ذلك لم أكن أحب أبداً كنت أحب الحب كما
قالت عرفتني التي لم تقرأ القصص ولم تعرف أني أم العبي
الكبير في هذا العالم اكمل رسالة رجب تجاور الحامسة والسنتين وم
ينها

الحياة مأساة، والدنيا مسرح ممل، ومن عجب أن لرواية
مفجعة، ولكن أمتلي موهوب، ومن عجب أن المفري مفر، لا
لأنه محزن في ذاته، ولكن لأنه أريد به سجد كل أحد، فأحدث
الهزل كل الهرن ولا كنا لا نستطيع في الغالب أن نصحك من
إخفاق آمالنا، فإننا نكفي، فسطعنا الدموع عن الحقيقة وسرهام
أن الرواية مأساة، والحقيقة أنها مهزلة كبرى
قال هانئ وقال نحب محفوظ وقال أحمد عائكة انكسر اسقى

مر أدب لكاتب ولكامل والنبين ولا صار كائناً ولا قار
 حبيب كيف انتهى الأمر للجبن ثم الموت؟ توالت عليّ الرسائل
 مكتوبة بحبر أحمر وأحضر ولزرق وأسود. لماذا لم تنقيه؟ كان اليوم
 هو الخامس من يونيو يوم لا يساه في مصر أحد. فقد نساء الناس
 بالأجساد وأظلم أما الوحيد في شعب كامل انكوه. لم أعرف بموتها
 إلا قبل أسبوعي إلى هنا بانيام حين ذهبت إلى الكلية لاستخراج
 نسخة من شهادتي وقد كنت «سامية» التي كانت صديقة لنا وتعرف
 كل شيء. جاءت مبني تستخرج شهادة وتسافر إلى الإمارات
 أخبرتني سامية فأسرعت أنا بالسفر لم يبد عليها قط أنها يمكن
 أن تهر لما بالك أن تموت من يُطلقني من موتي الآن؟ من يحرق
 أسرري؟ رجسة أم حايده أم تواسي قاتلاً للجميع؟ كم أريد حقاً أن
 أمان



- كنت أعرف ذلك هنا -

هاتف سميد وهو يدخل حاملاً كرتونة على صدره، أسرع بها إلى
 غرفة المعيشة، ووضعها فوق المنضدة، وقف يلهث، قال
 - سنحفل بك وبرأس السنة

كانت الساعة لثالثة ظهرٌ ومكت تحت يوماً عميقاً فتح الكرتونة
 رراح يخرج ما فيها ويضعه فوق المنضدة وينكم

- جس حنوم وبنون سيوري من مصر ها ها ها ما أحي رؤساء
 الجمهوريات طبعهم عريم واحد معاه زيور الحرية والثاني
 رنتور اعبور عور قها بيخر بلخاري انظر الى حجم البيصنة. في

حجم القريحة المصرية في بلغاريا يقولون بلحدر حس مثل
 العضة "ها ها ها ها

واسمعه يخرج ما في الكرتونة، ولا مكف عن الكلام وانصحه
 وبدا شكته عرياً في حذاء، واكتشف لأول مرة - أقصر مما
 أتصور كان يتحرك مثل كرة من المطاط

- وفخذ أيضاً جس رومي من أبيض رومي هني وجبن شيدر
 من استراليا انظر الى العبة مذكوة مثل ليوشمان، لا يد ن
 البوشمان انتهوا مثل الهنود الحمر كل مبته لن يطي إلا وجهه
 ريك، وجد أهم شيء عشرون رجلة بيمة بدوي كحول ماركه «ميرسي»
 صنع لوروبا الأوروبيون النصايبون يصحكون على العرب
 سيكون احتفالنا بفروجك وبرأس السنة رائحة رفرق ما تتصور

نظرت طويلاً إلى عينيه، قلت

- ماذا جرى لعقلك اليوم؟

- تريد الحقيقة؟

- أجل

- فقلت وداد

- هل هذه أول مرة؟

لا طبعاً. لكني اليوم قائلتها وقُلْتُها أيضاً قبلتُها هنا في المنسكة
 التي تقع في الغرب من قلعة آسيا ويطل على البحر الأحمر والمحيط
 الهندي والخليج العربي وفيها قنَّة المسلم من كل أنحاء لدا
 ومنها هربت الحن والعقاريت بسبب البحر والقر

وصار يصحكه ويصفق ويغفر في مصاء العرة، فلم سنضع مع

نفسى عن بصحب رفاعة بوقد وتال محد شديد
ب حي لم أكر اعرف أ. الحرمان شيء قضايع إلى هذا الحد

بعد اغداء انفردت بنفسى في غريمى أذهنتنى أنى اسمع
صوت سعيد يغنى في مومه لأول مرة . بسمت وأنا نحيل سلوكه جعل
الغداء سعيد هذا لا بد ينكر لى ليس سهل من تقبيل امرأة هنا
ود د حطيتنه وتعيش مع مها وهو يزورها ولا بد أن أمها تعطيهما
هذه الفرصة أكثر أجر وأكثر إن قبل لا تحدث كل هذا الجور
وفكرت أن ذهب إلى روضة لا بد أمها عادت من الرياض

في السادسة كان سعيد لا يزال نائماً لقد نمت أنا أيضاً مرة
أخرى رستيفت ولا بد أن رجيه عاد ونحن ننام مأكلاً ونام كل
هذا احرم حدث ليوم في بيتنا بالذها.

ركبت سيارتي التي لم تحذلي رغم توقفها لأسبوع كامل. قدتها
عبر الأزقة دُر حول الشارع بعام موعياً الضمر والمطبات التي
قد تؤثر على اسجرح الذي نزعته خيوطه فقط في الصباح وجدت
اشريطي يقف وسط الطريق يجمع تقدمي يا الله لقد مسيت وما
أشد أجد نفسي أمام البيت الموقوف به سيد الغريب الشيطي
ياهرسي أن أدور من جهة أخرى صعدوا المروء من الشارع إنش
ورأيت الغرس بحس في اشرفة يرتدي عباءة سوداء وفوق رأسه
مصباح شحيج الضوء لكنى رانت وجهه جيداً لا أعرف إذا كان
رأى وجهي أيضاً أم لا فأتانا اتف في الظلام

درت بعداً عن الست وأحدث صرمقي متميماً فحده أن لا أجد

واضحة. أن لا اكمل معها الدرس اليوم ابصاً لكنى هي التي
استغللتني اصمعت عنها فروح طاع ولم تتكلم أحدث يدي بر
يديها، وجبتني لأدخل غافلة عن جرحي وقلة قدرتي على احركة
المقاجته.. لكنى مشيب واصسب بالقوة مدب في روجي، ولما نحت
أنى الغرة لم أجد لها معي

انتشرت طويلاً في كل لحظة كنت اتحين دخول شخص آخر إلى
الحجرة خالد أو جدها العاجر أو أمها نتي لم أرها أو أبوه الذي
لم أراه أو أي من اخوتها الذين لم أراهم، ولم يتوقف قلبي عن
الحفان حتى رأيتها فبرت ثيابها وعادت ترتدي فستباً طويلاً،
كحلي اللوز، به ورود بيضاء، وعلى كتليها شال أبيض، وتركت
شعرها معلولاً على كتليها وظهورها، وفي يسفها أسورتان من ذهب
مرصفتان بالياقوت الأحمر، وعن صدرها كانت وردة ذهبية معلقة
بسلسلة، وعلى أوراق الوردة فصوص من الياقوت الأحمر أيضاً،
ويسبق كل ذلك عطرها في الطريق . وجدت نفسي اتف وأمد يدي،
فمدت لي يديها، وأحدثهما، وأقتربت مني ثم مالت إلى مقعدها،
فتركت اليدين وجلست وجلست قبالتها أتامل وجهه وعينيها
أعديها شحوب قليل في الرياض

- كنت حافقة أن لا نأني.

- استئصال الزائدة ليس امرأة صعباً

- لا أريدك أن تفر من الماء الحكومية

- قيل لي ذلك لكنى لا أحب الماء المعبى

سأرسل لك منها كميات كثيرة

- لا احبها حقاً ثم ان الانسان لا يملك اكثر من زائدة مودية واحدة

استسمنت وقالت

- لم ستضع احصوور لزيارتك

- هن بدا الدرس؟

تسبألتُ بغباء ومن غير قصد كمادتي السخيفة، تمكنت وأطرقْتُ ثم رلعت وجهها وقالت بهدوء والم

- ماذا تستصغر شأنني؟

وانفجرت في بكاء غير متوقع

- وضحة

هتفت هامساً

- أت رسلت إليك خطاباً من الرياص، ألم تقرأه؟

- نال لم ذهب الى العمل بعد

وظلت الدموع تسيل على وجهيها، فاهذت مقعدي واقترعت منها، وبذراعي ايسرى أحطت كتفيها، وببدي اليمى رملت وجهها إلي فإذ بها تمير برأسها على صدري وتنتهب

أسمع الآن انفسه رقلنها واشم عطرها الغامض وأعرق برجهي في شعرها الدسم القبي

- واضحة،

همستُ فزعت وجهها إي اتسعت عيناها يلقى رليته فيهما مرة وارتعشت شعفاها برعبه راسها عنهما مرة والتعب لا شعوراً إلى الحب فهمس لا محف أحل هي التي قالت ذلك ولا لحد غيرها.

هي واضحة النى في صدري الآن ومددت بدي اليمى إلى مطها الأيسر متحسست بيدها صغيراً تحت كفي وبأنها حفيفه كحصاة ولنا أقيمها لتقف واقف. كيف طالت و ستطالت؟ أم لعلي أنا الذي انتحيت صارت في حضني عني عز منها واشد عليه بكل قوتي وأكل مشغعي شفتيها وتصددم أمتاني بأسديها وفي اللحظة التي ابتعد فيها وجهنا لا أنطق أداسي رأيت العرج يكاد يقهر من عينيها، ومن جديد ضممتها الى صدري ورحت عتصر رضاياها وأحسست بشفتيها تتحركان مع شفتي وبجهمما وحولهما، إنها لا تترك نفسها لي بل تقبلي أيضاً. سيئ أن هناك بدأ مفتحاً ران الموت معلق فوق رأسي وفي اللحظة التي بدأ فيها أب دابت رتلاشت رأيت عن وجهها طيف وجه آخر وجه هايدة ابتعدت برجهي وتاملتها، مطمئنة العيسر الآن، عدت أقيها ونزلت بها إلى الأرض وأحسست بلم في الجرح وفكرت في جراتي وعواقب ما الفعل هذا في بلد ينقل فيه الهواء الكلام ووجدت نفسي ألق بصعوبة أنني العرج حقاً رغم أنني اساعدها على الوقوف معي فتحت عينيها وبنت كأنها استيقظت من حلم بعيد

- لا تخرج الآن لا تحملني أشعر بذنب

- اجلسي يا واضحة

- اجلس أنت أولاً

جلسنا معاً كل إلى مقعده. أطرقْتُ وأطرقْتُ مي لا أعرف لعمما كانت تفكر لكني أعرف فيما فكرت لنا

قطعت عابدة علي الطريق وقالت لثناء الحديث بها س تفكري الزواج قبل أن يشفى هشام ويخشي عن الأرض ولو كلفها ذلك

عشرين سنة هذا وه هي تعود الآن وتحال بوجهها علي

- هن ماحدثي معك انا مصر

- آخذك يا واصحه وان آخذ عرك

قامت وأخذت رأسي في صدرها وعلمته وقالت كذبة مزهوية

- يمكنك ان تصريف - لا حاجة بي إلى درس اليوم

جسدي حي وليس شيء أعيش فيه. هي - هي حي ومحت

نافذة السيرة رغم شدة البرد وهفت نفسي إلى حدائق من الورود لقد

ستبقت كل حواسي تريد الانشباع. ليس من العدل في هذه الدنيا

الغلق لحوس لكني لا استطيع دخول البيت علوياً أرتصر لا بد

أن أهني عن سعيد ووجه كل شيء أنه خل كما خرجت روح منعبة

عليل جسدي تنتظر لشفاء كذب سعيد علي ولم يقبل وداد ولا فار

منه بشيء أكثر أو أقل

آه، ما أحمس أن تجد أن لا تفشي سر الحب تلك دة وتجنو

سروراً وتعوي وتعلم وتعلم والناس حولك سدج بلهاء.

عدت إلى البيت لوجدت سعيداً ووجهاً يقفان في عرفة الميشية

ومعهم صالحي من صاحب البيت هلا يا استاذ. لماذا انقطعت عنا

خاطبي ولكن من ما نذي يا هدمي إلى الأرض بسهولة أرض

الفرقة التي حملت منها لمصدة ووضعوها في الردهة فصارت

رسعة إذ طوف بالحمديا لقد وضعوا جواز التليفزيون فيديو فوقه

أهلام أيضاً

ستعرب العيديه من صالحي الليلة فقط

عيب يا دكتور يبقى عندكم حبيب - ترهفون انرككه في امان

الله

- اجلس -

خاطبني سعيد «أندل ثيابي» قلب والى عزمي مصيب وعدت

بعد أن بذلت ثيابي وضرب أحف ورأياً مما كنت موحدهم فرنسا

الأرض برجلات البجة موصى «وجلس وجهه لي يده رجاجة صغيرة

بيضاء وفي يده الأخرى «قطارة»

- كحول من المستطهر ماصع نقطة في كل رجاجة ولشاطر

يصم

قال وجهه. وسعيد خرج إلى المطبخ وعاد يحمل صينية كبيرة

فوقها ثلاث دجاجات محمرة وقطع كبيرة من الكباب. «متى ظهرت

كل تلك؟» «اشترى وجهه. اتلفنا أن يشتري كل شيء الليلة الليلة

بذخ. وضحك وأنا الذي لم أهتم من قبل برأس السنة. وكنت

أكتفي بالبقاء في البيت والفرجة على التليفزيون. رأيت سعيداً

ووجهياً كأنهما رفيعان يزلان المدينة لأوب مرة

- إحتزلنا فيلماً سدا به

تمسكت الأفلام الأربعة دكتور جيفكو مرنگشتي قبضة

بروس لي ألبعض يقصونها ساهبة أي حيط ليس من بينها

فلم جنسي عن أي حال. فبدأ معارلي مودرو وجلس مشربه وبأكل

والعيسو يعمل ولا تنتظر الية. وأخذت قصره الكحول كثيراً من

توارثنا. «كل كثيراً حتى لا نسكرو». يقول وجهه «عندك لمعة. يرد

سعيد ويعشد

«لا تمتد قبلي ولا مطوب إلى همد

واشرب على الورق من جمراء كالورد»

وبصحب ويقول وجيه كن هذه صغراء ويزداد صحكاً، ويشدد

سعيد

«يا خيري من بني محزون

عنانني بعاء بنت الكروم»

ونضحك ويقول وجيه ولكن هذه بنت الشعر يقول سعيد

«بنت كلب» ويزداد صرخاً، ويقلل لهما أن يسمعاني، فالتسعت

غيرنهما ينتظرن ما ساقرن

«والله ما أدري بأية هلة

يدعوسها في الراح باسم الراح»

«الرايحها ولروها تحت الحشا

لم لا تياح نديسها اترتاح»

ولا بد أن البيت زلزلت أركانها من صراخنا، فالتفتي سعيد كيف

أعرف هذا الشعر، قلت «عرف لكثير يا سعيد» قال لماذا تففيه عبا؟

هيا بشرع في ابنة، لكنني ظننت النظر اليه كي هجاة وأشار إلى

اسطعم وقال «ار بعدد الحمار» أي حمار؟ لا أرى أمامي إلا أنت».

قال وجيه «وطلفت أصرخ صائحاً، لكن سعيد استمر ييكلي، بل

مرح وقد سمعت «ضحية الحائض» وقال إن الحمار يضع رأسه في

الأكبر ولا بد أن منحده بعيداً، وراح يكرر ذلك ويستمعاً طرقاً

سريعة عن الباب الخارجي تكاد تحطمه ففقت، وفي الرعدة

صمكت، وسحب معي أشرب الهواء البارد ما كذب أفنتح الباب

حتى دفعوني جادياً واندفعوا إلى الفرع ثلاث حصى كأنهم شياطين

تلعب أزرارهم النحاسية، ويبدو أحديتهم ضحكة كأنها كتل من

البازلت تسقط متتابعة فوق الأرض، ويدخل بردٌ شديد معهم إلى

الريشة وإلى روعي، ويدخل حلقهم صابغٌ شذب قال «احملوا كل

شيء كما هو»، ورأيت المصطبات في أجناسهم باردة، وسحب أحدهم

ملاءة السرير، ووضع عليها كل شيء، وجلس اصطدمت قدمه ببنجاجة

الكحول فاستكبت، لحت وجيهاً يتنفس بارتياح

بملاطستا المرلية أخذونا في العربة الجيب التي مضت

والصمت فيها والظلام حولها والبرد وإلى غرفة خائية من الأثاث

اندخلونا بقسم الشرطة، حوّل الجدران الباردة ونحتنا الأرض

الخشبة، وليس معنا غير بكاء سعيد لوقت طويل من رأس الحمار

التي ظلت تغليظه

في الصباح أخذونا إلى غرفة الضابط المسؤول ضابط كبير ذو

رتبة كبيرة ابتسم لوجيه وقال

«يا هلا يا دكتور كيف صارت الليلة»

ابتسم وجيه وقال

«أسأل تلميذك الذي حبسنا يا أبا حكيم».

«هذه عندي يا دكتور»

وأشار للضابط الشاب الذي فضض معنا أن ينصرف، وطلب له

قهوة، وراح يقلب أوراقاً أمامه. جاء شح مسر يحمر الإبريق

والقنجل، وطاف علينا، وشرب وجيه وسعيد مرتين، ولم أشرب. لا

قبل لي بالقهوة للعربية المرة، وبعده هتف أبو حكيم

«إيش هذا؟ صالح بن سعيد النعفي همد محبر

ويطربا لي بعضنا، وهمذا أن صالح أبلغ الشرطة أننا مسكر
ونزير صبح يفزع السكان، واستمر أبو حكيم

هذا محب من محبلا لا تسكون في بيتهم يا فكتور؟
- بسكي

- لحاد العدوة ذر؟

- لا اسري يا أب حكيم

وهحك أبو حكيم وأمسك بالفتاة الصغيرة.

- ماذا هذه يا دكتور تضعين لكرول في البيرة؟

- هذه لعيني يا أب حكيم

- تضع في عينك حمرة

ويضحك ويم تضحك، بدأ يتحول بالحديث

- أنت تعرفني، وتعرف كيف اختار أصحابي يا أب حكيم.

- اعرفك والله ربة لمصريين أما سائرركم، لكن المشكلة أن

الوند الملانزم أبلغ مدير مدرسة هذا - وأشار إلى سعيد - ومدير

المدرسة هاتف طالباً لرحيله

ويشكت قليلاً ثم قال لسعيد

- لك حق كبير عندي يا ستاد لكن هذا ما صار

١٨

تأقت نفسي إلى العمل، وهب انه افرد سيارتي بسرعة والتج
باعتني السيارة لهواء الصباح عيارد ولطع لضباب

قطعت إجازتي وذهبت لم يعد ممكن بقاء في البيت وقتاً طويلاً
لقد عدنا من قسم الشرطة أمس إلى البيت في صمت تركت وجبه
وذهب إلى المستشفى يسبق انتشار الخبر في الأمر يختلف
بدهابه أولاً، ودخل معبد البيت مستسماً بذن ثوبه وسأله إلى
أين؟ قال إلى المدرسة، هل تظنهم يزحلوسني وأنا هنا؟

أخذت حماماً ساخناً بعد السباحة السريعة، ورأيت الجرح أهدر،
ومكلى الخيط كأنما عقوب مشى فوق جسدي وترك بصمات أدمه،
وضعت فوقه ضمادة جديدة، ونمت وأيقظني سعيد في الثالثة عصر
فرايت كأنني أراه لأول مرة سرحل سعيد من وسائسه إلى الأبد
قال ولطعم القداء بيقتنا نأكله على حول

- كنت اعرف أن مصيبة في انتظارني

- لكك كنت فرحان طوال الأمر

كنت اكذب لم أقتل وداد، قاتلتها فقط هناك مشكلة فاسدة
ميتنا منذ شهور

ولم أزد

- لها ابن عم يعمل محاسباً في مصر ويريدها منذ زمن - سافر إلى
لكويت ورجع لي أن يحصل لها على عقد عمل أفضل ويتردد السفر
- فكيف كانت ستعوب معك هذا العام وتروح لي لقد قلت لي ذلك
- قلت له، بل وكذا متفقين، لكن ماذا تنتظر أن يحدث لشخص
التهم أنه نصف ثروته والتهم أصابعه نصفها الثاني؟

وقام رحمن أحياق العضم دور أن يمرني أنني لم أنته فقامت
وحملتها معه، ما كنت أسجل غرفتني حتى بذلت ثيابي وخرجت
مسرراً بالعربة لا أبالي بهرحي ولا بالطلبات في الأربعة أي دفع
خبثيت كان وراء شكوى صالح؟ كيف الجمع الشرطة أن تداومنا؟
ووصلت إلى بيته ووقفت أدق الباب دقائق متتابعة

- من؟

جاءني صرت امرأة عجوز واهن من حلف الباب.

- اد اسماعيل أين صالح؟

- صالح من؟

- التقيفي.

- لا أحد هنا بهذا الاسم

- صالح استميد بالمتوسطة الذي لأهله تحارة بالشارع انعام

- لا أحد بهذا الاسم هنا إنصرفت.

وسمعت صوت وقع الاقدام الواهنة نهدت تلتفت حولي يميني
وسمعت صوتي هذا هو البيت وليس هذه مدينته سحرية يحتمي

لديها كل ما تراه. وكانت مسافرتي مرة أخرى واندفعت إلى الشارع
العام

- إيشر تعني يا أستاذ؟

قال بهدوء بعد أن دخلت وكنته كان يقف يبيع لبطاطس
والأقمشة وأنا انظر إليه غيظاً شديداً. لم ينظر ردي

- تخفي بطاطية، جلد عمر لديد جلد عمر يصبه المصريون جداً
مصري أنت يا أستاذ؟ ليس كذلك؟ تبدو جديداً لي تيوك

وكان يتلفت أشاء الكلام إلى ولدين رأيتهما عنده من قبل،
وبيتسمان لي استمناع

- ما تخفي شيئاً؟ إذن أفسح مكاناً لغيرك لله يرضى عليك تشرب
بارد يا أستاذ؟

وأمركت حماسة ما أفعل. هذا الولد الذي لم يبلغ عشرين
يسخر مني مرتين ولا سبيل للانتقام عدت عن مهل إلى البيت
دخلت الخرفة ونظرت إلى نتيجة الحادث. الأول من يناير عام
١٩٧٩. أه لو انتهى هذا اليوم ولينته وذهبت إلى عمي في صحاح
ورأيت سعيداً وهو يخرج حقلته استمداداً يسفر. قال إن المدرسة
أرسلت تطلب رأي الوزارة والرأي سيأتي بالتوصل خلال أيام هو
يعرف ذلك. وقال فحاة ما كان عمك أن يرفض التدريس بصالح
قلت أنا لم أرفض. فقط رفضت أن أقضي أحرأ بغير العرجة على
أقلام جنسية قال أنت لا تعرف هذه الاملاء صالح يستخدم
الرشوة مع كل المدرسين من كل الجامعات لا يرفض أحد رشوته

ولا هديته. فحسب أنت أن تكون له أئمة الطغاة. هذا شيء لم يخطر
بألي قطي سعيد، صالِح اصغر من أن يفكر كما تقول. صالِح تاجر
بإسماعيل معظم لتلاميذه هذا مجاز صغار الأمن لكن لهم نفوساً
كثراً أربكبي سعيد وقلت هذه نفوس مريضة. قال ربما هي بومة
مرعبة الاطفال نبالهم لا قل ادى ولا تعرف كيف تدافع عن نفسها. هذا
بى عدت أحد شيئاً جده بلا تردد، ولو طلب أحد منك شيئاً فقله
أو أعطه أملاً حتى ينسى دست لا تعرف كيف تسير الريح. طال
سكوني ثم قلت أنني ذهبت إلى صالِح منذ قليل. ابتسم ساخراً وقال
اسعدته بأجبان

في غرفة مكتبي رحلت انظر إلى الدولاب الزجاجي والمقاعد
والساعة الثعلبية في السحابة والأرض الموكيت والمكيف دي الصوت
العالي والحزنة والمكتب المجاور بها هذه غرفة أحيها ولا ادري
الوقت بها يمر إلا ما معنى هذه الشهور الأربعة التي مضت. لقد
استقيلني بجميع اليوم بلروح الأسويوز وسبيل ومندر وهاند
أيضاً ابتسم وعم عبد الله الذي أعجبه أن أطلع أجارتي وأحضر
ولي التاسعة دق التليفون سمعت صوت رور ماري يا الهي! كنت
نسييت قمت إليها تلفس دلت كل يوم، وإمها تنتظر أن أقبل دعوتها
بلغاء قلت أنفسها إذ كانت اليوم، فحسبكت وكأني رأيتها تمتد
مخرج لا تدري أي لا أريد العودة إلى البيت قالت ستقتني في
الثالثة سبيلها، وماأنعها أما سبيلها وماكنت أفرع من المكائنة
حتى جاء عاصف من عرفة صائلي، هن قُبِلَت دعوة روز، كان
يسمع إلى حديثها فالتفهمان على خط واحد، ماذا، إن شاء

يسألني أحسب كما سمعت. ولم يخلج وجهه ولم يتغير لونه
قال

هذا خطاب لك

تناولت الخطاب وقاملته. ما هذا، التفسير الحروف؟ هذا خط
واضحة لا أحطه، وهذا خطبها أدي حديثي عنه ورسلة أنني
تفجر حرقاً لول امس فقط وبسبب كانه تم مدد من سحيق
- هل تعرف أحداً بالرياض؟
لم تكتب اسمها على المظروف لكنه قرأ لاحتمام،
- لي قريب هناك
أهبت دون أن انظر إليه

وفي الساعة عشرة، بعد أن رأيت اليمنى جالساً على الأرض
والسواك في غممه وبعد أن ابتسم لي بتسامية أكبر من كل مرة
سابقة، وضمتك لأنني كنت نسيته، دخل سبيل يعمل قهوة لم
أطلبها، وجلس ثم قال
- وصلني اليوم خطاب واحد من أمي وآخر من خطيبتي
وايك؟
- فسيم؟

سألت عتسماً ها هو سبيل بعدد إلى شيئاً من أحبه بطريقته
التي كنت مستحقاً في الكلام
في الحظائري
أنا لا أعرف ما فيها

أخرجهما من الحيب الأعلى للجلباب ووضعهما فوق المكتب وقال

- أمي تقوى إن خطيبي هدد بها إن لم أرسل لها مبلغاً كبيراً
سحجرت به شقة سديركي، وخطيبي تقول إنها تنتظري كما ينتظر
العصفور طلوع الصباح ينفسي

نطلقت اضحك وأحسست بالدم يجري في عروقي
- لا تسهر مني هذا خطاب خطيبي وهذا كلامها اقراء
بفسك

- كنت مشتاقاً إليك يا بديل

تأعاني باسماً وقال

- أنا أريد رأيك.

- قلت لك من قبل أن تسافر

- وأما قلت لا أستطيع أنني أفكر في حل آخر. أرسل توكيلاً
لاحي لأكره بعد أن أرسى على خطيبي، وأرسل إليها فيزة دخول،
وثاني بشرب الفرح نعيش هنا معي
- حل سليم

سكنت ليلتان وقال

- انشكرك أن أحي لأكرم محل لعقل قليلاً والثاني في السجن
كما قلت لك أنا لا أعرف كيف أحلص من هذه الورطة

وقام وبركي والدمعة معي في الغرفة، لكنني أحسست وكأني
صير أكثر صحة وعافية

في الثالثة والرابع حانت يوم كان معتر أحر الذين انصرفوا من
العمال. اقترب مني وهمس في أذني وعددي حكايات يا أستاذ، ثم
تحدث بصوت عال بتكسر سيارتك لو أكره سيارتي لعود كل يوم
معاً. وانصرف كالعادة متعجلاً

رأيتها تقف بالمسيرة خارج الباحة ووجهها وشعرها يلعبان في
ضوء النهار الذي امتلأته الشمس بعد صدح هلي بالصياح لقد
نزلت تصافحي، وكنت أعرف أن عابداً يقف بباب مكتبه ينظر إلني
فقد ألححت له بالتحية. زكيت سيارته وتبعته بسيارتي قطعاً
مسافة ليست بالقصيرة على الطريق الأسفلتي، ودخلنا إلى طريق
جانبى مهده بالحجر الأبيض الصغير المدكوك، وخالي شيء
بعيد في الزمان كلب أبيض ضخم يمشي على مهل.

طال الطريق وتراعت الصخرة، وظهرت فجأة سحب رمادية،
وتوارت أشعة الشمس، وفجأة بانئت بيوت منخفضة من الخشب
المدحون باللون الأخضر وذات أسطح مائلة هذا هو الكاسب الذي
يميش فيه الأعمى كلن عبرنا بوابته بعد أن أشارت لخطيبي أنني
معها. ورأيت ثلاثة صفوف من البيوت تشكل ثلاثة أضلاع لمربع،
وكل بيت منفصل عن الآخر بحديقة صغيرة دائرية يحورها سياج
من شجر قصير بين جدران البيت وسياج الشجر زهور شتوية
مختلفة الألوان

- هذا منزلنا

قالت بعد أن توقفت وتركت سيارتها متروكة سيارتي وصعدت
ثلاث درجات بضعاء أدارت المفتاح بالباب وقالت لي إن ادخل

لماذا لم تدق جرس؟ ماذا سيحدث معي اليوم؟ أليكون اليوم أبصراً لحداً جديد تقدمتُ أمامي وحطوتُ خطوه مرتبكاً، لكنني سمعتُ صوتاً أحسن يتحدث لانتكلمة ويسألها هل أنتت معها هذا مستر لاري بالتأكيد سفتتُ بارتياح ووجدته أمامي يستقبلني في الطرفة للعصيرة فانسمتُ لا أدري لماذا فكرتُ أنني رأيتُ تربه احدبقة سوداء طويلة مستر لاري وقوي البنيان، يرتدي ألبان اخضر ككياً يتزود إنيما في المكتب كثيراً وهو يرتدي يوهي. لي أنه رجل عرس ولا ينبغي للزيارة أن تطول ليكن لكز من أين حقاً جاءوا بالقربة السوداء؟

- هاللو مستر اسماعيل هاؤدويودو؟

- هاللو مستر لاري.

وشدني من يدي لي الدحى ورأيتُ روز تبسم لما ثم تسبقنا رتختني

جسد في حبال واسعة في ركن منها مكتبة بها كتب واسطوانات وشرائط كاسيت وتليفزيون وفيديو وبيك آب وستريو في ركن آخر دالاب زجاجي أبيض عريض وقصير به وهوقة تحف صغيرة، وفي اركن الثالث منضدة سوداء لامعة بسيطة حولها أربعة مقاعد يقابنها في ركن آخر لأشربة الذي يحل محل فوق مقاعده امتريه بسيط من الخشب السويدي فوقه حضائيا مفصلة لاحظتُ ان لمجده شبه محبرة عليها مغرر أنضر به ورود حمران، وفوقه ثلاثة أطباق كبيرة وثلاثة أطباق صغيرة فارغة كلها موزعة أمام ثلاثة مقعد، يحور كل طبق سكين وشوكة وملعقة، وإلى الجانب دورق مده وثلاث علب من السقي آب وثلاثة أكواب

- بيرة مستر اسماعيل أم عصيرة ندي بيرة محبة - وعمر

معيه - وديو

عصر

قلب بسرعة حتى لا يعود إلى ذكر البيرة مرة أخرى لا أريد ان يتكرمني أحد باللبلة قبل الماضية

قام واتجه إلى ثلاثة صغيرة لم أفصح لي وجودها، وأخرج منها رجاجة من عصير الليمون، وملاكوب قدمه لي، رباح يتحدث بصوت عالٍ بالكليرية عربية معجونة بلكنة اميركية تأكل نهايات الحروف، وسمعتُ روز ترد عليه من مكان لا أهرله ولا أراه منه ولم أهتم مما يقولان شيئاً.

لحظات واقبلتُ روز باسمة في ثوب اخضر زاهٍ قصير يكشف عن ساقها حتى الركبتين، ومفتوح طوقه يكشف عن جيد عال مؤسس على كتفين ممشتين وصدر ناهد أهدت روز عنقه بفقد من اللؤلؤ الأبيض اللامع وتغطرت عطراً غامضاً يجذب مني انفاسي ليست هذه روز الجميلة التي رأيتها ترتدي الجينز هذه امرأة تحسن دعوة على صدرها وفي عينيها وتعلمها أدركت معنى نظرتي فابتسمت - مالك مستر اسماعيل؟ أراك شرودت بذهنك

سألتني بعد أن جلستُ أمامي جوار زوجها ماذا تريد مني روز بهذا السؤال؟ أجبت

لا شيء

- هل تحاف طعناها؟

ضحك لاري بصوت كاد يهز جدران البيت، فطره إلىه في

دهشة مملوكة بالاستياء، فمدا خجلان وهو يقول
لا يحب مسرر اسماعيل. نحن جميعاً غريباء طامع للغريباء لا
يختلف

وسألني روز

- أليس سعيداً في العمل مع مسرر عبد الله؟
- مسرر عبد الله شخص ممتاز، لا بد أنكما تعرفانه أكثر مني،
مسرر لاري يعمل في المؤسسة وأنت في حصانته.

وظللنا الصمت بداً أنني تجددت حدود اللياقة. قالت روز بعد
قليل

- فعلاً، مسرر عبد الله شخص ممتاز
وعندنا إلى الصمت هل يبوخ اللقاء؟ هل ينتهي الكلام بهذه
السرعة؟

لكن مسرر لاري سألني:
- هل أنت من القاهرة مسرر اسماعيل؟
- أنا من الاسكندرية
- أوه مدينة جميلة
- هل رزتها مسرر لاري؟
- لا قرأت عنها رباعية دريل لا بد أنك قرأتها روز تقول أنك
مختلف حد

أدهشني إصراره لنكادب وقالت
- احتفلت الاسكندرية الآن لم يعد لها لاجئ ولا يهود بالذات
- لكن لليهود يهودون الآن مسرر اسماعيل
لا اظن مسرر لاري

قلت ذلك ونظرت إلى ظهر روز التي استندت وقامت لنحصر
الطعام ظهر يديع التقسيم، كنت انهمس واحتصنه ورست ساقيها
تلمعان بأفق عريب لكنني سميت لمخبرات مسرر لاري فانطقت

قام هو ووضع في المسرير شريطاً سدت منه موسيقى خفيفة
معتصة. وعاد يجلس صامتاً وأنا لا أستطيع أن أمنع نفسي من
أن اختلس النظر إلى روز وهي تأتي بنضج شيئاً فوق السفرة، أو
تعود إلى المطبخ، وعاد يسألني

- هل تظن حقاً أن اليهود لا يذهبون إلى مصر الآن؟
- يذهبون ولكن لا يهتم بهم أحد
- لكن السادات يتحدث عن السلام كل يوم
- السادات ليس الشعب المصري مسرر لاري بيننا وبين
اسرائيل دم كثير

وسكتت وسكتت وحدث اشهر بأني أفسد كل شيء أنت ليكن لكن
روز وقفت فاردة ذراعها تقول بصوت مبهج
- كل شيء جاهر الآن

قصصاً للمائدة ولم يكن الفداء مختلفاً كان بالصمت كما قال
لاري، طعام الغريباء شرائح من اللحم ابارد، وشرائح من اللحم
المساخن، وأرز قليل، وحمض أقل، وحصار سوتيه وطبق كبير من
المسلطة. وزجاجة مبيد أحمر بورتالي عليها علامة العرسا لثلاثة

قال لاري
- يجب أن نعتذر لأننا مقدم إليك سيلاً انتقل بالطرشة

لم أنهم ماذا يقصد، فقال

استد بعد الكثير من مراقبه حتى ينتقل. أفضل نبتة تشربه في

مكانه

هذه مسائل دقيقة مستر لاري وأنا لا أشرب الخمر

عبرت روز الموسيقي، وادريت اسطوانة تحمل نغمات
لشترافوس. رسالي لاري ما بدا كتب احب الموسيقى. فتحدثت عن
ستراوسكي وحقير الربيع ونشيد كوكوسكي ومارش السلاف وبدا
لاري معجبا بثقافتي الموسيقية التي اعرف أنا مقدار ساطعتها،
وحي قال انه يحب كثير موسيقى هايدن، قلت هذا الرجعي الكنسي
لا يصمد دقيقة ثم فاجر مثلاً، وبدا ان الجو تكهر ببحق هذه
لمرة، لكن روز بتسمت وقالت بتفوق تحسد عليه لماذا حقاً لا
تأكلون في صمت، وتستمعون إلى فراشات شترافوس وهي تحلق
حونا

بعد الغداء قامت روز إلى بالكاتب سينما ستعرض اليوم
«لتاجر الأخير في باريس» وقال لاري
- أظن أن مثل هذه الأفلام تجمع في مصر

كنت أعرف أنه يريد أن يداي في أي طريقة وأما الحقيقة لا
ادري حتى الآن ماذا يادريه بالعداء، قلت
- نعم هي مصرعه في مصر

استم كمن طهر مغزيمه، ولم يضايقي أنه وجد فرصة للنيل
مسي لكنه سيق في الحج، وقال لي أن أدخل لأنهم في غرفة يومها إذا
كنت مرهقاً أدركت أنه يعرف أمي كشرقي سارق وناصرف

رفضت لكني لم انصرف قلت سيقى جالساً حتى أرى العيم

كان لاري ضعيفاً هشاً بحق تكلم فحاة عن أميركا وقال إنه
ليست كما نراها في الأفلام في أميركا مقروء، وأنه شخصاً من
جهداً كبيراً حتى يأتي إلى المملكة السعودية يد لي وكأنه يتحدث
مع مسؤول سعودي يملك قدره لكن روز انني جلست جوارى بعد
الغداء طول الوقت، كانت تبدو دائماً أكثر ثقة في نفسها

حين خرجنا إلى السينما كان الجو كثر برودة، ريف لأننا هذ
وسط صحراء واسعة، شاهدت أكثر من رجل وامرأة يخرجون من
البيوت، ويدشون على مهل يضحكون ويتحدثون بصوت عال،
ويتجهون جميعاً إلى السينما التي وجدت، صغيرة أنيقة ذات مدعد
جلدية وثيرة ومكيف الهواء

جلسنا، ودار الفيلم المصوع في مصر، وخرجت مسعوراً بأداء
مارلون براندو، ولكني رأيت عم عبد الله ينظر إلي في دهشة كان
بالسينما أيضاً، وكان في صحبت أميركي قصير وضخم بدا أنه
امتعض لرؤيتي لكنه تجاهلني ومشى في طريقه مع الأميركي
ارتبكت قليلاً ثم وجدت نفسي أفكر في الرقصة الأخيرة الجميلة في
الفيلم، ومارلون براندو يلعب سروانه فتغر أممه للنساء العجائز،
ثم انتهت النهاية وأما انذكر مارلون براندو وهو يطلب من الفتاة
الصغيرة أن تصع إصبعها في مؤخرته، وكيف راح يتلذذ بالأم وهي
تفعل ذلك

صرنا متنفس الصمت وناكله سعيد بفعل كل شيء يهدوه يقوم
ويجلس كأنه خيال يأكل كثر أسنانه تعمل وحده وعن مهر لا
يتكلم ولا يفتح التليفزيون يصفي كثيراً ويلهوا في انظرأ بلا صوت.
وأنا عرفت أن عابدة رحلت عن ثوبك فلعلت بصمت

في طريق عودتي بعد دعوة نور ماري أحسست بألم في الجرح
كان الوقت ليلاً والبرد شديداً والظلم حولي يُضئِلُ الحلاء الواسع،
وضغط البول شديد في مثاشي، فأولفت لسيارة وفزت، وجورها
وقفت ورأيت الدم ينفذ من الضمادة فوق الجرح، سببت الحركة
شفاء في مكان الخياطة إنشُرَ كان من الممكن أن أهد طريقتي إلى
البيت ويشدبر وجهه الأمر، لكنني توجهت إلى المستشفى، وقابلت
موردة أنا الذي رغبت أن أرى عابدة أحدثني ورده إلى طبيب
باكستاني، رفيع العنق، صغير الرأس شكل مشرقال لها أن تعالج
هي الجرح، وتركنا ممرعاً حين سمع سيارة الإسعاف

— أين عابدة؟ أظن أنها لا تزال تعمل كالسيد

سألت ورده وقويحت يسؤالي، فتور وجهها، وتحدثت في الكلام
ثم قالت

- في صلب

- صلب

- أجس

- ماداً

- جددجوا ونحدة منا فأنصافنا الزعب وتقدمت عايده بنفسها

تطب العمر هبال

- لكني كنت هنا منذ يومين، لم تكن لي شيئاً

- حدث ذلك كله أمس واليوم سافرت

- إلى هذا السعد

قلت بصوت هامس ووردة تنظر إلي، انتهت من وضع الصناد

وجئت تلحق بسعادته كيف لم يخبرني وجيه وما الذي جعلها

تأخذ مثل هذا القرار؟ أصابني الصمت فأنصاف وجيه أيضاً الذي

لم يجد أحداً يتحدث إليه، فصرنا نقتفس الصمت وننكله!

كان عليّ في اليوم التالي أن أذهب إلى واضحة، وكنت أعرف أنني

لن أقابها أيضاً، تلقائي خالده هتافاً كعادته وأحديني إلى الحجرة

الواسعة ثم أركب المكتب وطدت بسفي إلا أنزعج

- تفص بالجنوس يا استاذ

وأشتر إلى الأرض لم أجس ولم أرك

- والله يا استاذ واضحة مريضة جداً معها الطبيب من

استقبال أحد من اسموعين قد تعدد إلى شهر ويعلم الله ما يحدث

بعد -

مد - يدي أصابعه فصافحي طبع صلح منبور للتعب

خبر المُنكر في كل تنوء، عند الباب الحارجي قال خالد

- أعرف بيتك يا استاذ وحين يشقى وبصحة سأحضر إليك

ولم أريد تقيع طاريت الرسول بالحجارة حين ذهب ليده من

تقيع خرج ابن حلالا ويطلع الأسايا ودهن لكومة مطح اعصمة

وأصغر أول مرسوم يهدد بقطع الرؤوس لكني لا أظن أن صاحب

ينتسب لتكليف ليس إلا طائف مؤثراً من يترك الجنوب بحري إلى

الشمال النرب الجاف الآن؟ وصار اصمت أعفق وجدعت في

عودتي أن لا أعطيه فأمر بييت سيد الغريب، ذلك الموقف المنسي

بالخوف والحدار لا يجب أن يصيبني الصمت أي الأبد

سافر سعيد ولم أذهب اليوم إلى العمر ذهبت لى انظار ورأيت

وجوه المصريين حولاً مبتهجة مشاهير كثير وحركتهم دائبة

والشمس ساطعة أكثر من كل يوم وضحاكاتهم عالية، نهم عن

أبواب الفضاء الواسع، لكن سعيد صامت وب يزد د صمتي

حدث لي التبيت وقرات الصحف التي اشترها وجيه ولم يقرأها،

بعض يملأ عز استئناف المفاوضات مع مصر خلال اسبوع أو

اسبوعين في امريكا، والأسماء تتصارب حول سفر بشاه، وشهبور

بالجنار رئيس وزراء ايران الجديد بعض أن يراى قد توقف تصدير

البترول إلى اسرائيل، وعشرات من الاطباء تطيرة تظهر فوق

استراليا احصاء بقاء لامعة تطير عن غير هدى فوق الساحل

الشرقي للقرارة، ثم يحصلون لها في الاحمر وترس شارات

علمية، والطباء يقولون إن هذه المشاهدات هي كوكب لمرره

الذي يبدو الآن في أقصى درجات لعانه بحيث يعكس رؤيته نعتي

عشرة ساعة كل يوم بطريقة مخدع كل من يراه فيصنوع أنه جسم
محرك

عاد وحيه في الثالثة ودهش لأنني لم أتناول العشاء حتى عودته
وقال إنه من اليوم سبعمدى دائماً معاً قبل أن أدرك معنى كلامه
فكرت في ارتفاع صوته المفاجيء، قال

- سأعصر بالليل شهراً أو شهرين
إلى سأمي ليل وحدي قلت في نفسي وعاد هو يقول

- اظن انه لا حاجة بنا لأحد يسكن معنا أم لا تفعل ميزانيتك
نصف الإيجار؟
قلت في جسم

- سنأ في حاجة إلى شريك ثالث ولا إلى هذا البيت نفسه
- كيف؟

- هل تستطيع العيش لأن في بيت يملكه صانع سنوور الثقفي؟

كنت أنام بعد الغداء إذ انذني أعلنت الحرب على النوم الذي
أعلن الحرب علي. في يومين متتاليين صامت عابدة وواصفة ولم
يقبل إلا رود ماري شي اعرف انها لن تريد على جملة عارضة .
ولأن أيضاً ضاح سعيد هلز أدت للنوم الاسلحة

بحمسة أيام وأنا استخدم كل سلاح حتى لا أنام. استحم أكثر
من مرة في انيمم الواحد انزل عداة حفيفاً رغم هزائي بعد العملية
لا اجلس فوق اسرير احد الرياضة في الغرفة وأفكر بصوت عال.
مكر رسوم مثل صمواس خناس يجمع دائماً في اختلاس لحظة

تومخي فيها اهدابي قبضع فوق عيني دثاراً ثقيلاً من الظلام
ويشدني من قدمي إلى أمقل سلقين ويظل واهماً فوق رأسي يرسر
كوابيسه ورؤاه يصيبني اليوم بالزعب الآن وأراه جالساً امامي في
كل مكان في الغرفة يبتسم منكراً عطشاً . انه سبب انكون انابا
سبدي معتقد للاستسلام بشرط ان يعبر رؤاها نادا تداغمي
بالزعب ولم أعطىء حتى الآن في حق أحد . غلق كذاب واهسة إلى
الابد وحاب حنسي. واحتفت ببسمة إغلاقي يد ولفتاحي، ولا اظن
أن للفصة تقمة عبر ما جرى فكل ما احسست به لم يكن غير ظما
لم تراك تظن اني اشتبهى رود ماري شي دعطني ولا انهم للأن سر
دعوتها؟ ها أنت رايت يا سيد العيون والأجساد، ويا بدعت حبيدة
وسالب الارواح، اني ضيفت حندي أمام روجهما، ووضعت
الجنادل في طريق المياه للعبة السسبين بعد تلومني من اجل
عابدة اي خطأ في اني لا افهم المرأة الا للزواج؟ اي خطأ في اني
كنت أبوح برغبتني؟ هي التي سدت الطرق وفتحت باب جرح ما له
من شهاء مستقى هذا عشرين سنة حتى يشفى هشام الذي دهمت
سيارة يوم زيارة نيكسون للبلاد، لهاصري سبيسة أنا المحاصر
يا سيدي لا تمس واتركني أنام مرة كالاطفال فلم أعطىء يوم
صرخت -الامال- اني لا افهم الحب لا للزواج من كان يديني
ببساطة العفل وشغافية الروح، ما فسية للزعب والمبديء
العائقة المانية لا خطأ في ولا حصة رغم موت -امال- وصياغ
الجميع في زماننا لا يحوث أحد بالذهب إنما هي لتصير قدسة كنها
فما خطيتي ان كان ذلك قد حصص؟ الا بدل نظري في رغم اني
حالس فوق المقعد أقام بيبيك العمل واعداك من اعفو وبو لحنة
فوق المرير؟ ساستحم الآن ولن اعطيك اليوم فرصة اليوم على

الأفل حتى لو عمدت عياني وتحطمت أعصابي

ونرتكت الخقد خفعا. وتمددت فوق السرير اقلام وغمة في البكاء .
امسحاً حقاً في النساء الثلاث لم تبق إلا واحد لا أمل فيها. أمة
حيث تنو حبيبات حبيبات أصنعها ينقصي. وحبيبات تنقي في
طريقي وسددت العطاء قوتي وسحلت الوجود الثلاثة معي بحتة.
ودائهم أولئك الحزاس الأشداء سود الوجوه صفراء الأسنان ذوي
الابتسامة المنة رسخرات انتمدة إلى الأفق البعيد العالي
يسلبد الأرض ويرشونها بالقاء ويقيمون جداراً عالياً ويلوحون
بأيديهم لسماء فيتساقط منها أولاد صغار ولولاد كبار وضجوح
وشباب ونساء وبنت وترتفع في الأرض أحجار ويمسك بي
انحصين ويلقون بي إلى أعلى فأجلس فوق جبل تحيط قمته المياه
فلا يستطيع النزول وأرى واضحة مكومة على الأرض جوار الجدار
رأسها بين ركنتيه وذرع عيه وتسنيق وتري الذين يدورون حولها
بالابتسامات البهاء والذين نزلوا من السماء امسكوا الأحجار
التي ارتفعت فوق الأرض وتفرغ وتجري إلى اليمين فتراهم وإلى
ليسار فتراهم وأمامها سدوا الطريق ولا سبيل لها تسلق الجدار
وأما حجر عن النزول وهي تسمع صراخي وترفع لي ذراعها طعناً
وحجر بعد حجر والدهم ينفجر من رأسها ودور تنف عن قمة جبل
قبالي اشقت عن الأرض فجأة تصحك وتلعن شياها تطيرها في
لهواء وتعود الأرض وتبسبب ويصعد الجميع إلى السماء ويترامح
من حول الحبر امه وأمر محطوات بطيئة أتقدم إلى واضحة التي
تكوين الآر تنهم كطفر انتهى من الصراح بعد أن صريره ضرباً
مترجاً وجلس وحيداً في ركن دليلاً مدرك ميكراً حداثاً معنى الإهانة
ويدوب الجدار قطعاً من الفلج فيصير بحيرة مازدة ويمسكني بذ من

دراعي تقيمني أما الجالس يرأسني بين ركنتي وسراعي حول رأسي
أنهته بالبكاء وأرفع وجهي وأراهاء عابدة، يترقرق الدمع في عينيها
وامشي معها أتمسك ظني في حفرة في الطريق، وأطل أمشي وحدي
باتكياً أمسح دموعي بيدي ويطول الطريق وأنت فيه ثيابي وأحس
الشارع للعام فتصرح يا الهي ما كل هذا الجحيم؟ حصيص في
الحفلات وأما ما جئت السوق إلا للمسا للتعجب حتى إذا كنت أمام
بعد سماء الغوم بالغف سماء فيسباني، لكن سيارات الشارع العام
كلها تعود في اتجاه واحد وتصرح ريمو نغرها، وتكاد تنفجر فوق
بعضها، وأتقدم مسرعاً في الشارع أرى أفق اسجنوبي أسود من
الدخان الكثيف الذي يعلو النسبة الذهب التي ملأت صفحة اللغز
بالاحمرار الجنوبي انفجارات متوالية وخشب تطير عالياً وأشياء
صخمة لا أميرها وأشياء صغرة والرجال والنساء يقبلون مسرعين
في زهر يحملون الأطفال أويجرونهم جراً بلا رحمة والحمم الحمراء
تسقط فوق المنازل القريبة والصراخ يختلط بكل اللغات وأتقدم غير
مبالٍ بالاحتناق الذي صرت أحسه وأجري مع انفرج أسحب
المساطين فوق الأرض من الرجال والنساء والأطفال أعيد مسرعاً
بهم إلى شمال الشارع بعيداً عن الدار والداران بصوت عربات
الاسطاف يأتي من الخلف لكنني لا أتقدم من زهم السيارات التي
تركها وأكبها الآن وجرواً وعلينا نهر السير لا يعرف واحد منا
الأخر أن يحمل الموتى والمحتنقين، رؤ سيارات لا سفاح حيث تقف
وبصوت عربات الانطفاء يملأ الفضاء وتذبح حول لشوارع لتدخل من
الشوارع الجانبية إلى موقع الحريق الذي منهم نصف الشارع
العام الجنوبي كله ويرث الخراطيم الصخمة من الأرقه لكنها
فحاة نقلت من أيدي الحنود وتتلوى على أرض اشوارع كالتدخين

صار علي أن أجاهد لاسي لا شيء هنا ينسبك شيئاً، تبوك لا تنسبك، أمك ولا أبوك، والمسألة أن الغرباء هم ان الذين جاءوا يبحثون عن النسيان

ساعدنا انتقلنا الى بيت جديد في امشغال ذهني بعض الوقت حيث ترك لي وجيه الامر كله بصعوبة استاجرت بيتاً صغيراً من عرفتين وعلى نفس الطراز العربي في نفس احي الذي نسكنه الفيصلية غرب العدة، لكن عند نهايته حين يلتقي بالصحرى بيت جديد لا تزال فيه رائحة الملائط والدهان، وتخلصت ايضاً من لاثاث الزائد ببيعها لآحد تجار الهراجه.

احسست وأنا ادخل البيت الجديد لأول مرة أنني قادم للفوري من مصر ولم يسبق لي أن عرفت أحد هنا كنت لعل اليوم يعيد إلي ما خلقه الله له. ونعتت بعمق حقاً ولم يرهمي الفار الذي كان علي موعد معي دخل وعشش في المطبخ، ولم افكر في قتله او مطاردته جلست وبكتت حطاباً لعابدة اعلق كتاب واصحة إلى الابد وهو كتاب فتحة حماقتي، وكتاب رور هاري حذاء كله متاة فزيف للموت والضحة وما كان لي أن اخطو عن درجها خطوة فأحرك

الصحمة المدعورة وسقط فوقها حمام النار فتزداد تهوراً في استواءها، ويهرب الجود والمياه تغرق أرض الشارع ولا تنح إلى الغصاء ولا النار وتمو عمه كبره في السماء فتظلم الأرض ويرتفع التكبير بكل اللهجات ويرتفع الأدرع صارعة أن يهطل المطر ولا حطر فتمر العبة عر بهة لنا ويرتفع في الجو هدير الطائرات المروحية الصحمة الصغراء واقرا عى جوابها (القوات الجوية للولايات المتحدة) أهل حروف بارزة والطائرات قريبة تلقي فوق الشارع سحباً من الدخان الأبيض وانهاراً من المياه

مض رفقت هويس حقاً حتى وجدت نفسي وحيداً بين الخراب الشامل كنت مبتلاً بالمياه من رأسي إلى قدمي لكني لم اكن متعباً. أي قوة جسدية تلبسني اما الذي لم يعض على خروجي من المستشفى ثمانية ايام ولم أشعر بأي ألم في جرحي فقط صرت اشم رائحة شواء فحم محروق ثم حطب ثم حجارة ثم بشرى لا أدري إلا أنني أرى عيسوباً ذاهلة للرجال والنساء تحدث مع المحروقين الذين يملأ صراخهم الفضاء، والساكين معد أن صاروا جيشاً متفحمة كُشِفَتْ وجوه النساء جميعاً وسقطت اعطية الرؤوس من فوق الرجال وارتفع الاداء من المسجد الكبير وكل المساجد، وأقتربت من منطقة ام درم التي لم تُصَبْ بسوء الجامع يحميها لم أن اهلها ليسوا من هذا الهماز.

روقت احبهد لتذكر من الذي كنت ابحت عنه بين الموتى والمصابين كان سعيد هو الذي يدرك معي دائماً إلى السوق. سافر سعيد حقاً وودعه منفي في المطار

في عسي اسي كنت دمت وأهلت قوقه اليراب، وعلي أن انوسل لله
بالحمد والعرفان، مما حثت هذا لأقتل أو أموت، ولنظل الأوقات التي
أعصيتها معها معدرة حلوة أدركت منها حيوية الجسد، وانعماح
الدنيا وكذب الاخلاق زور ملري طمع الربيعي الذي يعصي في
اسديسه يوماً واحداً ويعود لأهله وأصحابه محدثهم عن فتوحات
استغافها من تحذيراتهم السابقة له، ولا هروب لي من عابدة، عابدة
فقط تؤاسي جرحي اوهمية، وبها يمتلئ فضائي الذي اكتشفت
خواءه الآن

لم اكتب إلا هذه فقلت ذلك؟ إجابتها إر جاءت تتم القصة.
وكتبت عن المظروف، عابدة عبد السلام مستوصف ضياء، وكأني
بفتحت بفتحة الانتياح تذك النعم صديقاً طيباً، وكنت أكثر من مرة
أقوم أبعد عن الفار لأبتسم في وجهه المدعور وأشجعه على البقاء
و مر ح عسي كل خوف من أحد أو عي أحد، وأدركت انه قد مضى
شهر لم أر فيه رز ولم أسمع لرؤيتها ولا هي سعت كنت مهياً
للسياد إدن وحطابي لعابدة هو قطرة البلمس الاحمر لروحي التي
أهتلت بلا سبب هو بداية الجهد لاتعاض ذاكرة الانثى الجميلة
بانه لا انثى في هذا العالم مهية لما هيأت نفسها له من واجب، ما
الذي يبيع حقاً أن اكبر لارأس سبلاً في هذه البلاد؟ كل هارس سبيل
أنفد امرأة في تاريخ هذه الدنيا أحبها وأحسنه واليوم، وقد مضت
ثلاثة اسم عي حطاسي لها أقود سيارتي إلى العمل بروح شريفة رغم
السحر السود ابعدرة عي المعطرة التي محجب عي السماء.
وتعزل اشمس عي اسديها، وبصم البرد القارس تحتها، فلتشعل
السبحارة تلو السبحارة في كائنة السيارة مقلقة الوافد

رأيت الباكستانيين يقفون أمام الكامب ويحدثهم الكثيرة على
الأرض ولا يكفون عن الحركة، وأنا اسميل مسيرتي عن الطريق
الرئيسي لأدخل ملحة مكاتب الشركة وأوا مدبري ايها ولوجو لي
مقرهم من بعيد عشرة سببساغرون اليوم إلى باكستان في جارتهم
السوية تسعة معهم أحضوا في العمل خمس سنوات متوالية،
ويهم خمسة أهوا معافدم ولن يعودوا العاشر أرشد اسي يديهم
في القيام بإجازته كل عام، وسيعود بعد الإجازة يبدأ عامه الخامس

ويعومي اسس وأنا أعطيه التذاكر وجورات السفر، وسألوني
ما إذا كنت أحب شيئاً من باكستان، كلهم والدين لن يعودوا أبداً
كرمهم، لكن أرشد كان يبدو مرتبكاً، ثم أشأ أساله قلت لعلها
الشاعر التي تسبق للسفر الطويل بدوا لي ليوم في سراويلهم
البيضاء الفضفاضة، والجاكيتات الزرقاء والحضراء فوقها،
ومركتهم الدائبة أمام الكامب، كأطفال يوم عيد ودخت الباحة
تمرح في صدري الفسرة والابتهاج

حلتس ويدي بعد أن أقبل العمال ووقع في دمت الحضور، وما
كنت اشعر في ترجمة بعض انقاريين، حتى فكرت بم حقاً لا يأتي
وجيه بإحدى روجيتي لتميش هذا معه تجاوز وجيه الحامسة
والأربعين، ودخل في منطقة الفراش الهسه والبيت المريح، والنظرة
الطعة للزوجة الطيبة، والسعادة بم ينيره الأولاد من ذكرى وهم
يعاونون ولو قللاً مسيرة الأب في الحم والحب والامان بمط عرب
من البشر وجيه حقاً يشقى ليسعد روجين عيدين نبي تروجهم يعفى
عنهما بعيداً^{١٠}

شُكِّت الباكستانيين؟

قال سين وهو مدخل الغرفة باسمًا يحمل قنديل القهوة

- هروب وانته قروب طول الليل معال يا ميبيل ساعدا في العثور
على جبل معال يا سين ساعدا في العثور على كرمونة فارغة، إيش
تبعي يا سين من نكستاز يا عم لا أبقي شيعاً أتركوني انام
اسهر معك يا ميبيل فلي براك مره اخرى لقد ظلوا يقنن طول
الليل
- وأرشد

- غريب ارشد لم يتكلم كلمة. لماذا؟ هل تعرف؟

رلم جد بدأ لا اعرف رداً حقاً وسكتنا قليلاً ثم قال ميبيل:
- ما هي حكاية الأطباق الطائرة هذه الايام؟
- أي أطباق طائرة؟

- الا تقرا الجريدة؟ لا تسمع النشرات؟ أطباق طائرة في استراليا
وقلت بعيد، في نيوزيلاند، وقلنا بعيد، في اليابان وقلنا ايضاً بعيد، في
امريكا ايضاً بعيد لكن في الهند وشمال العراق وتركيا يعني ان
المسافة قريبة جداً
- وماذا يعنيها من قربها يا ميبيل؟

- أنت تعلمك الا تعرف؟ أطباق طائرة تسمى ار الناس الذين
يعيشون بعيداً عن في اريخ أو رجل يمهدون نغزوا الايض.

اسطفت صحن شرابه وهو يحظر الي في حجل وهشة
واستسادة داهله لم تفته الا منحول سيطرة وسماعنا صوت عم عد
لله وهو يدحس يتحدث لاحد بالانكليزية
- ما بهار سرور

قام ميبيل وقُرح إثر العيونه، وبعد لحظات وقف عائد على باب
غرفتي بدعومي القابلة عم عبد الله

- هن لديك مشكلات في مصر؟

سألني عم عبد الله بعد ان صالحي مستر لاري الذي وجدته
معه في غرفته

- مشكلات من أي نوع؟

- مع العمل مع الجيش أنا اعرف ان الكثيرين منكم يهربون
من الجيش وينفدون أوراقهم
- أنا لا مشكلة لي مع احد

قلت وأنا اطلب النظر إلى عيني

- إذن تصالغ بعد يومين إلى القاهرة، «لاري» يشرح لك

وامتثل عفا بالتليفون يتق أرقامه فقام مستر لاري وهو يقول
- يمكن ان نتحدث في مكتبك.

سبقته وتبعني، وجلسنا على مقعدين متقابلين، ولا بد أنه لاحظ
شروحي قبل أن يتكلم

مصر والآن، نطقها عم عبد الله فاستمع صدري بالفرح مصر
والآن، لعل فيها الشفاء من كل شيء مصر من في الاتصال بعيدة
سرعة البرق لا تعرف عنوان أهلها هناك فاقبل هاشم استغاث الذي
لم تحب من اخوتها غيره والذي صرب حولها سوراً من الانظار
صلاً دون أن يدري أي صله تربطني بها حتى أرسل إليها برفقه

يمكن ان يعرف اي أحد؟ لا تليعن بين تبوك وضبا لا تليقون؟
اللجنة على السرب والريال والدمتار والدولار الذي لم يزل موسع في
المسافات

- كيف جالك معسكر اسماعيل؟

- بحير معسكر لاري

- الرحلة الى مصر جميلة على أي حال.. لقد رضحتك أنت بالذات
لهذه المهمة منذ رأيتك رود قالت أنك تجيد الإنكليزية ونحس نحتاج
لها

- حدثني عن المطلوب معسكر لاري

- في هذه الظروف بوليصة شخص بصانع قيمتها ثلاثمائة ألف
دولار عشرة صناديق من المعدات الهامة شخصتها أما منذ أربعة
أشهر من سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا ولم تصل حتى الآن.
على بوليصة اشحن كم ترى رقم الرحلة وقاربها والشركة التي
شحنت عليها. شركة طيران نولتهانزا الألمانية وهذا أيضاً خط سير
الرحلة سان فرانسيسكو ميونيخ القاهرة جدة تبوك
- ولماذا أذهب للقاهرة معسكر لاري؟

- لأن لاحتمال التوحيد الآن هو فقدان هذه البصائع في أحد
المطارات ومطار القاهرة هو المرشح لذلك أنت تعرف مصر أكثر
من معسكر اسماعيل

قال ذلك وأبتسم لكنني لم أبتسم. عاد إلي شعوري بالتحدي
ألا ذلك الشعور الذي قهر ميداً حقة بلا سبب والذي أشعر به
وقد أراد اليوم

سكراً لا يمكن مخاطبة هذه المطارات بالتكلم من هنا.

فعلنا ولا لحاية حتى الآن. مصفاة غربية معسكر سمعني، لكن
لا تشمل مالاً كثيراً. سنجد البضائع في النهاية

وأخرج من جيب متفرقة الداخلي رزمة صغيرة من الريالات
ورقة وقلماً

- هذه خمسة آلاف ريال لك مصروف جيب بالقاهرة يا اخو
في كل شيء في القاهرة تحركه النقود وهذا يحصل رجوا أن توفيق
عنه

ولم أجد طريقة لارد إليه الامانة إبه على حق باتأكيد ارتبكت
لأني لا اعرف كيف انتصر عليه وأثقت على لإيصال بسرعة فقدم
بلف مبتسماً ويقول:

- عليك الآن بالاتصال بالخطوط لسعودية لتجبرك تذكرة في
رحلة بعد عد. ولا تنس أن تطلب هيرة خروج وعودة لمدة شهر أو
شهر ونصف حتى يكون لديك متسع من الوقت

خرج - لاري - ودخل - أرشد - في نفس اللحظة لشاحب بوجه نك
في عينيه عيظ شديد، وألقى بنفسه على أقرب مقعد
- أرشد - غير مقبول

ونظرت إلى ساعة الحائط العائنة الطائرة تنقل في التاسعة
- هل تأخرت الرحلة أرشد؟

وقع عينيه إلي وهو رأسه بالنفي لا يزل فيهم عظم ومص
- لماذا عدت أدنى؟

- بوتو مستر اسماعيل. بوتو وصياء الحق .
- هل قتلوه؟

- أيدت المحكمة العليا قرار الاعدام السابق صدره وقضت
الالتباس الذي قدمه بوتو لم يملك. العقو المحكمة تعمل كما يريد
صياء الحق.

- أرشد.. أمت صديقي. أظن ذلك هذه المسائل الكبرى لا
يجب أن تعطلد، بوتو يقتل صياء الحق صياء الحق يقتل بوتو ال
الجميع بالجميع

- أبا ارفقك مستر اسماعيل لكن - وأجهش في البكاء - لقد
هيانا انفسا نسفر اليوم. نسلنا برقيات لأهلنا وهياوا انفسهم
لاستقبالنا. كذا بيكي الآن مستر اسماعيل كلنا نحب أولادنا
وروجاتنا وأبنائنا وأمهاتنا وأخواتنا. وقاچ بيكي. غلام بيكي. سرؤ
بيكي حورشيد رچدج ومحمد نحن نساء جداً.

ولم تكن هممت شيئاً بعد. أصابتني الحيرة ودخل نيل الذي
عرف بسبأ سعري لتاهرة يقول بصوت عال
- هيناً لك السفر

وتوقف عن الكلام إذ رأى أرشد بيكي
- ما بك أرشد؟ مالك صديق؟ نادا بيكي. هل هناك مشكلة حول
لكور؟

حججت لي قوة كبيرة أن لا أصحك، ولم يرقع أرشد وجهه اليه
قلد لسيل

لقد حكموا على بوتو بالاعدام مرة ثانية

- بوتو بوتو من؟ آه بوتو رئيس الوزراء - هل هو قريبك أرشد؟
ومرة أخرى كنت رغبتي في الصلح. وعمرت لبين نبيبي أن
يكف عن الاستمرار في الكلام. سألت أرشد
- أنا لا أقوم سبب عودتك من المطار حتى لا.

- المظاهرات مستر اسماعيل استعت في كل باكستان. الحكومة
علقت المطارات. قالوا لنا - لك هذا، وقالوا أنه من الأفضل رجاء
الرحلة بدلاً من الانتظار في جدة أو في برمباي بالهند
وسكننا نحن الثلاثة. كان نيل لا يزال واقفاً قنت لأرشد

- لا أظن أن دولة تغلق مطاراتها أكثر من يوم أو يومين، وغداً أو
بعد ليس بعيداً أرشد..

ولم يرد. ونحننا نمسك من جديد حتى صالني.
- ماذا ستفعل الآن مستر اسماعيل.. نعيد إلى العمل؟

- لا أبقوا في الكاب سأسحب لكم م تمضونه من انتظار أيام
عمل لا تغلق أرشد.

وقف وقال

- أشكرك جداً مستر اسماعيل لا تلمني على بكائي
وصالحني وقال حمسكاً بيدي لحظات. قلت
- أنا أحبك أرشد. وأحب كل الناكستينيين
قشد على يدي بيده في مواضع كبير وأنصرف

لم يعطني أحد فرصة الطوس وحدي جس عاند معي كثيراً

شرح لي عنوانه مانظوية بالقاهرة واعطاني ألف دولار لاسلمها
لابه. خرج وكان سبيل لم يجدد معي بعد فيما يريد ولم يغادر
الحجرة محدثني عن اسمائه التي يحس اليها، إلى جلوسه في المقهى
ولعب الدومينو بين السلخامية والجزايرين والمشكارة الذين مهما
لبسوا ملابس نظيفة تدعى بها آثارهم، ولم يطلب مني شيئاً. غير
أنه سكنت مرة سكرتيراً طويلاً وقال إنه يحلم هذه الأيام بأنه يقف على
شاطيء النيل في الكيت كانت ويقذف بالأحجار لتصل إلى الشاطئ.
لآخر في الزماتك حلم يتكرر كثيراً ولا يفهمه كان يفعل ذلك وهو
صبي وكان زملاؤه يحسدونه ويهدمون من هذه القوة الهائلة في
دراعه وعمره في نفس الوقت عن السياحة مثلهم في النيل بل وحيث
الشديد من الغرول اليه وسكت مرة أخرى طويلاً وقال لي أنه
يحارب كثيراً مسألة لاصياق الطنثرة التي نتحدث عنها الصحف
والاذاعات، مد يحدث لو سقط طبق طائر على بينهم في أممائه.
بيوت قديمة متسدة بالعالية ويمكن أن تحترق كلها ولم يصدق
أبداً أحد حرائق حتى الآن إذ لم يأت شخص واحد بطبق طائر أو
مخلوق جاء مع أطباق وصرصر صورته أو عرضه إلى الناس على
شاشة التلفزيون. لماذا إذن يتحدثون عنها إذا كانت خرافة؟ قلت
له أن لا أعرف مثلك أيضاً لماذا يتحدثون عنها ولكنني أذكر أنهم
في مصر قالوا بعد هزيمة ١٩٦٧، إن مريم العذراء تظهر كل ليلة
في كنيسة بالقاهرة. قال «مانظوية وهذا حصل». لقد دعيت مع أمه
وبناء الشارع ورأها. قلت له لقد وصح بعد ذلك أن هذا كان من
برمجة المخابرات المصرية لسمي الماسر الهريفة. فصرخ جبهة بده
وصرخ ديامير النبي، وقال إنه لا يصدقني، فلم أشأ الاسترسال.
فقال إن الصحف تتحدث عن أطباق طائر في بلاد كثيرة وهذه

علامات الساعة. وخرج ورأيت الساعة الثانية عشرة فدخلت إلى
الطاعة لنظر إلى النمطي فوجدته واقفاً ساب سمعته فوقعت في هوى
ميكلمني وتقدم وصافحتني متحمساً ابتسامته الواسعة
- تسافر إلى مصر؟
- أجل هل ترغب في شيء أحضره لك معي؟

وانقضت المسارير وجهه وتجهم وتركني وخرج بجس مكانه
يصبح السواك ماذا كان يريد مني ولماذا سألني؟ لم أفهم ودخل
عابث إلى الغرفة وقال إنه فكر وقرر ألا يرس شيئاً لأحد لأن لأنه
أرسل مبلغاً أكبر منذ أسبوع، فأعطيت الألف دولار وأنا في دهشة
بما يفعل لكن مصبور الذي انقطع كثيراً عن الظهور بحس الباحة
بعرفته فأثار زومعة من الفيل

- بلغني أنك تسأل عني؟

قال وهو يدخل من الباب والقرن فوق كتفه ولم أكن سألت عنه.
فكرت فيه مرة أردت أن أخبره بأشياء خطيرة ودون سعيد، ليس
حسباً فيه ولكن كرهاً في ذلك التي لم أرها، وأنتي دفعت سعيد
للاحتفال الذي انتهى وجوده بعد أن لا أعرف ماذا كان يُبَيِّت
مصبور لهما، لكني لا أظن أنه يبيت إلا شراً. هل أفضله الآن
وأخبره

قلت بعد أن جلست خلف المكتب المجاور لندوبة ووجهه بصره
محوي ينتظر أحده

لم أسأل عنك وإن كنت تحست أن أراك

- فقد عرفت القصة كلها.

أي قصة؟

- قصة رأس السنة لقد وُدَّ صاحبك.

وسكنتُ كيف عرف يسفر سعيد هل يعرف صالح شيئاً عن منصور أيضاً؟ تجاهلت منصور وشرعت أترجم ما لم أبدأ فيه بعد من تقارير لم يتحرك منصور من أنكتب رأيت القرد يقفر على المكتب ثم إلى الأرض ويقف يطر إلى كَنه يعرفني لو يحاول يتذكرني
- تعال.

صرخ فيه منصور، وكنت أنا وقفت مذعوراً من نظرات القرد الصغير الذي احمرت عيانه، وبدأ متحرفاً لعمل ما لا أدركه خرج منصور من خلف المكتب ووقف يمد ذراعه أمام القرد الذي لم يجاوب.

- تعال يا كلب

ولم يتحرك القرد فقط نظر يميناً ويساراً طلع منصور العقال الأسود الجدير بهكام وطوح به في الفضاء فأحدث صوتاً كصوت سوط موهل للأسود وأحس القرد رأسه يمر السوط من فوقه فزع القرد وقهر إلى الخلف وشققت في الفضاء فصار وجهه إلى الباب فأسرع يجري قاهراً إلى الضوء في الباحة الواسعة وقف لا يتحرك يا كلب - صرخ منصور وهزول خلفه والعقال في يده فانزلت الفتوة من رأسه إلى كنفه إلى الأرض وصار في الباحة بطوح بالعقال خلف القرد الذي صار يصرخ بصوت رفيع متقطع ووقفت أنا عند الباب

ورأيت نبيل يقف عند باب البوينة والسني جالساً في مكانه لا يتحرك أو يهتم، فقط موقف عن تحريك السؤال وأسعد عيانه وبعثا ووقف منصور يصرخ تعال تعال واقرب يقف بعيد يصبر انبه في رعد فاندفع منصور ناحيته وطوح بالعقال في الهواء بقوة جعلني أفكر انبه لو طال القرد لشطاره شطرين لكن القرد فزع أعز السيرة الكاديلاك البيضاء لحم عبد الله الذي عاصر المكتب في المرسيديس الصفراء اليوم دار منصور حول السيرة والقرد يتحرك فوقها عاجزاً عن الهروب أو هكدا بذالي ويم يذبح منصور عن فرد ذراعه اليسرى ليقفر القرد فوقها والتلويح بالعقال بهدوء في الهواء وكان القرد كان يعرف نية منصور ففي اللحظة التي سوح ليده بالعقال بفرقة فخر إلى أعلى وصرخ صراخاً هويلاً ربيعاً متشججاً وعاد يقف فوق السيرة ينظر في شراسة إلى منصور أتركه سينزل وحده . هتب نبيل الذي يقف بعيداً أمام البوينة لكن منصور لم يكن في وضع يجعله يستمع إلى أحد فقد فلز يصعد لسيارة من أمام وقفر القرد ففرقة كبيرة من فوق رأس منصور وهو يصعد فانزلت قدم منصور وسقط بوجهه فوق رجاج سيرة الأمامي رشهقتُ خوفاً لكن الرجاج لم يتهشم ورأيت قرد يجري هرباً في الباحة لكنه لم يخرج دار مع السور وفرغ السني ندي لم يترك مكانه فقام لأول مرة لكنه تمعش وانكفا على الأرض وتجاوزه القرد المصروع حتى وصل إلى البوينة فدخله معبر سرعة وأحس الباب دار القرد مع الجدران فكاد يصطدم لي لكنني براحتت خطوة فمر من أمامي وكل منصور قد استجمع نفسه ووقف بباب الباحة يسده بتلويحه بالعقال اللامع ووقف القرد قريباً منه لا يحرك كل منهم سحر إلى الآخر في تحفز ورأيت شعر منصور أسود طويلاً ناعماً لكنه صار

منكوشاً. وحدثت عيناها واحمررتا بالشرر وأرجى مصور ذراعه
تركاً لفعال مور لأرض وتقدم يبطه فأبدأ ذراعه للقرود معال لا
سحب معال دأحي لكن القود حرى من حديد وبسرعة مذهلة
ذهبية انبوهيه الذي ظهر فجبل عن يابه مرة أخرى وقفز فعزه حيازة
إلى آخر سحاور بها انبوهيه وسور السركه معاً خرج مصور مسرعاً
من باب لباحة ككي كنت أعرف أنه لن يلحق به عل: وحده وبم يفه
بكلمة وركب سيارته ومضى ووقفت أنا أفكر اين ذهب القرد الآن
لا بد قد سبق بالكلب لأبصر الشئ في الرمال التي لا نهاية لها

٢١

هذه هي القاهرة

حسن فوقها الآن. لكنني لا أرى شيئاً عاصفة ترابية تعطل هبره
الطائرة يعجز الطيار انما قد تضطر لهبره في مطار الأقصر، وأند
الذي أحببت أرى النيل والاهرامات لا أرى إلا غصاء أصفر من
خلف رجاج النافذة الصغيرة التي حوصت على الجلوس جورها، اد
في ذهلي جلست كيفما اتفق وكنت مشغولاً بسحوف من ركوب
الطائرة لأول مرة

في أيامي اليوم حبيت العاصفة بجاني، وم أرم مصر كلها إلا
لساني البهر الأحمر مفرجين عباتين بها هي لطائرة تُعوم دائرة
فوق القاهرة أكثر من مرة ولشعر بدور بها والعاصفة الترابية لا
تتيح لي أن أرى شيئاً وأفكر فجأة أن لا أعود إلى المملكة هل يسأل
عني أحد وإن نضر أحداً والخمسة آلاف ريد التي أحدثتها تركت
في علي أكثر منها راتياً لم انقاصه ومكانة ر جارت بم المم بها،
وعلى السائد الركاب الغفاء في مقاعدهم وربط الاحرمه سبعد دة
للديوط وأنشغل بالجلوس في وضع مستقيم وسمع تعفمت بدايب
قرآنيه حولي وأرى الصمت الرجيد مخلقاً فوق الرؤوس اد مسيهط

الطيار رعم العاصفة، ورجاء إطفاء سخاتركم ويطول الصعب حتى
لكس لعائشة ححر ترتطم عجلاتها بالأرض بقوة ولا صوت فرع
ويبدو صوت محركها ويشهد صراخها وهي تجري الآن فوق
الأرض تهتكم بسلامه الوصول والساعة الآن الثالثة بعد الظهر
بموقيت القاهرة ودرجة الحرارة في الخارج خمسة مئوية وأصبع
صوت عربات الاسعاف والحريق لكن المصيفات المصريات يقفن
يبتسمن لنا هي امن مجرة استعدادات ويطول الوقت قبل ان
تفتح الابواب وتفتح فنجري الى الاوتوبيسات الصغيرة تصل بنا
بسرعة إلى صالة الوصول فإراها خالية تقريباً وما تكاد تنتهي
جارات دخولنا حتى تصل حافلتنا وكل شيء يتم بسرعة مستر
لاري ولا نزل لي بها العاصفة القرابية الفت رحلات كثيرة اليوم
وأخرج من المطار فلا أرى القصاص الواسع امامه بل أرى الناس
تجري مخفية وجوهها في صدورهم ويطير ثيابها والغبار يدخل
الحلق والآنول ويشد لوق العيون جفونها فأدخل أول تاكسي
يقابلني وأشير للسائق أن يصع حافتي في حلبة السيارة

- حمداً لله على السلامة

- لله يسلمك.

- إلى أين؟

- الاسكندرية

- في هذا الجو الاحمر ثلاثون جيبها.

- موافق

- إسن حف سبجارة مني

وينتد السائق يعطيني سبجارة ويهيم بوجه الاسمر

الخبيل المحاط بكوفة تغطي الرأس أبداً وتلف حول لعو
ومطلق للسيارة، ويبدو مجملها، فتصعب صوت ام كنوم

- لا نخش شيئاً. متصل بالسلامة شريطاً فقط وبصل الار
وجدت حبك ليه. والثاني مذكرات: يا استاذ - وضحك أم محب
تسمع - أروح لبي؟

ويضحك أكثر وأقسم أنا ويدير مكيف سيرة اليموزين
فيشري الدفء في جسدي والاهمائل معه ولا يطير لطريق، إذ
أصل وكأني ركبت مدد - رائق وتضرب حولي حقة الاستقبال
والانتهاج ودموع أمي ويصيح والتليفزيون يبت بشرة لأخبار
سقوط طوران في يد انصار الحميين والعموض يحيط بمصر
ياختيار والملك الحسن يعلن أن الشاه يلقى بالمغرب كمثل عادي
والشاه يشكر السادات على الأيام التي قضاها في مصر بعد خروجه
وصياء الحق يرفض الاستجابة لنداءات الدولية بالعفو عن بوتو
ويقول انه لا حيلة له في حكم المحكمة وأرشد يلقى لي صباح أمس
لا مفر من اعدام بوتو مادام ضياء الحق على كدبا أنه لا يتدخل
في عدالة المحكمة ويقتسم وهو يعلن لي أن المصدرات فتحت في
باكستان وأنه سيمسافر اليوم في طائرة المساء رحلة طوية مستر
اسماعيل لكنها جميلة. تمك جدد يومباني. لاهور يمشاور أمنة
زوحتي وريف اسني ثم لصدقائي مسمر سماعين والوحيوم لا يرل
على وجه أمي إذ رأسي شاحواً وعرفت أنه اجريت في جراحة للندة
واقول لها لقد حدث ذلك منذ أكثر من شهرين الآن ولا طن أني
شاحب كما تقولين وأضحك ويضحك لحنني سماء وتقول إني في
أحسن صحة ويقول لحي بهاء إني في أحسن حال وهذه ساعة دو

ورحبة دارمان شميل وثلاث بلوزات مونتيجو غريسة وقطعه من
 حرير الصبغي تصلح مستلماً وقطعه من انصوف الهيلد
 الانكليزي تصح زبر لك يا سناء وقيلة من احتي على حدي
 رةوحة تكاد تقعر من عسبها وهذه ساعة اوزمت وقطعه صوف
 لدله ويقدم اقلام شيفر وينسامة وشكراً بلا قبلة عن بهاء وهذه
 طريحة من الحرير وقطعة فحيفة وبالمطو اسود شيت وعباء مغربية
 لك يا امي وكتر حرك يا امي وبموقع وهذه الحقيبة بما فيها الزوجية
 وولديها وعلبة وينتها ولا يقترب منها احد ونضحك والحقية
 الثالثة به فستق وبرد وتفرج وشاي لبيتن وعصير برنقال جاف
 وصابون لوكس وينظف سود وهيل واشياء كثيرة تستطيع يا امي
 تقسيمها بالعدل ولا تصحكوا هكذا يفعل المصريون جميعاً وما
 تعلمت منهم وأنت ماذا احضرت لفسك؟ الكثير يا امي تركته
 هناك هناك هناك إذن ساعود ليس لاني اشتريت شيئاً تركته
 وبكفي أحس بالحزن لعودة ويزداد الحزن كلما مر يوم بعد يوم
 وأمشي في شوارع الاسكندرية فكأنني ارى مدينة لا اعرفها فالرحام
 خالق واسوصلات بعيشة والأرض طيبة والمداني باهنة الظلاء
 والتليفزيون بيت برامج غريبة ليس فيها الاكفة التي ربطت بيني
 وبين «سجلة استيعري» ولا من كل بحر فطرة أو أبجد هوز ولا
 «شي ماتش» والرجس الأحمر ولا «انشيح الطيطاي» وصوت
 لآدار يسر حريهاً ولا ذبيحاً ولا هـ من حزن قائم من فوق حبل
 بعد ولا يصحبه ماء شحي يعقل الروح الى بحار الوداعة وليس
 هناك من حبل أحد الحاف ولون الحبل الأحمر العالي الوديع لريد
 أو عود حفاً فأنا انتظر رسلة من عابدة التي تمضي الليل وحدها
 على سطح ماء محيط في بلدة يسكنها الصمت والاشباح ولا مكيفيات

اندأ صوت عند الحليم مالك يا اسماعيل كل يوم نقول لي امي لك
 ودراني رانماً متلبساً ملتصمة لا تعرف أنني أود بها على انيممي
 عريب الأنوار أو متلبساً بصحبة ولا تدري اني استمع بسيل أو
 ترتصم الصخرة على وجهي ولا تدري ان أممي محبس منصور
 منجهاً والقرد عن كتفه أو يعبو لصيق سحبي ولا ترى عيماً
 يعطيني خطيباً من وأصحة عرف أنه عن ارياهي خطاب
 واضحة «أين هذا الخطاب اندي لم الفحة اخذته لي البيت، ام
 تركت في العمل؟ كيف معي كل هذا ابولت دور ان الفحة» وأصر
 ذهبي لأذكر أين حبائه وينتابني القلق من عبيد الذي يمكن ان
 يجده في المكتب فيعطحه ويقراء وأمني لنفس باسي اخذت
 الخطاب معي الى البيت ولا يد أنه بين أوراقي هناك وأعرف وأقول
 ولو وجده عابد وقراء ماذا يمكن ان يحدث أكثر مع جرى؟ راحت
 واضحة وانتبهت قصتها الى الاند والماد انت صامت يا ودي ولا
 تسأل أحبك عن احوالها الدراسية ولا أهلك ويا رب من ام امي لا
 تريدني ان انسى مؤامرة أبي عني وينتهي اسبوع واقول هذا يكفي
 بيكم وعسدي عمل بالقاهرة ويسكت الجميع وتأخذني مي الى
 غرفتي التي حرصوا على حفاظتها في غيابي كما قالوا يقول ان علاء
 ابن عباس الضواني تقدم لمطبة ساء وينتظر عودتي ولا تنتظر ان
 ابتلع دهشتي «علاء تخرج من كلية الحقوق بعد امامي كما
 تعرفه وأتذكره الولد الهادي» انوديع الذي اقام ابوه وليعة كبيرة
 للعقراء يوم مجاعه علاء طموح يفكر في فتح مكتب للمحاماة، ويتعلق
 امي كل الطرق ويمضي اسبوع آخر بحصر فقه علاء وبوه وشكوكه
 في الرجل عن علاء السكر والدقيق والسمسم والرب والشرسات
 والاكوار الصناعية والاكبال والسمسم والشيكولاته وكل شيء بدح

في صناعة لحلوى وأنه لا يكسب إلا بالتعرق والفقر والفاشل وانفردوا بالحصص والتجار الكبار وترعروا لامي واختاي الكثيرين ويمتلىء بيت بالصيوف ويقلع فرح بسيط ويتم الخطبة رازهمو مجلس سناء حوز علاء وتعز من عيني دمنة الآباء والأمهات وإلى محل مصطفى برويش أصحابهم للعشاء ويهرسي الاضواء اجبضاء والبهجة البيضاء والمارش البيضاء وثياب العاطلي ابيضه ويتحدث علاء عن مشروعه في امتلاك الشقة والمكتب فهو جاهر به الى حد ما "أى حد ما" ويقول سناء ان علاء يحبك جداً وكيف قال انه لن يتحدث في المحلوبة مع أحد إلا انت حتى لو أتيت بعد عشرة اعوام لم يكن ممكناً البقاء عشرة اعوام يا سناء. ولا أنكم وأرى لبحر مطلقاً واسع الظلام وموية البرد شديدة حقاً غير كل عام فوق الاسكندرية المشهورة بالدقه وفي البيت تقول لامي لا يجب ان تتنصر سناء أكثر من عام فسترة البنت الزواج ما رأيك؟ رأيي؟ لقد رتبته كل شيء ولا أنكم وأقوم لأنام فتاتي حلمي الم تفكر بعد في بنت لعلال؟ أتشم ولا انه وأسعى للنوم الذي لا يسعى لي وأدخر تحت الغطاء فعي ان اعود واكمل عالمي الأول راعطيه بعلاء وسناء في أي ركن من الظلام كان يقبع علاء هذا لينتظري ليكن لكل مرة نهاية ولا اضرب عليه ستمصاع للدرس لنبيس قبل اقل من عام

اسم وحسم مفكراً جداً اسأل لامي عن قارور الذي اتركه لحدة فستكت قليلاً ويقول أنها لم تعد تعرف عنه شيئاً إذ تقدم احمي يحطب سناء مرصداً كيف تزوجها له هو الذي له من زوجته اسابقة ولذدهش ويسمع يقول إنها عروب منه انه يعمل في شركة خنسيم لأراضي بالساحل الشمالي ويكسب أكثر مما كان

مكسبه في السعودية ولكن سناء قرأت في المصحف ان شركته قد استولت على أراضي الدولة وقسمتها وبياعتها للناس معللين الجنبهات وعجز الناس عن اسبغلال ما اشتروه من أرض وهناك قصصاً كثيرة مرفوعة على الشركة لأن وأقوم لامي أنني عقدت العزم على السفر الى القاهرة وتكملي لكن لا بد ان اسافر وتعز دمنه من عين سناء. ويشد بهاء على يدي وأخرج دامنناً لا يوجد حقاً وداع طيب في هذه الدنيا فما بالي اريد الرجول في اسرع وقت

احصل الى القاهرة في الحادية عشرة صباحاً يدركني لاوتربيس اسم فصدق هيلتون وأرى ميدان التحرير امامي مضطرباً وأصعد الكوبري الحالي اسود فوقه وأنزل عند أول شارع سيمان كما وصف لي عابد قبل سطري وأحسن حجة بالارتياح فالشارع رطب وارتفاع المعطرات على الجانبين واتساعه يعطيني الاحساس بانني أمشي في قبولو لريت فمن الممكن أن أنام فيه

لا أمشي كثيراً حتى أجد مكتب لولتهانزا عن يعني فادفع الباب الرجاجي الثقيل وأخاطب واحدة من بلقيات الثلاث الجميلات فتصممني إلى الدور الأعلى لألف امام ربح باسم أنيق متوسط العمر تفصل بالجلوس. اجلسي وأتكلّم أين بوليصه الشحنة؟ ها هي. يتأملها ويقتسم بوليصه موروقة نعم؟ موروقة انظر إلى هذه. ويمطيني واحدة امامه هل شجدة فرقاء؟ لا أجد نص معروف كيف نعين بينهما للأسف الشديد هناك عصابات دولية كثيرة تعمل في هذا المجال وفي اميركا بالذات هناك تريجف؟ اما لا أنهم شيئاً يا سيدي هل انت صاحب الشركة؟ انا اعمل فيها إلى ان عد وحسرم بما قلته واسطيع ان اعطيك حظاًاً بدنت ما لك تريجف؟ ولم اقول

إر احدى ان يصدقني انا ولاري فلاري مكسب. اطلب مني أي شيء فعلة اشكون يا سيدي اريد ارسال تلكس لكل هذه المطارات وأحد بدون لتلكس معي هذا مهمل وحتى تطعن أكثر انهم إلى صدة شحن يومهدرا ما لطار هناك سيقبل المهندس «محمدي» سيبحث معك عن البصائع وسيجرب ما تشاء من تلكس ولا «استطيع لقياء ويشرح لي هو ما كنت في غنى عن شرحه

« تخيل لك ذهبت تشتري بضائع بمليون جنيه لشركة وقابلك أحد رجال العصابات وأعراك بأز يعطيك بوليصة شحن مزورة بظهر عشرة يمانية من ثمن البضاعة التي لم تشترها ووافقت واخذت البوليصة ستفوز بتسعمائة ألف ويفوز هو بمائة ألف وكل منكما م يتعب في شيء كثير من المندوبين الذين ترسلهم دول الخليج لشراء بضائع من مراك يعطون ذلك لا يهم ما يحدث. سيهرب بالمبلغ وتدخل الدولة إلى الشركة التي أرسلته في قضايا حاسرة مع شركات الشحن وشركات التأمين لا أحد حتى الآن يستطيع القصد عن هذه العصابات الأمريكية. تفضل هذا تصريح لمحول المطار وهالة شحن مؤلفانرا

ولمعت أمشي غير مصدق خمسة آلاف ريال مستر لاري انتهى بها لعمل في القاهرة وأمت ثلاثمائة ألف دولار كل دولة لها ما تستحقه حقاً لقد محنت لاري في اختياره ولحكمت وروز حطتكم مصري فقير ذكي يعرف أن عم عبد الله لن يسمع اليه. ليس إلى الحميم بكل الناس وكل البلاد وكل أموال النقط فيها هو شارع سيمان ينتهي ولا يستطيع عبور الشارع القليل فاقف في اسو لحة من برودة والابويصات الحمراء الضخمة ترمح في

الشارع الواسع تنفت دخلاً أسود وقزمح وجولها بزمع الميكروبسات الصغيرة وسيارات الأجرة والملاكي والبس تنكأف مزبحة عن الرصيف وتعبو الشارع بسرعة من كل نقطة وهذا تقاطع الشارعين يقف عدد من صباط مرور و لجنود لا حيلة لهم في هذه القوضى المزعجة. هل اعود مرة أخرى إلى شارع سيمان الذي تمشي فيه السيارات بطيئة من رحاصم لكن لا تجري فيه الاوتوبيصات ويمشي الناس مقرحمين فيه لكن عن الرصيف؟ لقد بحث أكثر من سيمان فيه فهل اعود وأدخل احداها حتى ينتهي هذا الزحام؟ لا اظن انه ينتهي الا بالكس إذن أقرر السور الحديدي الذي يحصد الرصيف وأجري عبر الشارع هذا انذا اقرا لافتة «جراند لوتيل» هذا المبني الضخم المقابل ليس سوى فندق «أريد غرفة بسرعة

اقول لموظف الاستقبال ولنا ألث بعد عبري «شارع» وأقف امامه احلول تنظيم انقاسي وهو صار يتأملني بزمع فاقول «أسف. هل لديكم غرفة للمخمس؟ ولتفت حولي دون قصد ولا أن مرتبكاً لأعود أقول

«أسف جداً انا حائف من مدينتكم انا من الاسكندرية وم تعود هذه القوضى وهذا الزحام ان ايضاً جائف جداً هل يوجد طعام في هذا الفندق؟ «لدينا كل شيء

وإرى الابيتماسة التي يتكلفها موظفو العائق تأخذ مكاسها أخيراً وأعطيه حوار السفر وخمسين جنيهاً تحب الحساب وإلى الفرقة التي يصحبني إليها الرجل السوري لعجوز. استلقي فوق

السريير مسياً حوحي ومعني. يا الهي كم مرة أنيت القاهرة. ثلاث مرآت الأخيرة كانت يوم سفري. فلم أدخل المدينة والثانية كانت لاعتماد أوزقي. فلم أبعد عن ميدان التحرير إلا إلى القنصلية السعودية بعازن صيتي والأول كانت من زمان

عام ١٩٦٨ جئت في رحلة مدرسية معتادة لطنية الثانوية العامة يدورين فيها أسوار القاهرة في القاهرة أمسياً يومين نزلنا خلالها لوكائنة كئيبة جداً بضارح كلوت بك زار زملائي والمدرسون الأزهر والحسين والفلة والمتحف الاسلامي والمتحف العربي والأهرامات. هربت منهم في الأزهر والحسين مشيت كثيراً في شوارع الجمالية وجلست بمقهى رحيم في شارع بين القصرين مقهى يكون تحت الأرض. لم أر وجهاً واحداً يذكرني بأحمد عبد الجواد ولا فهمي ولا كمال الصغير ولا ياسر لطاش ولا عائشة التي تُرصد لها القدر ولا أمينة ولا خديجة ولا الألفاد رأيت سماء دوت عجايز صحنمة وسماء شديدة التبرج وسمعت لفظاً قليلة الحياء من الرجال والنساء وتساءلت كيف ومن أين كتب نجيب محفوظ ذلك كله وكانت هذه أول مرة أدرك أن الكتابة ليست كما يحدث لي شعور جميل وهو بما أكتب إنها مشقة كبرى تسامت بعدما هل بمطربي الزمان القدرة على ذلك الشقاء العمير؟ وما رأيت رفاق المذيق الفصيح جداً الضيق الأسود الرطب تشعبت كيف عاش فيس كل أولئك الذين عشت معهم وصحكت ومكيت ولم مدحشني إلا شكل البواكي على جانبي شارع كلوب بك ومحلات أحديه والشط الكثرة والمقاهي السقيمة الصعبة والسماء العجايز يحلس فيها غير قلابات على الحركة ويدح السارجلة وتعلو وجوههم مساحق مضحكة بدت لي

القاهرة في تلك الوقت مدينة أقدم من الاسكندرية أقدم من الزمان وكانت السواثر الحجرية قد أقيدت أمام مداح الصوت والنفور يطفئ في الشوارع مع المساء وبحار الهرمية لا يزال في الفضاء القاهرة الآن مدينة ساقرة بالحمامة لا تترى شيء ولا تحب أن يزورها أحد. مركباتها تطفئ أقوى العظام هل أبقى فيها طويلاً وما أتدأ يمر بي يوم بعد يوم كئيبة طويلاً من خبرني الحادم النوبي لسي استطع أن أتدول طعاماً أحسن من طعام الفندق في المطاعم المجاورة بالترهيقية وأشرب الشاي في مدهيب وأول ما قابلني كان مطعم الشامي فدخلته ووجدته واسعاً سيقاً لكني كل يوم أتدول الطعام فيه وحدي ورايت على الجهة الأخرى كافيتريا مكالاملانكا الصغيرة فصرت أشرب فيها الشاي مع واحد لو اثنين جالسين في صمت ومن بائع الجرائد الذي يقف أمام الفندق أشتري كل الصحف والمجلات وأدخل الفندق أقرأ وأتفرغ فوق السريير. ولم أذهب للمطار غير مرتين في كل مرة أخذ تاكسي من أمام باب الفندق وفي الأولى أخبرني المهندس مجدي بقصتي. وفي الثانية بعد خمسة أيام سلمني ربهو التلكس لا بضائع خرجت من سار مراسيمسكو ولا بضائع وصلت إلى نيويورك أو ميونيخ أو القاهرة. هل كلر يجب أن تأتي إلى القاهرة بنفس ذلك؟ وأبشم يا مسقر لاري لقد رفض أن يأخذ رشوة طليماً واحداً وأنا الآن أمضي النهار في الفندق استقر عروزي الأيام لنفسة وأقرأ الصحف والمجلات التي تتحدث عن أقارب سفر الوفد المصري وعن رأسه مصحفى خليل إلى أمريكا للمحصي للتوقيع النهائي على معاهدة كامب ديفيد. وعن جرائم الاعتصام الكرى والشقق المعروشة للدعارة وصورة المسادات في كل صفحة تصحك بالبايد بشهر أنا

لا أخرج ، لا بالليل أعبر الشارع مشاة الآن واسهل سينما مترو
 لأرى فيلم (الزلازل) لأنني أحب أفلا غارنر وأدخل في اليوم الثاني
 سيمما مياضي لأشاهد (رجل قوي صفيح ساخن) ولا أصطح مع
 عابر منهم إلا قبيلاً وفي الليلة الثالثة اسحل سينما كايرو ببالاس
 وشاهد ممثلة جديدة اسمها ماري موانس يبيزه لأن معها راف
 غالون ، الوجه الحاضر ولا يدهشمي تدخل الزقاية كل لحظة في
 انجيلم الجميل الذي اسمه (الرجبة المدمرة) واسمه (الجانب الآخر
 من النيل) وأوقفت ايضاً لا يمر فتيماً بعد التاسعة مسيرة على
 الاقدام إلى الحسبي لماذا افعل ذلك؟ اريد القعب تعب اثلين يعني
 نوم انهار وانقصاء لايام الخمسة يوم برودة الليل هنا في القاهرة
 كل ليلة أرى اشجار حديقة الازبكية كأنها مزودة سوداء والظلام
 يلغها وتبدو حبات الكافيتريات التي اقيمت شيئاً مشوهاً بتعدد
 ألوانها الخضراء والحمراء واقطع الحديقة مع الصمت وانظر وكثيراً
 ما اجد بياماً يلتقون بالعيش واسحل شارع الازهر فاجده حائياً
 اقلقت محلاته ولا أحد يمشي معي غير سيارات قليلة تسبقني ولا
 افئا افكر كيف كانت حديقة الازبكية هي أجري الفرنسيور فيها
 تجاربهم عن المسعد بين عمون المصريين المدهوشة الحائفة ولا
 اجلس في حي الحسين بأي مقهى ولا أكل في أي مطعم إذ يحدد لي
 رجال لبويس الذين منشروا طرق السير نادور خلفه اشم رائحة
 شاة في الأرقعة وأعود وأحاول أن اشكر ما كنت قررت لي اقلعه في
 امساهرة الليلة وهي الاحيرة ، تذكرت. عدأ في الصباح ازور
 سعيداً لقد مرك في عموه قبل رحيله كم تكون رائعا أن افاجئه
 دكراً بوبرة اقول لنفسي وأنا عائد إلى القندى والساعة قد تجلوزت
 لواحدة بالليل واما انسي وحدي في شارع ٢٦ يوليو واقتررب كثيراً

من القندق وإذا بيد تمسك بي من كتفي عشدي نصف لي رقاو
 جانبي مظلم وتدفعني إلى الحائط اثنان هما رجلان ، ماروس في
 عيوبهما شر مخيف واحد يحمل سيهاً والثاني يمسك بسلسلة
 طويلة سمينة من الحديد

- طلع الي في جييك يا بن القحبة

اسمع صاحب السلسلة، وأرى عينييه ليهف ندير موت،
 وصاحب السيف يبتعد للوراء ويرفع سيفه إلى اصى واتكأ دعراً
 اتكأ موتاً فيترجع صاحب السلسلة ويصوب لي ضربة فاصفة
 على ذراعي، فتسحل النار في راسي، فيناوطني لأهري على جانب
 قدمي اليسرى، فانسقط فوق الأرض، انزلت رعباً فينهلان على
 ظهري ركلاً ثم يحملني صاحب السلسلة الجدير ويسندني إلى
 الحائط وصاحب السيف يصرخ بصوت مكتوم «تركه لأذبحه»
 - ارجوك.

اتوسل بصوت لا يخرج إلا بالكاد

- ترجوني يا بن

- حد ما تشاء

فيتركني واسقط على الأرض ممدداً ويفلن حيوي ياخذان ما
 فيها

- معه رياتات وبولارات انت مسير يا واد

اسكندرية.

- حرامي في المينا يعني

ويتركلي كل منهما في ضلوعي ويسرعان بالاحتفاء

لملمس الأرض بارداً وأنا علحز عن النهوض مد همني النعب

فأكاد أنسام وأندكر أن نقيّة نقودي في القندق، وفي القندق جواز
السفر، فأشعر ببعض اللقوة وأتحامل على ذراعي، وأزحف حتى
الشارع، ومستنداً إلى الحدران أقف ولمشي موهقاً أكاد أقع في كل
خطوة كان من الممكن أن يقتلني حقاً ولا أرى حولي إلا أعدة
البور تهيء حلاء من الطلام ولا توجد حتى العسمة الباردة

٢٢

لا عابدة ولا واضحة ولا زور حاري ولا أرشد ولا منذر ولا نبيل
لا عابد ولا منصور ولا وجيه ولا صالح سنيور الثقيفي لا شيء
يضمضني للعودة ولا شيء يشدني للبقاء، إنما هو شعور غامض
يدفعني للأمام وشعور غامض آخر يشدني للخلف، مسافر أنا من
مصر إلى تبوك الآن وجئت منذ عشرين يوماً من تبوك إلى مصر فمن
أي البلاد أنا وفي أي بلد ثالث ولدت ونشأت؟

اقلعت الطائرة في الخامسة بالتوقيت المحلي ووصلنا في الساعة
والنصف بالتوقيت المحلي! الرحلة تستغرق ساعة ونصفاً لكنهم
يسبقوننا بساعة من الزمان.

وصلت إلى البيت في الثامنة والنصف، فوجدته مظلماً، سامضي
النيل وحدي، فوجبه لا يزال يعمل بالنيل

دخلت وبقلت ثيابي وبحثت عن طعام فلم أجد، فأعددت كوباً
من الشاي، وتمددت فوق السرير وتحت العطاء، ورجحت أكل
بسكويتاً تركتها في الغرفة من قبل، واحتفظ به دائماً لظهوري ورجحت
أقلعه بالشاي الساخن وأدهشني صيق لغرفة هذه عرفتني وهذا

بينت فتحت دابة معناني قفوت وأشعلت التليفزيون، فاندفعت ولما
سمعت حركة الفأر في المطبخ انتصفت، لكنني قررت أن أبدأ من
لعد في مكافحة العنّان.

- ألم تحضر في خطايا من أمي؟

- سألني بيدي وهو يدخل إليّ بفوهة الصباح لا يزال الصباح
هذا مكرساً لعيد القدس ومع انتهاء شهر هيرابر استيقظت اليوم
ولم يكن وجهي قد عاد من المستشفى، مكتبت له ورقة تركتها في
المطبخ، أعلمته فيها بحضوري، وطلبت أن يعد لنا غداء

كان عابد أوب من قانلي ولم يسألني عن المهمة ولم أثنأ أن
أخبره بشيء فقد أعطاني خطابين قال أن أحدهما من الرياض
والثاني من صبا، وسألني هل تعرف أحداً في صبا أيضاً

ولم أوب رحت أبحث في مكتبي عن خطاب واضحة السابق فلم
أجده لا أستطيع أن أسأله عنه، ولأبحث جيداً في البيت اليوم
- أنت لم تطب مني ذلك يا نبيل ولم تعطيني العنوان

وتأملت لهيئة أمي أظنها وبسعة العري التي لم أعدها على
وجهه، وقبل أن أسأله عما ألم به في غيابي، قال
- ربما فعلاً لم أطلب ذلك منك، لكن كان عليك أن تدع

ومصرف رفرك الوجوه معي في الخرقعة، ولولا أنني انتهيت
للحطايين لي يدي لتسبب أمرهما أيضاً وضحتهما في جيب مستوتي
وإذاً استبعد لاستقبال العمال الذين أقبلوا يوقعون في دفتر

الحضور ويتسعون لي، ووقف منذ وحيده يكلمني بعد أن أحدي
في صدره وريت على ظهري بقوة وقبل وجنتي بشكل حميم
لقد تركت البيت يا استا:

- أي بيت يا منتر؟

- البيت الذي أسكن فيه قلبك يا عدي حكايات ودم تعطيني
الفرصة

- ألا زلت تذكر يا منتر؟

- أنا والله أريد أن أنسى لكنني أحت القصة لا تتركني فقد
استأجرت بيتاً عربياً تصور من كان يعارضني، زوجتي بلهاء يا
استاد

- لو حكيت لها القصة ما عارضتك

- إيه يا استاد. يا عصري، احكي لزوجتي عجنون أنا أسوء
صغيرات العقول إنها لن تصدقني أبداً وستقول لي علاقة بالمرأة
ويتحول حياتي إلى جحيم، إن أحب الرجال هم الذين يحدثون
زوجاتهم بصدق المرأة يا استاد لا ترى، لا ما في رأسها

وتركني اسحك ورحت أخرج لتقارير المركونة بني لم يستطع
عابد ترجمتها في عيالي لكن وصل عم عبد الله وسمعته يسأل عابد
عني فأمركت أنه سيطلبني

- أمش سويوت يا اسماعيل؟

سألني بعد أن دخلت مكتبه ورايت حسم لاري معه صاحبي

لاري بحراره، صاعقني عم عبد الله بلا حيلة لم ارد على سؤاله
وقدمت له ردود انكس
إيش هذا؟

تعمدت ألا أسطر الى لاري، وقلت

- هذه ردود انكس لا يصلح خرجت من سان فرانسيسكو،
ولا بصانع وصلت الى مطار من مطارات الرحلة.

منعش عم عبد الله، ونظر إلى لاري الذي رأيته يتنعم جامد
الاعصاب

- ماذا تفعل يا لاري؟

سأله عم عبد الله بالانكليزية، أجاب لاري

- من لأفضل الآن أن يسافر أحد الى سان فرانسيسكو.

زداد عم عبد الله امتعاضاً، وقال:

- إذن جهن نفسك للسفر

وقام بفاراد المكتب، لكنه ابتسم فجأة وقال

- لا تنس أن تأخذ رور معك، لا تتركها وحدها في الكاب

وضحك عم عبد الله، فصرخ لاري وخرج بفار المكن حطه

لم يمض نصف ساعة على انصراف عم عبد الله ولاري إلا ونق
التليفون وجدت لاري عر الماحية الأخرى يطلب إلى أن اقبل دعوة
حديدة الى الغداء اليوم

- لا اعتقد أنني استطع اليوم مستر لاري.

- هذه دعوة رور مسير اسماعيل وعليك تلييها

- لكنني بالفعل مشغول اليوم مستر لاري
إنن نتطرك على العشاء مستر اسماعيل
وقيل أن اتكلم قال

- لا تحاول الاعتذار مستر اسماعيل

لم يترك لي أي فرصة، وأنا أيضاً لم أدفش من كذبه متى
عرفت رور بحضوري حتى يقول إن هذه رغبته أن أعرف خاتمة
القصة وسأذهب فقط ليعرف أنني أعرف

وتحسست مترتي أنك من وجود الصابون المدين لا استطع
قراتهما في الغرفة، ليس خوفاً من أحد، ولكن أخشى لو أخرجت
أياهما يفسح من اليوم على ترتيب مكان في البيت لمسه مثل التي لا
أظن أنها ستقطع... من؟ منصور؟ هتفت وأنا أراه يلف بالباب عن
كتفه قرد صغير.. نسخة من القرد السابق إلا أن الهالة التي حور
رقته رمادية.

- كيفك اسماعيل؟ كيف حال مصر؟

قال وهو يدخل ليجلس خلف المكتب لثاني كعادته.

- بخير منصور

- لملكك رأيت الأسرة ووجدتها بخير.

- كل شيء طيب في مصر يا منصور

- أعرف أخي اسماعيل، لقد كنت هناك أيضاً

- في مصر؟

- طبعاً سافرت إليها أولاً وأصبحت أسرعاً ثم سافرت إلى

السودان أما رأيت سعيداً في مصر؟

كذب أود أن أتوره لكن الوقت لم يسمح لي

لم أشد أن أحكي ما حدث لي في الليلة الأخيرة، وكيف عجزت في الصباح عن الاستيقاظ إلا عند الظهور، فكنت أتأخر على موعد العشرة

- أب زرتك أخي اسماعيل. ممكنين سعيد همارت له لحيه ومسيحه ولا يتحدث لأحد

ولم يتركني منصور أفكر قال

- حصلت عونه من واد.. تعرفها؟

لم أزد. ولا كنت قادراً على الزد.

- واد. لأن تستعد لإنهاء عملها هما وستسافر قريباً للكرت.

- سوف تزوج قريباً لها

- لا لن تزوج أحداً ما رأيك في هذا القرد؟

ابتسمت بدا لي منصور مبهجاً شديد الحماسة

- سافرت من مصر إلى السودان، واشترت عشرة قروود شعنتها

أو تبرك، هل تنفي قرداً؟

- لا أبهي شيئاً يا منصور، فقط لدي عمل أريد أن أنهيه

- ارتاح أخي اسماعيل، أتركك في أمان الله

خرج وتركني أكاد أعتقد ثم تعد بي رعية في العمل، ولا في

حديث بل أحد، ولا أظن أن هذا اليوم سيمر بسلام

أمضيت لوقت أفكر في الاحاجي التي القاهها أمامي، ولم أصل

رشيء مفهوم وفي الساعة الثانية عشرة نظرت إلى الباحة فلم أجد اليميني العجور

ماذا يحدث لو ذهبت إلى «روز» ولا ربي في موعد انخداع؟
سرتبك كل حطهما وسأفسي لهما بما أعرف وينتهي الأمر، وأعود
إلى بيتي وقد تخلصت من روزه إلى الأبد، وأقر خطبي وصحة
وعائده على مهل. خطاب وأصحة من يريد على كلمة وعطية
كف يالله تكتمل القصة إلا بسذك وإياحد بعد سذك خطاب عايده
الليل كله قري ماذا فكرت في وقد تأخر ربي عني كل هذا الوقت
الذي أمضيته بمصر يا مصر التي تضيق من كل شيء على يدي أنا
أن عايده لن تفلح الباب إلى الأبد يا يؤس هذا العس الذي يقدف
إلى اليوم كل لحظة بمجنون. آه، كم أود أن أقرأ خطاب عايده الآن
ولا أستطيع ها هو سبيل يدخل صامتاً يحمل القهوة

- لم اطلب قهوة.

- لم تكن تطلبها من قبل هل أعود بها؟

قامت وجهه الحزين والحيت الخويلة

- اجلس

جلس مطرقاً إلى الأرض

- ماذا حدث لك في غيابي هل ضيقك هذا أحد؟

- اطلاقاً.

- لماذا تبعد ضاحكاً وتطلق لصبتك؟

ولم يرد تأملني بعيني كسيرة

- ألا تقرأ المصحف؟ ألا تسمع الأراعات؟

ولم أزد ماذا في الصحف يزعج سبل كل هذا الارعاج؟ كنت
أبداً للخميني وأخفى شهودي باحتمار وكاربر يسعد لاستدعاء
سينغ والسادات للتوقيع على معاهدة السلام رأس اقتحوا كوبري

السادس من أكتوبر في مصر مملكة بريطانيا تزور المملكة ويقعون لها سباق الهجن ولا أظن أن شيئاً في هذا كله يحسن نبيل.

لا تريد أن تصدقني حين أقول لك إن الإطلاق الطائرة ليست حرافة

- ألا زلت تذكر يا نبيل؟ لم تعد الصحف تتحدث في ذلك

- لكنها ستعود وستعود الصحف تتحدث عنها وأنا خائف ابتسمت مشجعاً وقلت

- مم تخاف يا نبيل؟

- لو سقط واحد منها هنا لاحترقنا جميعاً هل تظن غير ذلك؟

لم أرد لا اصدق ابداً أن ما يقوله هو سبب جربه وإطلاق لحيته لن يصحح لي بشيء ولا حاجة لاستمرار الحديث هناك تقارير كثيرة متأخرة لم أبدا فيها بعد فلا بد أن أظن أحداً سيشفلني في الوقت القليل الباقي

- مستر اسماعيل، غير معقول؟

هفتت رور التي فنتت الباب فخر مصدفة ابتسمت ابتسامة واسعة باهرة ودعنتي للدخول

- لا ربي ليس هذا الآن لكن لا بأس. سيصل حالاً لابد أنه تأخر لأمر ما مع مستر عبد الله لقد أخبرني بحضورك على العشاء تفصير واجبر أي مكان لتجلس أعطني دقائق أصلح من شأني.

كاس تنكلم بمرعة عريضة وإرديك واضح. وتركتني ففقدت

وجلسْتُ تقريرياً في المقعد نفسه الذي جلست فيه المرة السابقة، واحتقتُ وسمعتها تتحدث هائلة مع شخص لم اتدبر صوته، فلبستمُ لا أحد يمكن أن يكون هذا غير لاري وهي امرأة دكية أحسنت التصرف. لكني أدركت فجأة حماسة ما فعلت إذا كنت "عزف سرهما فلمذا جذب؟ لا يكفي بيداً أن أتي لأقول لهما ذلك ما جدواه الآن؟ لا هلة بيبي وبين هؤلاء الناس إلا مداوة تأصلت في نفسي منذ صباي ولول شجاعي وأدبم صدق ابداً ما يردده السادات عن الصديق الأميركي ولم أكره رؤية أحد مثل رؤيتهم يوم نزلوا الاسكندرية بعد زيارة ميكسون ومشو في شوارعها في ري البحرية طوال عراش يتأملون أسس وأحلات ويلوهم بالتحية لكل من يقابلهم ويؤسهم مخلوقة عن الصديقة الانكليزية الشهيرة تذكرت يومها أفلام ابهرية الاميركية، وجبن كيبي وتوني كينس، حين كان الواحد منهما يترك سفينته وينزل المدينة ليثير معركة في أحد باراتها كانوا كثيرين جداً في الاسكندرية بعد زيارة فيكسون يمشون على الكورديش بمرحون ريكبون الحنطور ويفنون وصاروا قلبين الآن لا تكاد تراهم

وأدركت أن ريارتي لا مصر لها ولمكرت في سقيم، لكني رأيت دور تقبل نصوي متألقة يسبقها عطر يتأطلل إلى الجواس يكاد يهدمها هدماً، وترتدي فستاناً أرقق له منحة صدر كبيرة يكسبه عن أول النهر من تدبيها، مكشوف عن ذراعها بيبي، وسندرت روز إلى السلاحة فزات جزءاً كبيراً من ظهرها وشعرها لأصفر الخمر معلوماً في رباط الرق ربيع وبغذمت بكاسين من لسيد وحلمت أحامي بعد أن وضعتهما على المصعدة لمحفصة بسبب وقالت

- لم تكن أستطيع السفر دون أن أراك
شكراً -

- لا بد لك حافض مستر اسماعيل يأكل معاً أو ينتظر لاري
- ليست جدياً تماماً وأنا كما تعرف لا أعزب الخمر
- إن دعيت أراك شيئاً جميلاً

راحت بيدي مبهتة مختلاً، وجدت نفسي أقف في غرفة
الحرم

- لا تخش بي شيئاً مستر اسماعيل، ليست هذه الطريقة التي
أعزب بها

وايتممت هذه دور التي بهرتني أول مرة، وهي نفسها التي
شاركتني انومي في الاحلام، وهرات مني في الكوابيس راقبت لي مرة
شئت ايها مرة عترف لك ان اراها مثل قطعة لحم لاسد

- ما هو الشيء الجميل الذي ستقويي إيادى؟
- اجلس

رشارت الى السرير، جلست على حافته، وجلست هي على
حافته أيضاً حوارى

- انت ذكية للغاية يا رو -

- ان لم وافق لارى فيما نحن اما في النهاية روجته ولا بد ان
جعله

- كنت احب فقط ان محققا عمري ما الذي لوحى إليك ما
عزبت مني وهجست

- لن تصدقني اسماعيل ان كنت سأفعل ذلك مع عزب لكى
أعزبت لك واحبيب ان اجد عيباً للوصول اليك

- ليس لي في الامر حيلة ما روور انما عصري على يصب مني ليس
هذا ويكذبونكم ما كان الامر يحتاج الى كل هذه الترتيب، من
تعرفين ما مضى لي حقاً انك كبرت منى لاون هب لي بيتكم؟ لقد
كنت غملاً الى حد كبير لكن لاري ابشاً كان اكثر نظاماً كان يريد
ان يبدو متفوقاً علي ما كان عليه ان بعض من هل يحق له ان بعض
ذلك وهو ؟

ولم اكمل رسمت كثيراً
- ارجوك دعني اذهبك

وتركتها تأخذ وجوهي بين يديها رتلتم شفتي وخدي وأمفي وتعزب
الى شفتي وتضغطهما ولم تحلو لا لترب مني بهجستها أكثر ولا
انا حاولت كنت مشغولاً بالنظر الى عينيها للتير غففتهم وحي
فتحتهما كالنفس النشوة تملأهما ففقت واقفاً

- وداعاً يا روور
- وداعاً اسماعيل

ورأيت في عينيها لما منعت بالخروج لم تات حلفي وعند
الناب الخارجى سمعتها تصرخ

- انت عمري رجل في اعظم يا لاري وان اتركك تلوى بكل شيء

- اسماعيل

لماذا تركتهم يفعلون بي ذلك؟ أنا أحب لا نفسي.

«ر. صحة»

لننسى لم أبدأ برسالتك لقد عدت من عند روبر أسبق سيارتي
حتى أحلوا لي نفسي وأفصح الرسائل هل تعرفين أنني بدأت برسالتك
إهمالاً وإدراكاً من القصة تمت لوصولها وبحدث لا بعدد نبرة أو
جنوباً، وأصحة بنت سليمان بن سبيل صغيرة كعصفور أنت لماذا
تريدن أن تصنعي بي أنا القادم من بلاد الخيل نمند ورتي آلاف
الصبي، أم لهذا السبب تتعقبن بي؟ ماذا تحذرينني إن؟ تدور بك
الشبهة يوم وصولي ويختلج جسك أمام عيني ويحذرنني صدقي
لاخيك لأفكك وجه ولا تستطع بذرر لقد تقدمت بحج مهم
هل نسين؟ شائتي معكم وعاد لي معكم صالح معني لتقيني أمري
مداً جمعاً مسج هو بالجماعة بالدراسة الحديثة وأصحه أنا
لم أتركك هل تتريكماني قليلاً أقرأ الرسالة الأخرى؟ ليست رسالتك

الأور لا اعرف كيف والى صاعد منى لم يكر ذلك بالعل
الحسن

وادركت فجأة انى حى عدت الى المنزل لم اجد وجيهاً انه لا
يخرج اى سنشقى غير الساعة السادسة لم اجد غداً كما
كنت به في اصبح ثم اذله حى الآن ولا تقاوت عدنى

لثنت شلاجة، فوجدتها نازقة إلا من على انصبي، وحت
عزفت، فوجدت من مصدة صفيرة عبة توة احدثها واكتتها
بصره، وتعددت فوق السرير القرا

ثم يكر امامى يا عريري اسماعيل إلا القبول. القدر يساعدي
دائماً اما لم اسع الى صيا طلبوا واحدة ما فاصاب الجميع
الرعد، وتطوعت ان في لحظة ادرت لهما بعد ان واحدة عري هي
اشي ابدت استعدادها وليس ان وحدة عري هي التي تكلمت
ووافقت كني غير مائة صا ليست الجحيم، على انعكس، انها
بلدة صغيرة جميلة قريبة من البحر، البحر الاحمر والى هنا
طيسون لصيادون يمزون على المستوصف كل يوم يقدمون لي
أفصر من مدهم من سمك بالبحر اذى هنا سمك بكفى ثوبه الآن
هل مراني استطيع ان كل هذه السمك كذا لا اجد بقية منى. لا
احد، لا رعبه اكثر مما عندي من سمك شيء عريب ان احدثك عن
هذه الاشياء لا يمضى فقط احببت ان احدثك انى، فانا اعرف أنك
تحتاج الى دى راسك اوم مرد حثت نصور مع الدكتور وحيه
وان اعرف انى معارك مره اخرى. لكن كل الناس هنا محبوسى

والسواء معرق بوجدى قناتين بعد العمل جسر معى فيمضى
الوقت بهولاً بعضهن يرسلن رسائلهن لى معى شحاعة عربيه
على ساء الحلكة ربما ليست عرسه فالكرم شيعه اعرب عرضا
ذلك في كند المدرسة كيف يكون كرم نساء لىساء لا عن هذا
البحر. لا تمنى على ريكاكه اسوبى كثير ما اتذكر رميلاني
وأصطك مانا يصيبهن من هذا المكان بهادى لجمير حقيقه بو
فكر الواحد في هذا الاتساع حوله، وفي بلدة ضبا القديمة نبي
عجرفا أهلها الى صبا الجديدة ربما يصاب بسجنون صبا
القديمة ليست معية ارى بيوتها القديمة المهدمة بالنين من فوق
السطح كالمقابر اللينة بالاشباح كني لا أحسن انظر دهيت
وبالبحر اراها كالمناطق الاثرية تستحق زيارة ولا اورها ان
باحتمسار أستطيع ان نحو من شعور بالوحدة بأعمال كثيرة
اعيد ترتيب العرفة اعيد ترتيب الادوية بالصيدية انا هذا
كل شيء بعد مواعيد العمل استوصف كبير جداً كني اغلفه بقل
من الداخل امضى بعد مواعيد العمل يدهيون لاضياء في بيوتهم
ويأتون إلى معطيم اندى من فتحة صغيرة بالباب لا يصابقني
إلا ارضى الذين يمزون في مستوصف لنين لكن النور هنا يملأ كل
الغرف انا اتركه مساء فيها كلها بالبحر يكون صوه النهار اكبر
من كل ضوء انا لا افزع من ضرى اسير مد لا يصايلني إلا
البود وانا ادرك الغرفة وامرل لأنى طلب احد من لا يرل من
شديداً في مبركة حاشم احي كان يقول د نأ قل من يحسن هذا بن
هنا لا بدوم، مثلاً معنى السرور هكذا معنى لهود

كان يقول لي ذلك تحته مخرجي من شروى احياناً كان
يعنيها في ماد كى أشد مدعني كثيراً وانا شعیده صعيدة كل

لماس كانت تعجب من ذلك أهني واحوتي ورميلاني والمدرسون
والمدرسة

أنت تعرف أنني لا أحب في الدنيا هذه مثل هاشم كنت دائماً
صديقه ولا ريت.

وأعدت قرعة الرسائل وكنت أصرخ أي جود خبيث يستل إلى
هذه عيدة ولا تدري كل كلمة في الرسالة تقول ذلك وأعدت قراءة
الرسالة لأرد على كل كلمة فيها، لأعيد ترتيبها واكتشف لها أنها
نعمي في طريق الهلاك أهد تركب هرس العناد لكنها لن تستمع
في سر تستمع لأحد لا يجديها قبل الفرسا ونست في حاجة
الي

ووضعت برسانتي أمامي فوق السرير، ورجت أنظر إليهما،
وأصاب عظمي شلل، وأمحي خيائي وسمعت المفاتيح يدور بالغاب
مخارجي، وأسرعت بأغفلتهما تحت وسادتي

دعني رجيه ومعها الطبيب الشاب الذي رأيته في المستشفى يوم
ترحيل المرأة النبدية الصغيرة أذكره جيداً رغم ما يبدو على وجهه
من شعوب رجز، ربما لذلك أذكره

صاحني رجيه، وأحسني بفلمي، وأرتفع صوته دهشة
محسري اندجى، رسا الطبيب الشاب - أهلاً عنا إذراج يقصم
أظفاره بأسنانه، بدأ مرهقاً للجنة حتى إنه استعد إلى حدار
الحنان

- تعصر يا دكتور أحمد

قال رجيه وأشار إلى معد في عروفتي فطس أحمد، وظل يقصم

أظفاره أهلاً عنا وسألني رجيه
- متى أتيت؟

- أمس

- أنا لم أجد اليوم من المستنعي في الصباح
كان يبدو مرهقاً للغاية أيضاً لم أسته لذلك إلا لأر، وفريتمدد
على سريرتي وقيل

تستطيع أن تدخل عروفتي ستجد تحت اسرير كرتونة صغيرة
بها بيض ومعلبات لشترتها مد يومين ولم أجد ثوبت لأضعها في
المطبخ. نحن في حاجة إلى عشاء ثقيل

وراح ينظر إلى السقف بعد أن عقد ذراعيه تحت رأسه، وخرجت
نأ إلى عرفتة مذهماً كيف لا يجد ثوبت لوضع الأطعمة في المطبخ،
مع أن الذي يأتي من الخارج يمكن أن يتجه إلى المطبخ مباشرة

أعدت عشاء من البيض أنسلق وشرائع اجين واللابشون
والريتون، ودخلت إلى الغرفة أحمله على صينية كبيرة لفوجئت
بأحمد يقف

- لا بد أن تأكل شيئاً

قال رجيه لكن أحمد ظل يقصم أظفاره

- تريد أن تنام؟

هر أحمد رأسه، فقام وجيه، وأهده إلى عروفتي رعداً يقول قبل
أن يطل

- يوم لا يمكن أن يُبسى. هب تأكل

وضعت الصينية فوق الأرض وجسدت حولها، واستقط وجهه
بيضة وضعها في فمه كامنة، وتكلم

هل تذكر الدكتور وأحب؟

- حسب المسائل الحالية الذي عاد إلى مصر عدد شهيرة

- احسن.

وتشعل ببيضة جديدة يضعها في فمه أيضاً ثم تكلم

- ذهب إلى امريكا واشترى معدات للميادة كاملة. ومات قبل أن يعترف الميادة

وسكت ولم أرى رحت أكس على مهل. وعاد هو يلتقط البيض بيضة بيضة يضعها في فمه كاملة. وقال
- شيء شريب اليس كذلك؟

ولم أرى سعيد الذي قرر العودة النهائية آخر العام يجبر على العودة قبل الموعد رافضاً الذي كان سعيداً بقدرته على حسم موعد عودته يعود يموت لماذا لم أقابل وجيهاً امس؟ لو قابلته امس تحدثت في شيء آخر أنا أريد أن أقول رسالة عايدة مرة رابعة أريد الكتابة اليها لماذا يؤكد الجميع في درس هذه الملائكة هذا أرض تأبى إلا أن تمسك بها يستطعها ولا تتركه إذا تمرد تقتله بضربة قدر أو حظ عاثر أو خطأ سادج تقتله تقتله في كل الأحوال القتل هو الغاية وصيدة تعرف وتذهب إلى حقنها مبدداً وصانع مسيور الغني في إبس بأر لهدد لملاد. يحب وهو الصغير الهش. أن تكون له اليد المولى حس في الإحصان فقد امتلك البدوي الثروة. ولا يقطن أنها ليست مر صمغ بده. هالويل كل الويل لأناء الحواضر والمدن.

كيف أكتب رسالة إلى عايدة الآن ووجهه ينام على سرير الصق يشخر ولا يترك لي إلا مساحة ضئيلة لا أستطيع فيها حركة قال إنه أخذ اليوم راحة لأنه كان من المستحيل أن يستمر في العمل ليلته. بلا نوم بالنهار اشغل بالنهار مصطراً مع أحمد الذي لم يكن متأسباً له أن يترك مصر وجبه قال داب وقال به يعرف أسرة أحمد، وبنيه وبنيها صداقة قديمة وخرج جداً بحبيته إلى المملكة، لكن أحمد شخص رفيع مثلاً لا يتلأأ به بنحس. ثم يمض أمبوع على مجيئه هنا وكله مدير المستشفى بمصاحبة المرأة اللبنانية الصغيرة إلى المطار وليوم كلفه بالذهاب إلى القاعدة العسكرية لحضور اعدام جندي سبق به أن أطلق النار على صابطة لم يكن الاعدام بالسيف بل بالرصاص عن الطريقة العسكرية، وكان على أحمد أن يذهب ليضع علامة بالدهان الأبيض حول قلب الجندي يقسم طريق لا اعد م من اجنود بالتصويب اليها ثم يكشف على الجهة بعد ذلك ويثبت موته راض أحمد كثيراً، لكن المدير صمم، فذهب المسكين، ووضع العلامة حول القلب، وأطلق الرصاص، فاصاب كل جره في اجسم، لا القلب لقد حملوا الجندي وأحمد في سيارة سعال واحدة إلى المستشفى الجندي إلى الشلاحة وأحمد منهاراً إلى غرفة الأطباء سيسافر أحمد إلى القاهرة بعد أيام طلب إبقاء تعافده بمصر أن يفاق من الانهيار الذي أصابه. وأمضى وجبه اليوم كله معه وعجز عن إثباته عن عرمة عن الرجل فاصطحبه معه أخيراً إلى ابنت حرقاً عليه

لا رسائل من أحد

ولا تلوميني إذا تاحرت عليك. كنت سافرت إلى مصر عشرون يوماً فسيبها هناك مهمة عاجلة لم أستطع الاعتذار عنها. هل كنت محتاجاً لذلك ولا أدري؟ هناك أحيست بحاجتي إلى العودة ولأن أريد أن أسافر، ليس إلى مصر. ما كان هناك شيء له شأن لي عودتي إلى هنا مرة ثانية فهو أنت.. لا أستطيع الاستمرار

أريد أن أروك وأخاف ما معنى أن تستقبلني بحفاوة ثم أعود؟
أخاف أن أظيل فأفسد الأمر كله

النهار هما مثل النهار عندك. ليس هنا مثل الليل عندك. السماء فوق هذه البلاد واحدة، وريح العجاج تضربها جميعاً لكن ليس لي قوتك. خلقت أنت لنمذول والمطام. خلقت أنا للمعرفة المتأخرة أريد أن أفور مرة واحدة بالنقى في موعده. رايتك كثيراً في بقلتي ومنامي تتخذ من يدي بعيداً عن الموضع. أريد أن أجد يدك بعيداً عن اختيارك المستحيل هل تقبليني يا عابدة ورجلاً أم ترى تنزعيني؟

ولا رسائل

كل يوم. نظر في عيني عليه هو الذي يعمل البذرة لكثير من مرة
ويمر بالبريد، وعابدين لا يحمل إلا أوامر بالانتظار حتى يعود مرة
أخرى

مضيت قُدماً في شهر مارس. وطرد وجه الربيع كثيراً من برودة
لصبح بما جاء به من صوبه، ولم يجمع الجنوب وريح العجاج

- أين أريد؟

سالت ابناكستانيي الذين عادوا من اجازتهم ودخلوا مكتبي
مبتهجين في صباح هذا اليوم الجميل
- «سرور» يعرف إنه يسكن بالقرب منه في بيشاور

ودخل «سرور» بعد لحظات قصير يكاد يففز في مشيته، وبارق
اعيني، مبتسم «انما»
- أين أريد يا سرور؟
- أريد مسكني مستر اسماعيل - في السجن الآن.
- سجن؟

- اجل مستر اسماعيل قبضوا عليه لحظة وصولنا لن يعود
هذا مستر اسماعيل

- أريد يعمل مع المعارضة مستر اسماعيل المعارضة ترميل
رحاله إلى بلاد كشمير في الخليج نحمي الأموال هكذا نقول
بصحافة مستر اسماعيل

...

- أنا أسف مستر اسماعيل أنا اعرف أنه كل حين صديق

وخرج «سرور» إني لن يعود ليرشد أبدأ. يا الهي! ماذا يفعلون
به الآن؟ والعسكريون أغبياء مستر اسماعيل، قال لي ذلك قبل
سمعه العسكريون؟

ورأيت عابدين يقف عند الباب مبتسماً، ويسألني

- شفت منظر؟

- لم يأت حتى الآن

- لن ياتي.

- فبص عليه أسس بتهمة مطلوبة اغتصاب، ولا يزال في «شرطة».
- انالين اعمل اليوم

وقمت مسرعاً إلى سيارتي، وأطلقت بها عزمي بند «ات عابدين
المتكررة لي بالعودة، ولا بالذهشة المروعة انني عت وجهه حين قلت
ذلك

الصوب امامي يوسع في الدنيا، والرمال مترامية في جلال باهر،
وصوفي ندف متفرقة من سحب وأهنة، وفوق كلنا سماء شديدة
الزرق والصفاء، لهذا يا ربي منذ أثبت اى هذه البذرة لم أرتطراً
واحداً في السماء؟ حتى المصالح التي كنت أسمع شققها في
المستشفى خارج البذرة لم أرها، ولم تدع رحده لتقف لحظة
على أفريز النافذة تنظر الدنيا وتغر عابدين بلد بلا طيور كيف سن؟
أم أنني لم أجد ارفع مصري إلى أعلى؟

بالقرب من الموقع الذي رأيت فيه الكلب مرة جاهدت أن لا أنظر.
لماذا تحتاجني الرعية اليوم في النظرة؟ نظرت، ورأيت، لم يتغير الكلب
الأيض الصخيم مثل الحمار الشلود.

وطلت أهد سيارتي مجوفة حتى لنتهى الشارع، وهذأت من
سرعتي استعداداً للانعطاف إلى الشارع للعلم الآن فقط تركت
أني داهب إلى الشرطة لأقابل مدير والأمن فقط سألت نفسي هل هذا
ممكن؟ ولم أنتظر الإجابة. ولم تنتظر السيارة الكابريس التي
انحرفت بحري فاندفعت بسيارتي بعيداً، لكني تركت نهر الطريق
وصعدت الرصيف الصغير الذي يتوسط الشارع، ودخلت في النهر
الأخر، وطلعا اصطدمت بسيارة أخرى، واصطدم صدري بمقود
سيارتي وأنا تدفع برأسي في الزجاج الأمامي، ولم أشعر إلا بالناس
تشدني من فوق مقدمة السيارة ومن بين زجاجها الأمامي الذي
تهشم تماماً والألم في رأسي ووجهي يشويني وفي صدري يكاد
يخنقني
- خيراً خيراً -

يقول الوجه المصري البشوش للشباب الصغير الذي لا أعرفه،
والزحام حيل شديد، وأنا ممدد جالساً فوق الرصيف أغلب
الشعور لا غماء، وأشعر بالدم الساخن على وجهي، ورأيت ضليلاً
سعودياً شاباً يصرخ صائحاً بلا انقطاع

- أنت؟ -

أطل وجه وجهه من بين الزحام
هيا إلى المستشفى فمعه في سيارتي.
خيراً خيراً إن شاء الله

يقول الشاب المصري البشوش، الصغير السن وهو بأحدي من
زراعي، استند إليه، ويمشي معي إلى سيارة وجهه
أن يذهب إلى المستشفى الشرطة أولاً
صرخ الضابط بوجهه، فصرخ به وجهه أيضاً

أنا الدكتور وجهه رئيس قسم الجراحة بالمستشفى هذا شاب
سينفد حتى الموت هذا لو في الشرطة هل تتحمل ذلك؟
- إذن أنت مسؤول عن تسليمه
- أنا مسؤول عن تسليمه

وأحدي وجهه من زراعي انشاني، وركبنا سيارته أن والشاب
المصري البشوش، الصغير السن الذي لا يراى يردد
- خيراً، خيراً إن شاء الله، لا تطلق

ولم يكف عن الابتسام في وجهي، فابتسمت له رأيت ابتسامته
شديدة العذوبة قلت
- ماذا حدث؟
- حادث بسيط
قال الشاب، لكن وجهه قل

- ليس بسيطاً لقد صدمت بسيارتك سيارة شرطة يا ستاد
أحمد ربك أني عائد من المستشفى الآن ورايتك
- هل تعرفه يا دكتور؟
طبعاً يسكن معاً.

- الحمد لله إذن أنزلي أنا هيا لا أظن أركب ستاحا حدي في
شيء هل تحتاجني في شيء؟

- لا شكرك جداً

قال وجبه وانتمعت أنا ومددت يدي مصغوبةً أصلححه، فريئت عليها بيده ورس

لم يأخذني وجبه الى المستشفى اخذني إلى العيادة الرئيسية بالشارع العام هناك تعددت فوق طاولة الكشف وراح هو وممرضة مصرية سمراء ينقيان جروح رأسي الصغيرة من شظايا الزجاج الذي لم يكن كثيراً، لكنه احتاج إلى أن يحلق لي شعر رأسي كله

كان يضحك وهو ينظر إلى رأسي بعد الحلاقة، ولم يجد في وجهي الا شظيتين صغيرتين في جبهتي، وارتاح كثيراً حين وجد شلوعري سليمة.

وقر

- لا بد ان اكتب تقريراً كبيراً حتى أعرض موقفك امام الشرطة - هل يحتاج الامر لذلك؟

- طبعاً لقد اصررت على الطريق إلى طريق آخر وهدمت سيارة شرطة في الحالات العادية يمكن أن تدفع للمتضرر من الخسائر. لكن مع الشرطة لا عرف ماذا يمكن أن يحدث. ألم تجد غير سيارة الشرطة تصدمها؟

- اما لم اصدم احدأ رأيت كلن سيارة كائريس تهاجمني فاصحرت ولم أدر كيف صنعت عمل الفاصل بين دهرى الطريق.

وصحك

يمكن أن ترى شملك في المرآة وتصحك على كل حال سألف رأسك بالشاش رغم عدم حاجتك اليه حتى تنو اسم الشرطة شخصاً يستحق الشفقة

لق رأسي ونظر في ساعته وقال

- لم يأت أحد. يمكن أن تذهب الى البيت الآن

- لكني اريد الذهاب إلى الشرطة

- نعم؟

- أنا تركت العمل للذهاب الى الشرطة

- لماذا؟

ولم أزد إذ دخل الضابط انذني كان يصرخ وقت الحادثة وطلب ان اصعبه، وقيل ان يقول وجبه شيئاً قلت:

- استطيع الذهاب معك

ورأيت وجبه ينظر إلي بغبطة وعشة، وقال

- سأذهب أنا أيضاً معكما

كانت حطة وجبه ان يتصل تليفونياً بأبي حكيم قبل ذهابنا لقد حاول مونت فلم يجده. كان يعني أن يتصل الأمر الى المحكمة في غياب أبي حكيم. وفي هذه الحالة لا أتن من شهر حبس، بذلك أراد ان يماطل الضابط ولم يدر رأسي انه الذهاب بأسرع وقت حتى أرى منفرد قبل ترحيله أو نقله إلى السجن. ماذا حقاً أريد أن أرى مدر؟

ووصلنا واستقلنا أبو حكيم، ورأيت وجبه يبتسم مدركاً

ارعدناكم ما اخوان يا مصري لا يؤاخذوا سوف يعصبي

انسية يا اسك اسماعيل لو تناولت للكلب الحبل من الخبز

قال ابي حكيم مجاه بعد اى حنساء، وهر علينا الشيخ المسن
و مريق الشدي وضر ابي وحيه في دهنه، وراس على هدمي ففهمت
انه يظلم مني لصمت وعاد ابو حكيم يقول

- امسكنا بسائق الكابريس.. دلنا عليه الناس ما لهذا الولد لكم
يا دكتور! هـ المسك لى ينجو من يدي سألوقه، سكر في مصالة
تسحق، يش بيغي ملك يا اخ اسماعيل
- اما لا عرف عمر تتحدث.

- صالح انقليلي اظن انكم تركتم بيت

رته وحيه بعد ان نظر ابي يحذري من الكلام

- تركناه بسلام وعلاقنا معه طيبة ولا اظن ان صالحاً يقصد
شياً

كنت انا افكر في كلام ابي حكيم هل كان صالح التقيمي هو
سائق الكابريس حقاً، ماذا كان يريد مني؟ هل اراد فتلي ام
توريطي في حادث كبير؟ لا استطيع ان اصدق من يضمن بقاء
الشعرة بين توريطي وموتي! قلت في استسلام
- ان ايضاً لا اظن انه كان يقصد شيئاً
صالح ابي حكيم وقال

- انت يا دكتور صرت نعرها لكن صاحبك ما يعرفنا بعد اتركه

ما حي يتحدث بحرية وحاضني لا تخش شيئاً يا اخ اسماعيل
هنا قلوب وشرة يمكن ان يحمك.

اشكرك لكن هذه هي الحقيقة

- والعيه هل تتنازل عنها ايضاً؟

- اسازل عنها

- احوالك احوال يا مصريين!

وهر يفا الشيخ المسن يحمل إبريق الميهه مرة ثانية، مشربت
فنجاناً منها لأول مرة. واحسست بالمرارة لتي لا اميفها في حنلي،
فمشربت فنجاناً ثانياً وقلت

- لي مشكلة صغيرة هذا يا ابي حكيم

جاء منتر منكسر الوجه، شديد الشحوب رأسي، ورايت عيبه
حمر اويين بينما بيتسم ساخرأ، تركت بعمارة يا اسناد لى بيت
عربي، بيت قديم جميل به شجر مجيل وشجر ليمون ورجتي حاض
وقلت الحديقة للولد جهاد ساسميه جهاداً ما جري يا اسناد؟
مسذر لايسي، مسذر لا يكل ولا يتعب، كل شيء بلا مسذر يتوقف
جامعي المصون روحها الشيخ المسن سدي بالكاد يمشي ويتكلم
وبالكاد يعمل اي شيء، وطلب ان اذهب معه لاصح تكليف بعمارة
من شقة لشقة نقلت حتى وصلت شفتي دخلت ودخل معي وخرج
واما لا اشعر وجاءت الشرطة وأذا انقب فوق سسم اصالح لكائنات
فيدم سيمعاني يا اسناد مسفري لى يحاكمومي ولى ادخر السجن
سأرسل من الملاءة تركمك صعب يا حنذر، الفسطينيون
مصاصون ويسجنون ويغصبون ولا يدخلون الفسطينيين يا
اسناد! الاى لنا ردي واما غير حزين تركلي يعني ان ي وطننا
أعوب اليه وحبوا في وطننا يا اسناد، ولا احد يرفض الوطن!

«ها يا ولده. أشكر أبو حكيم الشرطي أن يتخذ مدبراً وأنا لم
ستمع إلا أن احتضنه وأقبله «سامحني يا استاذ أنا أحب
أحب المصري جداً لا أكثره إلا السادات يا استاذ أنا أحد
جدودي مصري مصري رفض أن يحفر في القنال وهرب إلى
الغرب» لكن الشرطي جذبه وترك منظر نفسه له

- لا بأس يا مصري هذا حال الدنيا كما تقولون في مصر لا
تصدق رواية هذا الولد

كيف سمعته أبو حكيم وهو يتحدث إلي بصوت خفيض

- حياك الله

- في أمان الله

مدّ وجهه يده يصافح أبا حكيم لم أمد يدي أصابعه ولم يفعل
هو أيضاً خرجت غير مصدق أنه كان لميت منظر الجديد حذيفة بها
نخيل وشجر ليمون لا أعرفهما إلا بيتاً واحداً فيه نك، وفيه سيد
لغريب ينتظر.

مرهقاً عدت إلى البيت دخل وجهي إلى غرفته ليأمن في غرفتي
استلقيت فوق السرير تكلم منسوب لي يا استاذ وأنا أعرف.
ذهب لكمي بدمية وسكامر الوصي وتناولت إحدى المحلات الملقاة
جور الميرير هوو لأرض أقرأ عنوانها لماذا قدصها عن الصفحات
لأحبة أتاها رسائل الغراء؟

«حاجد من الصديقة واضحة بيت سليمان بن سبييل بالرياض
رسالة تقوى عليها إنها نخب مصر جداً وإمها كانت تتمنى لو أن

يذهب الرئيس المصري إلى إسرائيل حتى لا تستمر هذه القطعة بين
البلدين. وتساءل هل تفعل الجامعة المصرية الشدب السعودي
الآن؟ هل توافق الحكومة السعودية على النفاق شديداً بالجامعة
المصرية؟»

والصديقة واضحة تقول أنها كـ بمعنى معك، لكن ليس كل
يتعنأه الثراء يدركه هذا مثل عربي قديم وبالسبب بالاحتياج
بالجامعة المصرية، ففي بلادنا لأن جامعات على أعلى مستوى،
لذلك لا أظن أن هناك محسب لاستكمال شبابنا تعليم في مصر

تظن علي واضحة إذن في رسائل غير مباشرة من قدامها نبي
اقرأ المجلات المحلية تعرف أن الوقت لا يمر رغم سرقة الأعمار
لا بد

جميلة هي الدنيا والحياة جذيرة حقاً نأبى تعاش ونحن لا نحياها
 إلا مرة واحدة يا كليله هيا، والآن، تنشق رأسي شيئاً فشيئاً
 وتمسك فيها حبوية المصاريف ودفاعته وأندكر كل كتاب قرأته من
 قال ذلك يا سماعيل، أوستروفسكي وهو يشرح صفوف لجيش
 الأبيض سيده ورضاعه والتفكير بالمستقبل يسبقه نكي حير
 قديم بأكاذيب الكتاب ولا يجب أن اندفع لأن فيبدو الأمر
 مضحكاً، وأنا بحق لست في حاجة إلى ألام جديدة هاتم أرى
 العصاء حولي لنشي تطلع كل يوم عن جسمها ربه، فتزداد سحراً
 ومقدّم في شهر مارس فتتحطف كل يوم في ثيابي، وحارس بريح
 جسي، اندعاجه في كهفه، وقتل ديكه لأعبر إذ كنتشفت أنه بعد أن
 مرّني حذيه راح يبعث الثراب من سفرد نكر لم يتبني ربه من
 عابدة حتى الآن، وكل يوم أقرر السفر إليها، وكل يوم منظر

رغبت العذراء معقله، وصنعت لوجاً خثيباً تحت حوص الطلع
 تصنع مع اندحار رواية خاتمة ورحب أصدده حتى يدخل به
 اللوح والحنطة وأدوس أتلوح بدمعي فأنهسها بيته وجر الحذر
 قتلت ثلاثه حتى الآن، واليوم شكرت أن توداني بحصاء قنلاي نقد

ستتقطن - بشعاً واضرب محتجاً مبيصتير، وجرت في الزدفة
وقشرت حصر الى السعد الصائفة. وعنت قمي للهواء القمي،
ورقت حصد وقررت إحصاء قتلاي

في حبرتي وقفت وكراسته الحطاب في يدي لآستحل فيها عدد
العتري لدين لا اعرب اسماعهم اليوم هو السادس والعشرين من
مارس عام ١٩٧٩ واتسعت العرفة بي كأنما اسكب في صدري
ماء مبعث بارد ناذا لا ابدأ من اليوم كتابة المذكرات؟ كتابة
المذكرات تجعلني شخصاً ثالثاً أرى بعين لا تقفل الخلق بالانجاء
من دلت بحيث لدي قرأت له ذلك مرة لا اذكر ولا يهمني ذلك
الآن، ولادهب مصرأ الى العمل

ولم اكتب المذكرات ابدأ لم يكن سهلاً أن أصبح شخصاً ثالثاً
اخترت وقتاً غير مناسب لادعاء القوة دخلت سيارة عم عبد الله إلى
السيارة هالارت زويدة الثراب. دائماً يدخل عم عبد الله مسرعاً،
وحتى أن لا ينتهي الثراب من فوق الأرض، الذي يطير من مونها
بالنهار، تعود الشيطان وتلزمه فوقها بالليل

دخل حصد غرقني والبلع يكاد يقفز من عيني

- من الخفات في شيء؟

.. لا

- عم عبد الله غاضب جداً بظلك فادهب ولا ترد عليه

بهضم ناركاً مكسي في دهشة، وأفكر انصاً في الرقة الذي تقطر

من حصد حاد

- إيش سويت في مصر؟

- إيش سويت في مسألة البصائح؟

- لا شيء لم أجدها في أي مكان. أحمرتك بذلك.

- حصد

والقي عم عبد الله بورقة صغيرة ح يصل لي يوم تستقر عن
مكتبه، فانسيت والنقطة من فوق لأص وصرح في

- اقرأ

«معتزة مستر عبد الله لن اعود إلى المعكة. وداعاً لاري»

- أتدري معنى هذا؟

- لن اعود مستر لاري

- لاري لص سرق ثلاثمائة الف دولار، وأنت مصري لبرع
خبيت ذهبت ازميته اكلت وشربت حمر وبعث مع زوجته بعت مع
روز أم لا؟

- لا

وسكتنا وسكتت اندما حولت قنت لا بصوت لا يكاد يسمع
وكنت اقول انت انت الذي تمام مع روز، وار حرة عابد وسين هي
مراشكنا. وانت انت الذي تخالف مع ين للملكة لنفسه لها العمل
في حصدتك وشغل لروحها نهب الاموال هاشركة بيست شركتك،
وما أنت إلا مدير لا برعي الا مصالح احى يستخدم فيها عباداً
اكثر مما تستخدمه في العمل، لكني وقعت ضامناً لا اتري من ابر
ياقي الانحياز حصد هذا الصمت

أشتر: أشتر من أممي

قال بالأم وأصبح، وخرجت غير مستاءة صابقتي فقط أني لم اسم
حجاً مع روي

لم يصهر اليومي بيوم أيضاً مطرت إلى الساعة هوجدتها الثانية
عشرة، ونظرت إلى الباحة فلم أجده بسيت أنه لم يظهر منذ أيام.
كما بسيت أن أسأل عن السبب

وبحسب نبيل الغرفة يحمل القوة بلحيته التي لا يزال يطلقها
والتي ازداد طوبى، وبدأ انه يريد أن يتحدث معي وقف قليلاً
متردداً ثم جلس وهو يسألني

- ما يحدث الآن؟

- هييم؟

- مكوث القضاء الأميركي

- ذلك الذي تعطل في القضاء؟

- أجل

- سيسقط في أي مكان لا داعك تقول ذلك

- وهو أنت - من عن ذلك؟

أرمكي مبين قلت عشمياً ومتحيراً

ومرر أسطيع أن هلق؟

سكك قبلاً وقال

- لم يقر أحد أير سيسقط بالاصط

لقد هدوا أن أسبرالنا هي أكثر الأساكن احتمالاً لسقوطه

- لكنه لم يسقط حتى الآن انتحور ثلاثة في أسبريا مرة وم
يسقط

وسكننا وأنا لا أسطيع أن أصحك أفكر سعد في طريقة أعالج
بها ما يسيطر على ذهني من أفكار، وأعجز ولا أدري سر هذه
التحول في عقلي قلت

- لقد انتهت ظامرة الاطباق الصائرة وم يحدث شيء سينتهي
المكوك أيضاً بسلام

- لا أظن هذا مكوك حقيقي له أصحاب معروفون

- نبيل حدثني عن نفسك أفضل كيف حالك هذه الأيام لا
تصلك رسائل من مصر؟

- وهذنتي رسالة من أمي تقول ليها أن حبيبتي تزوجت من
سائق التاكسي

وهذا إلى الصمت. رايت دمعاً بكاد يتفرق في عيني.

- أشتر نفسك يا نبيل، الإنسان يمكن أن يسي كل شيء مع
الوقت. يمكن دائماً أن يبدأ من جديد

- لا أظن أن أمي صادقة.

قال ذلك وتركني

عدت إلى البيت وتناولت الغذاء مع وحيه لم يتحدث كثيراً كنت
أود الانتهاء من الطعام بسرعة لأنفرد بنفسي في العربة لقد أحضر
لي عابدة اليوم رسالتين أعطاهما لي والتفت مغادر المكتب، لكنه بعد
خطوة أو خطوتين عاد يلتفت لي ويمسح كاس اسم عابدة مدهر

حلف مطروء إحدى الرسالتين، واسم أخي على الأخرى أفقدني
مرحتي بالرسالتين، وتوقعت أن يعود إلى المكتب مرة أخرى ليراني
أقرأ ميهب لا أدري لك فكرت في جيورياه هيبه في رواية ديعيد
كوبر هلد بني شرعت يوماً في ترجمتها ولم أتمها لم أصدق أن
اليوم انتهى، وأنه يمكن أن اعوذ إلى البيت وانقرض بنفسه أقرأ
أمراري

«وصلتني رسالتك وأنا استعد للسفر يبدو أنك لم تفض وقتاً
طيباً في مصر أنت لم تفصح عن شيء، لكن كل الذين يذهبون إلى
مصر يأتون ويقولون ذلك لماذا» ويذهبون هناك يشكون من هنا
أيضاً

طبعاً كان يمكن أن ترورني لا أحد حرجاً في ذلك المهم أن تأتي
في وقت مبكر ثم يكن صعباً أن أقدمك لزميلاتي وزملائي كصديق
عزيز الآن لا تستطيع أن ترورني لأنني سأسافر في الصباح كم
كان بودي أن استقبلك حقاً لا أستطيع أن أفعل شيئاً الآن وأر
المستوصف وزير الصحة وسع عن امتياري ضحك كثيراً حين
عرف أنني أتيت وحدي في المستوصف تمحب كيف لا يصيبي
خوف أو حزن فقال لا بد من شكرهم، وأمر بنقلي إلى «أبهاء» في
الجوب «أبهاء» مدينة جميلة بحق يقولون إنها أوروبية المناخ
خاتمة ربعة الزرير في وقت دقيق كنت بدأت أفقد شيئاً من قوتي
وبداً لحول بعد ممالك إلى قلبي ما أشتع المستوصف بالليل
الصباح فوقي جميلة لكن هل يمكن أن أمضي الليل أنظر إلى أعلى
لا تلعبون هنا إلا إرسال لم يدخل البلدة بعد الراديو هو صديقي
والراديو لا يث إلا الأكم. صارت حركة الأشياء تحت الرمح فوق

السطح يصيبي بالربح، وكل طارق للباب من أجل دواء أظنه رجل
لم جاء للقبض على هاشم كانوا يأتون بالبر دائماً هل تعرف ما
شغل ذهني في الأيام الماضية؟ موزال عريب هند سبتان، بلده
مديعة وبلده جديدة بالقرب منها حذر ناس لقديمة بكر
الجديده لا يختلف عن القديمة في شيء كيف تفسره لأمري؟

حتى أرسل لك عنواني الجديد لك السلام والأمان.

ولا اجابة عن سؤالي سمعت حشاشة هار في لطيف، فقلت
وطارده وأخبرته من حلف دولاب الأواني وأدخلة بين اللوح
الحشبي والمائط ودهسته

لم يفرج وجيحاً اليوم إلى العمل
- هناك شيء أعطيتك منك يا إسماعيل

- أنا سأنتقل إلى مستشفى «ألكه» بالمدينة المنورة

- يمكن أن أرحل لك أحد المصريين يعيش معك.

- سنتنقل نهائياً؟

- تقريباً.. وسأسافر غداً

- لا حاجة بي لأحد

- ستعيش في البيت وحده؟

لم أريد كانه لا يعرف أنني أعيش وحدي منذ أن أتيت وهو أيضاً
لا يعرف أن رسالة أخي حملت خيراً مريض أمي وأنهم بحاجة إلى

مانتي حبيه لم يوضع في أخي أي مرض أصاب أمي اسلاني
دقنوا خطاب عيدة، وأنساني حديث وجيه الخطايع معاً.
راسمي اسبع لدي يتحدث أعضا الآن كل شيء. هل إن الارسل
سينقر إلى دعة حارجة سفل مراسم التوقيع على معاهدة كامب
ديفيد في البيت الابيض الاميركي. نحن لا نعتلها على الهواء نائداً
ولا تيمناً إنما ليرى الشعب الخيانة بعينه.

كانتر يفف مقتصماً وسط مائدة بيضاء طويلة وجواره على اليمين
يلف السادات وعلى اليسار يفف بيفر والزهور فوق المائدة تكاد
تحفيها وعلى اساحتين الجديدة الواسعة يشود من رجال
لسياسية وعشرات من اصحابيين بترقيين ويلتقطون الصور
اتذكارية. كانتر يتحدث عن الجيوب المضنية التي بدلها الرعاء
اثلاثة سوهو إلى هذه لاتفاقية، والامال الكبيرة لانها الصراع
في الشرق الأوسط. ويتحدث عن السلام في العهد القديم وفي
القرآن «إن جسد لسم فنجح لها» يقولها بالعربية ويصيح
صوت كانتر ريسر صوت المديع المحلي موافقاً ايضاً يقول
وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو
الله وعدوكم. صدق الله العظيم

في العصر ممت وجسد فوق السرير. وأضأت نور الفوة وقلت
لن نسم مع ليوم في هذا البلد بحلب مسرحاً كبيراً بلا مقاعد. كلفه
حشمة مرمية، والمتفرح الوحيد هو لما الحائس على المقعد الوحيد
عدد المرم. وهو الحشمة سمعة عشر رجلاً وامرأة وبغلاً وبغلة،
يقعون على اساحتين. وفي قلب الحشمة البعيد امرأه مربوطة من

ذراعها إلى ظهر سريره. متتية ساقها عدد التركتين وعطى بصعها
الأسفل ملاحة بيضاء، وتصرح ويرفع نصفها لأعين عيظير العرو
غامراً وجهها وتحقق عيناها بكم رهت وتحفظ عيون الرجال
والسواء والأطفال بالخوف وأنهم، وأعو المرأة جلس الشيطان في
مقعد معلق، وله قرسان لرقان وجهه مطيح بالالوان الحمراء
والزرقاء والصفراء ويبدأ الصوة على وجهه.

الشيطان (صاحباً بالصوت) يمكن أن ارير حرككم

الرجال: (في صراعة) كيف يا سيد الامر واخلام؟

الشيطان (يفف) نختارون واحداً يموت

(يتقابل الرجال والنساء النظرات في الم، وتمسك النساء بأيدي
الأطفال في خوف).

الرجال ما أصعب الاختيار، (يرتكزون بسيقهم على الأرض
ويرفعون أيديهم في صراعة) انذا تلعب بك بنا نحن الذين احترناك
مطعماً لنا وهادياً؟

الشيطان (ضاحكاً) من اعمالكم سُلط عليكم

النساء (في جراءة للرجال) لا نستمتعوا إياه هذا مخائل خدع
أبائنا وسبب لنا كل هذا الشقاء.

الشيطان (صاحكاً بصوت مجسم، يس نظروا حتى تذا هذا
هو الحافض يشند

تسقط أضواء رضاء وحمراء على المرأة المربوطة بالسرير، ويحتل

صرحها بموجات الضوء السريعة. فلا يعرف أحد ما إذا كان يرى
أو يسمع ويقلد شهاب في حوالي الثلاثين إلى الخمسة فحاة أراه
مأذرك أنه أنا كيف قمت من مقعدي وفقرت دون أن أدري؟

أنا (صارحاً بالرجال). لن يموت منكم أحد هذا ليس
بشيطان. ما الذي يجعل الشيطان يعبثكم هكذا؟ هذا ضحككم
يستيقظ أمامكم بعد مئات السنين، هذا أول الفيت ستند المرأة
ولن يموت منكم أحد هل عشتم في عصر محمد؟

الرجال والنساء لا

أنا من رأه أحدكم؟

الرجال والنساء لا

أنا هل سمعتم أن الله يعبث الأبناء بذنب الآباء؟

الرجال والنساء لا

أنا لو جاء إليكم الآن هل تمبوه ماكم؟

الرجال والنساء لا

أنا (للرجال). قد قفوا وانصروا حتى تلد المرأة، المرأة تتمتع
لأن لم نسمع من امرأة بدت وسط الرجال (يقف الرجال لكهم لا
يتحركون).

الرجال أقدماء مقيدة بالأرض.

الشيطان يضحك بشراسة ويعدني) هل تعرف حقيقة هذا
البيد؟

أنا (أقدم نحوه وأطلع عالياً إليه والصوت الازدق يغمري)
أعرف

الشيطان هل جئت تتقنهما من لعبهما؟
أنا أجل

الشيطان كلن عليك أن تصحي من أجهم (يحاسنهم) سألوهم
إذا كل مستعداً لأن يفعل ذلك

(يظهر الجميع محوي يتقدم الأطفال ينقلون بساقي باكي لا
أحد يتكلم. يُسمع صوت نكاه طفل ولید).

الشيطان (صاحكاً) ما هي المرأة وضعت سيموت منكم واحد
الآن إن لم تقدّموا واحداً طوعية واختياراً

ويستقر الرجال يتقلبون على الأرض في ألم، ويهرع النساء إلى
الأطفال. تحتضن كل واحدة طفها في صدرها أترأجع أنا في
الخلف شيئاً فشيئاً وقبل أن أسقط من فوق الخشب يقف الرجال
وبسرعة يهجمون عليّ ويرغموني في أبهى يقدلون بي إلى الشيطان
الجالس عالياً فيحلفني من ذراعي، ويدف بي إلى هوية سحيقة
بين جبلين عاليين ووسط بخار أبيض رازق وأحمر يحاصرني
ويدخل ساخناً إلى صدري يكاد يحرقني وأنا أقلب ساقطاً ولا
تحق بي الذراعان اللتان ميرت بينهما وجه أمي لرباً ولا أصل إلى
قرار الهاوية

ازداد هجوم الفئران وارداً هجومي ويدي أنا الآن وقد مضى
اسبوعان على سفروحيه إلى المدينة، وأرسل أحرك لفحة من نيرانه
استقرت حممة أيام تشوي البلدة، ثم تراجعت ملسعة الطريق
لربح العجاج تهب كل ساعة وفي طلب من كل ساعة، ولا رسالة
تأتي من عابدة تخبرني فيها بعثرها الجديد، ولا تفسير لرسائل
المتكررة بأعم و. س. س في المجلات اسطوية والعربية انني صرت
أحرص على شرائها.

«أرسلت لنا الاحث و. س. س من لطائف تسال هل يمكن أن
تصدره في الملكة تميم الراج إد تجاوز بدري في العمرين
الرجل والمرأة عشرين سنة»

بالطبع يا أخت و. س. س لا يمكن أن تصدره متى ولا تشريع
بذلك

«أرسلت لنا الأخت و. س. س من الدمام تسال ما الحكمة في
سفور المرأة في الأماكن المقدسة، وجوبها في بقية البلاد؟
والحكمة يا أخت وأصحه أن الداس في الأماكن المقدسة تتوجه إلى

منتديات مكتبة العرب

<http://library4arab.com/vb>

الحالق عر وحس، وانفترض ان يفض الجمع النصر كما امرنا
الدين الحنيف. أما في بقية البلدان فالتنلس أصحاب مصالح
وتجاره وعمل وعلاقات مصادفة ويجب ان يستعينوا بكل الطرق
عن حمد سير اشهوة.

«أرصدت لنا الأخت واضحة يدب سليمان بن سبيل من الرياض
تسال عن قاتل هذا البيت من الشعر وما هو البيت الذي يليه

«مفاني الشعب طيباً في المفاني

بمسألة الرئيس من الزمان»

وقائل هذا البيت هو أبو الطيب المتنبي شاعر العربية الأكبر
هم دار بلدة بران في فارس، والبيت الذي يليه هو

«لكن الفتى العربي فيها

غريب الوجه واليد واللسان»

والأخت واضحة نتحفاً دائماً برسائلها التي تتضمن كثيراً من
البيات الزالية، فلدينا رسالة أخرى منها فاحرنا في الرد عليها
تسال من معنى هذا البيت

«والأسي لبس مرقاة الروح حيز

والأسي لا يكون بعد الفراق،

وهذا بصاً لأبي الطيب المتنبي الذي اشتهر بالحكمة البالغة،
هو هذا لا تدعو إل لصبر على موت الأحباء كما قد يتصور سذج
«شارح»، ولكنه يوضح إلى أي مدى يقف الإنسان عاجزاً أمام
حقيقة الموت المعلق على رؤوس العباد كم هو مائس وبعض هذا

الإنسان الذي لا يستطيع أن يواجه حقيقة الموت إلا بالصمت»

تقلمي واضحة بالشعر الذي تسأل عنه وهي تعرفه واضحة
ذات الإحتم الواضح، فمن تكون و من من أنني ترسل كل هذه
المجلات من كل هذه البلاد؟ اسم الجمعية قال الشيخ عي طنصوي

«وصلتنا رسالة مكتوبة بخط جميل على ورق جميل أيضاً من
المعدية و من من من المعدية، هذه نتائج المجلات المصرية، ما
علياء المصريين بلهجنهم الحلوة يدخلون كل لبسوت تسال
المعدية و من من هل يبيع الإسلام رواج رجس في سبعين من فتاة
في الثامنة عشرة؟ وأما القول للمعدية أن هذا أثر أنواع التعذيب،
ولكن الإسلام يسمح بحكمة، فالكه لم يخلق الإنسان لا ووسع فيه
العقل وميره عن البهائم، وكل صاحب عقل لا يفهم ذلك، لكن المال
أفسد كثيراً من الرئوس الآن، وصلى أهل الفتاة ان يرفضوا مثل هذه
الريجات ولا جناح عليهم البعض قد يحتج علي ببعض لصحية
والتبصير، لكن كان هذا عصرأ وكانت تلك أخلاق وكان في لرجال
مروءة وفحولة استغفر الله العظيم»

كم واضحة بنت سليمان بن سبيل ترسل إلى المجلات رسائلها
الأ. وكلها رموز شعرية في أما العاجز ادعي لا يستطيع أن أفهم
شيئاً ولا رسالة من هابدة تسليني ولا حبيب من أهي يطمنثني إلى
أمي ويشرح لي مسألة مرضها

ضحكت حتى كدت أقع من فوق المقعد وأنا أقرأ رساله وحيه
التي احصرها لي عابد قال

- هذه رسالة من الدكتور وجيه الذي كان يسكن معك

قرأ اسم الراسل كعبدته ولم اهتم. استطع ان اقرأ هذه الرسالة في لعل لقد تزوج وجيه في المدينة بالمرأة اللبنانية فاحشة الحال كما يقول أهلها شديدا الثراء لهم في المدينة تجارة عظيمة هذه هي الثالثة يا اسماعيل ويبقى واحدة لا اظن اني سأفعلها. هذه امرأة بمئات النساء جمالا زعي

ودخل نبيل إلى مكتبي مدهشاً من صحتك التي وصلت إلى اليوفيه وأبتسم يقول

- لا تحشى ان يسمعك عم عبد الله

- خيراً أبتسمت يا نبيل عم عبد الله غير موجود اجلس معي قليلاً.

جس وراحت ابتسامته وقال

- لقد صليت ركعتين منذ يومين، وطلبت ان يسقط مكوك الفضاء بعيداً عن رأسي واستجاب الله لدعائي، وسقط المكوك في المحيط قرب «سنوايا».

- يبقى تعلق ذلك

- لن نعلقها إلا بعد سفرى الى مصر

- سنسافر حقاً

آخر الشهر اقدم مبر أما لا اصدق ان خطيبي تروى لا بد ان مريضة او افسدت أمي كل شيء المشكلة ان هذا ليس موعد احرمي لسبوبة سأرسل لأخي يرسل لي برفقة يقول فيها ان هي ماتت ما رأيك

- لا داعي لذلك استطع ان اتبع عم عبد الله ان يوافق على

إجازتك سأشرح له ظروفك وسيوافق. لقد يقض عند ان يفعل ذلك كلف.

دخل منصور المكتب باحماً

- حياك الله أخي اسماعيل

- حياك الله يا منصور. أين كنت؟

- في الكويت.. عدت أمس

- . . .

- طبعاً قندوش تقول إنني مجنون؟

- لا.

- إذن تعرف لماذا ذهبت؟

- لا.

- إلى واد.. لقد فسخت حضنتها من سعير نعاماً.

- لقد حدث ذلك منذ وقت طويل.

- لا. كانت هناك شمعة كانت تريدني الضائم

- . . .

- واخفت معها على الزواج

- لكنني اعرف انها سافرت لتلحق بقريب لها.

لا هذه قصة لفتاتها لصاحب أد ندي احصرت بها ميرة عمل بالكويت. وأنا الذي اخبر عن لها حكاية قريبها الناصب

- . . .

- ما رأيك في هذا الحل؟ بولسي. مثل الاعلام لمصريه

وقد واتجه نحو ذلك وقال

- استعد يوم الجمعة القادم سأسقي كسمة كبيرة هنا تعرف
الكسمة؟

- اعزها ولم اندوخل

- حتى الآن؟

- حتى الآن

- سأسوي دبش كثيرة وسببصر كل العمال هنا في الباحة
ستدوخلها

ومضى مسرعاً والقرد ينظر الي من خلف ظهره

تجاوزت لي القتل الخمسين فثراً. وصرت اصطادها في الليل
أيضاً، صوت ادس النجر يملأ نساء البلدة التي فرغها الحر من
بهوء فصار اصوات طبلأ فاصحور واقطع الساعاتي الماقيتي في
مطربة الفتران امارس القتل في النهار وفي الليل وفي الموتي من
لوق ابواب واسمع صوت شجر القلط التي اعرف انها في حجم
السمور لقد ذهبت لي لمستشفى لانامل وردة وقابنتها لم تضحك
وم تبشسم عاض الدم من وجهها وفمها الاصف
- حدثت تسالي عن عابدة؟

- لجن اريد عوامها في دابها

- عابدة انتقلت إلى المنطقة الشرقية إلى السام

وسكننا واقسمت لي بمسي ان اقتل اول من يكلمني في الطريق.
ويم اقتل احدث ولا تكلمي احد رجحت اقتل الفتران. لكني لا لاصطاد

إلا الفتران الصغيرة - العيس - البهاء عديمه الصرة هي التي
تسأل إلى حقل القتل الذي أعدده لها لم يعد لروح لحشمي
يوضع منفصلاً نكتة الحائط بمفصلات بحيث يد صقمع عليه
يقتمني عاد إلى الحائط ولا تكون هناك أية مكانية ار يقطب انوح
قيهرت الفتران فتران صغيره وبصاء ايضاً له بطور حمراء بم يبيت
بها شعر بعد ولها اصوات مراصر أين الفتران التي تدهف وكيف
تتركها تأتي إلي وكيف لا تدرك أن أطفاله يقتلون كل يوم؟ البنية
داهمتني الفتران الكبار أنت اسمعير خضر موسى أنا لمال
تقتل لياصا واحوتنا الصغار كل يوم دون وجه حق أن لا اقتل
جراًفاً، أنا هنا عريب في بلد غريب أحب أن يستأذن ضيوري في
الدخل عني واخوتكم وابناؤكم يقتلون نومي في الليل ونهار أنت
كاتب لأنك تكره النوم لكن النوم لا يكرهني ويغلبني في كل نزال
فتقلقني فترانكم، هل تريدونني أكلها؟ لقد سددت أسللي اسبب
وكل الفترات التي يمكن أن تدخل مبه لكنها تدخل أنت لا تقتل
الفتران فقط ولكن تستخدم وسيلة بشعة. وأد ادفع لبشعة ثماً
من انتقز أنت حائز للطير والحيوان معاً لفسن الفتران نسب من
عالمكم لكن مينا وبين الطير والحيون مرودة وصله. اصيوات
تكرهكم والطيور القط مثلاً. ياكلكم والعداء ايضاً ليس القط ولا
العداء، انه النوع الذي يفسد الاخلاق، انظر إلى الجمجمة كيف
لا تاكلمنا الجمجمة وبسعة، واصدقاًنا من هذا الصنف كثر سد
انقد ابونا الجمجمة المطوقة من شنكه بصاد هذه حرفة كتب
هذه حقيقة وأنت لا تمرى ولا بد أنك لاتعرف ايضاً ان الاسود
تحبنا. الاسود المفترسة ذات الهيمة والكبرياء هذه افكاركم فلا
هينة ولا كبرياء للذي يعيش على ما تجمع له ويحتج من صدم، هذه

فجأة فكرت ان مرض امي ليس صادياً لا اظن ان هناك حجة إلى نكر المرض العادي في خطاب. وحينما وصلتني رسالة من امي يطلب فيها ألف جنيه في أسرع وقت، قطع الشك اليقين لكنه لم يذكر نوع المرض ولا الخطوات التي اتخذوها لعلاج كنت بالقاهرة منذ شهرين، وكانت امي في أحسن حال، صحيح أنها تجاوزت الخمسين، لكن هذه ليست السن التي تعطل فيها الأمراض صاحبها صغيرة امي على أمراض العجز والشيخوخة كانت صغيرة دائماً على أبي هل كان ذلك سبب الشجار الكثير بينهما في الأحياء؟

كتبت إلى أخي ليعلمي بالحاصل، وأرسلت إليه من الجنيهات الفين وانتبهت إلى حديث الطدة أندي وصل إلى مكاتب اشركة يضحك الباكستانيون منه، ويصمطك عابد، ويصرب ببول كفيه في بعضهما دهشة

هل يمكن أن يحدث ذلك؟

ليس غريباً على كل حال

بعدي لو ضريتني أو ضريتك على رأسك نفقة لحدنا انومي

وأحدة، والثانية ان أباد الفأر خلّص الاسد يوماً من شبكة الصياد أصلاً ربما معشر الفئران قد تكون ناهمين لكننا مثل كل شيء صغير في هذا الكون لنا فائدة، وأنت حاض لا تعرف ان الله خلق الكون متوازماً لا يحق لأحد ان يعسد توازنه هذا كلام فارغ لأن الحرائيم مخلوقات أيضاً لكنها بغيرها ومقتلها فعل ان تقتلنا، وأنتم جبلاء تحمّلون القمص فتشعرون الطاعون الذي قتل أبو عبيدة بن الجراح، في الشام وأهلك جيوش نابليون في فلسطين ودمّر نصف المصريين أيام المماليك والأمن تتلفون الردع في مصر وتقتلون الأسفلال في الريف وتنشرون الأمراض في مدن القبال التي تعرضتم في خربها قبل انتصارتنا وكانكم بالفعل لا تريدون ان يكتمل انتصارتنا أنتم عدو لي وأنا عدو لكم إلى يوم الدين إذن لا فائدة لي الحوار معك.

ولفرت مولي الفئران اسوداء فغطت جسمي كله، ففقت فرماً إلى المسطح، ووجدت واحداً منها بين النوح الحشبي والمخاط قد هسته بوحشية فندقة

وبستطيع لأحر أن يفعل به ما يشاء؟

- هديماً قبل اكتشاف «بيج»، كان المريض يدخل عيادة الطبيب مبحرج له واحد من حنف تلك بضره بمطرقة حشيه على رأسه وبعدها يجري الطبيب العملية

تخس بيل رأسه وصحك

- لكننا ضربته بالحلة انريستول؟

- الحلة أثقل من المخرقة.

- وحصته!

- هذا ما يقال

- هل يمكن أن تفعل امرأة ذلك؟

- بغيره قاتلة.

وضحك بيب

- لقد ذهب المسكين إلى المستشفى فوجدوا إحدى خصيتيه

معلقة في بطنه

وسكتا. وقام وهو يقول لهما

- لقد سافر منصور أمس إلى الكويت وهرب من عرومة الكبسة

بخیل أنا امرله جيداً

ثم بعد ذلك في العمل أحد أتحدث معه غير بيبيل. «مفاج» الذي صدر مسروراً عن التحدث في الكامب يأتي. ويصاح عائد لكل طلباته بسلاسه وأتذكر دائماً أرشد وهو يسأل

«ماذا يفعل عائد في تلك؟» بمنيت لو ملط أبداً وفاج لو

خالعه. وعصى له مطلباً بعنوانه يعرف ما أريد. ودائماً أتذكر حيرة أرشد وضيقه وقلة حيلته وتعبه أكثر من مرة أن أرى أرشد داخل فجأة فيزة أرشد متوهي بعد ثلاثة أشهر يسعى له الآن أمام قتيلة هل يفعلها أرشد ويعود؟ لا أظن أشد. سترى حير لتقص عليه لاسمك سياسي. ولا أظن أن له فرصة في العودة أساً يستطيع أرشد أن يسافر بعدد سنة إلى أي بلد إلا لملكة ويمتطيع أرشد أن يعلم في سجنه بأي بلد إلا لملكة لا بد أنه سي الوقت الذي أمصاه هنا ولا بد أن سعيد نفس الآن نفس التفر. ومصدر أيضاً والمرأة الهندية الصغيرة والدكتور أحمد وراحت وعيليب المسكينان اللذان لا حاجة لهما لأن إلى التذكر أو النسيان

قطعة غريبة تحدث بين العائدين إلى بلادهم وبين هذا البلد عند البداية تبدأ القطعة فلا أحد يأتي هنا لا يعود. من يعرف اليممي المجرور ذلك؟ أتراه يبتسم في لهذا سبب؟ يسفر من الأمر كله ويرى الدنيا حوله مهرة؟ ما باله لا يظهر لأن؟ سألت عابداً هذه أمس. فابتسم وسألني

- هل يهك أمره؟

- فقط أسأل

وهز كتفه بلا مبالاة

- انص هدك طريقة للاتصال بها في الزمان. أليس لديكم رقم المايكور أو العنوان؟

سألت وزيدة التي ذهبت إليها في المستشفى بعد خروجي من
العص

- من الصعب عليك أن تتصل بها في الدمام، من لا يعرف
باصطط في أي مستشفى تحمل هناك

- ألم نكن نكتب له

- كنت أكتب

- ألم ترد عيته؟

وهم أرد هليها فمت وصافحتها ومشيت

كرهت العودة إلى البيت كرهت صيد الفئران، إني أحمل
للروح بخشي كل يوم بالصابون والسافلون لا رائحة تنم في
المنطبخ حقاً لكنني أشمها في الفضاء فكرت جدياً أن أبحث عن شقة
صغيرة في عمرة ستكون فرصة الفئران أقل البيوت العربية
بمرا لا تزيد عن حجار في طريقها تتسلقها أو تمر من تحتها
ودخلت اشوارع الدمام بسيارتي أحسست أنني بحاجة أن أرى
عربة الشرطة تطوف بأحد، أي أحد

ورأيت نفسي أركب حماراً ووجهي إلى الخلف وهو يمشي إلى
الأمام ويصهل الناس عني رجالاً وسنن، ويقذفني الأطفال
بالأحجار ولولا أنني سمعت بغير السيارات لأصطدمت بالسيارات
أمامي

سمعت أن أواخر صيد بالفاء الشبه بعباد الله في الأسواق -

من الذي فعل ذلك رغم حيلتي إليه لأن مركبت سيارتي ومشيت
ذهبت أنا إلى بيت سيد العريب لا بد أن أتحدث مع أحد

- أمشي -

هتف الشرطي لي وجهي

- أمشي -

أشار إلي سيد العريب بيده من الشرفة التي يجلس فيها

- ليس واقف؟

- هل بصايقت وقوفي؟

- بصايقتني قلت لك أن نمتي -

- أين أذهب؟

سألت الشرطي فجأة مندهشاً ومرتبكاً

- لو لم نمت وضعفك معه في أنبيت لا تخرج منه

مشيت عدت إلى الشارع العام، واشترت الصحف والمجلات
قاملت صالحي في الطريق فتجافلت وتجاهلني - كاد يصبح خللي

حتى وقف وناداني ووقف، وعاد إلي

- أريد أن أعطيك هدية يا استاذ

لم أريد

- أعذوني إذ لم آت لأعذر إليك بعد تشاركت عن الشكوى

بالشرطة

ولم أريد

- تمنغي بطانية جلد ثمر استطيع أن أوصلها إليك الجديد

موتاح يا استاذ في البيت الجديد -

- الحمد لله -

- حيال الله ما اسناد

وتركي، وعلمت الشمع فوقى شديدة الوهج تلك محرق
شيرة والشارع العم صار مزدحماً بالبعثات، ومكتبه خالد
احمر واصحة معلقة حالك شميه واصحة لولا الشارب الصغير
والفترة البيضاء ولعقال ولا أنز في الشارع الحريق الآن

ركبت سيارتي ورأيت الأشياء تجري الى الحلف. كل شيء يتعد
عني اذن وليس لي الآن الا انتظار خطاب واحد من اخي يعلن فيه
شفاء أمي ورأيتها تجلس جوارى بالسيارة تربت على كتفي

«لا تترك يا سمعي»

ومسحت دموعي بيدها الباردة وحملتني وخرجت بي من رجاء
السيارة ووضعتني فوق سرير الصغير الأبيض وغطتني بالغطاء
الأبيض وجلست جوار رأسي تصيح فوق جبهتي مناديل مبللة بالماء
البارد وسمعت اذن الجسر الصمد لك راحت الحرارة يا ابو
اسماعيل الصمد لك واسكني ابي يقبلي قل هو الله احد انه
الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد انه الذي لا اله الا
هو الهي القديم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في
الأرض من ذا الذي يشع عنه إلا مائه يعلم ما بين ايديهم وما
خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وبمشيئته
السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو الهي العظيم

اللهم حد مني لصحته وعافيه وارزقني برزقه وأعطي العمر
لارى دينه اللهم بي شكوت لك همي بالليل وتعبي بالنهار
هاسم في رهن مني من وحد بيدي في امي يا عالماً بحالي يا غفوراً

تواب يا رحيم اللهم إني أدعوك أن تسبحني من مقام سيدي
إبراهيم الدسوقي كبراً واعود وأدعوك عن ماب سني كبراً فاشد لي
ولدي اسماعيل اللهم اشق موصدا وأرحم موبد ولا تجعل مع
القوم الظالمين

والبتين يا ام اسماعيل بخير شفيعهم شفيعهم ديم
وكويسين. شقري عليهم يا ام اسماعيل شقرت قتت ب خلاص
ما تزعليش حلقك علي

ويعلو نغير السيارات من كل جهة

- ليش تقف وتحتل الطريق؟

- آسف

- مبر سرعة

ومررت بسرعة وكل ما احدثه من بنتين الاكبر مني صدر عني
أن ادفعه لسنا وجهاء الأصغر مني. صند الفرحه كان لي والحم
الاحمر والبيضة ذات الصغارين وزجاجة كوكاكولا كاملة ولطائر
السمن والفساد الاراب وكبد الطيور وعافيد لبيض لدي سم
يكتسل في بطنها والماء الساخن في الشتاء والصبيون أبو ريجة
والملابس الناعمة ورحلات المدارس وزيارة لصدائق نادا كنت
أحب دائماً من أمي أن يذهب بي الى محطة سكة الحديد أنفج
على القطارات الداخلة والخارجة وحركة الخاس ومرق لموسيقى في
الميدان امام المحطة ورأيت صالح مسبور شقبي بصف امام ادب

ومعه صانحة انيت

- السلام عليكم

- يا هلا

رد علي صالح بصوت بارز وانتسامة واسعة والتي شديداً في عينيهِ
بينهم عمهم الملك المحور بصوت لم اسمعه

- حيراً

- هيراً إن شاء الله افتح لنا تدخل يا استاذ

رد صالح بثقة عربية كيف يصل الى هنا قبلي وقد رأيته منذ
قليل في الشارع العام وكلمني دون أن يشير لذلك

فتحت الباب، وتجهنا، ثم عرفتني ولم اثنا أن اطلب منهما
الجلوس، لكن صالح جلس على حافة السرير، وجذب صاحب البيت
من ذراعه يُجسسه جواره وظللت انا واقفاً

- لا تسولب شديداً ولا قهوة يا استاذ. مسخروج بسرعة

- طبعاً أنت استاجرت البيت من الشبهة هذا الآن انا اريد
البيت

- أي بيت؟

- هذا

- لكنني اسكنه.

اعترف يا استاذ انا اشتريته من الشمية، واشترت الذي
يجسره، سانزوج له هذا، وهدم الثاني وأعطته حديقة مسزوع
أشجاراً مصريه سأعطيت مهلة شهر يا استاذ تبحث عن سكن
آخر مكفي هذه غدة
- تكفي

وتم أستاذ البطر إلى أحدهما بعد ذلك. لا معنى أن أسأل الملك

الأول عن صحة ما سمعت لم يصحبه صلاح ليتأمر أو يكذب لقد
أشترى صالح البيت بحق وعلى أن أتوكة، سواء تزوج فيه وهم
الذي يجاوره، أو تزوج في الذي يحاوره وهم، أو عدم لأشترى معاً
ولم يتزوج.

أكلت بشبهة لا أذكر اني أكلت بمثل من أن أتيت شريت
كمية عاتقة من لحم الصان والكبد، ودهن التهمب وأنا واقف في
المطبخ دون حيز استطيع اليوم أن أكل حروماً كاملاً، جهلاً لو
أردت. وربما خرجت إلى الطريق هائجاً أذهب كل من يلايني
وإشعريه وأكله. احتاج الآن إلى نوم كبير.

تمددت فوق السرير، وأمدت يدي تمسك بعجلة مما القيت من
قبل على الأرض قريباً من رأسي

«جريمة تهزلهذا المملكة ثاني حادث من نوعه خلال شهر. لثاة
في السابعة عشرة تخرب زوجها عن رأسه بأنية لطيف البريستول
الثقيلة ثم تحصيه الزوج المسكين مات من الصدمة حين أفاق
وعرف ما حدث له الزوج هوع ع من البالغ من اعمر سبعين
سنة، والزوجة الثقيلة الصغيرة هي و س من س من الرياض، وهي
تلميذة في المدرسة المتوسطة.
وقلت المجلة مسجوناً إلى بريد القراء

وصلتنا أكثر من رسالة عاجلة بالنيكوليس سسك هل و س س
صاحبة الرسائل المتكررة إيلنا هي القائلة و إجابة بالمدى وبحر
بظمتين قراعا الاعزاء الى أن صديقتنا و س س هاتمت باستليكون

بعد الحادث تسأل هل صحيح ستقوم حكومة الحميري في طهران
بإغلاق المدارس والجامعات وتعود إلى التدريس في المساجد
والحديقة أم لا إجابة واضحة لدينا حتى الآن. ونحن نأمل
صديقتك ستستمع بكثير من الإشاعات عن حكومة طهران الجديدة،
لكن المؤكد أنها مشغولة بتحصيص الحكم لنفسها من المعارضة
وإعلان الشراء لمندسج في البلاد والمؤكد أيضاً أن الحجاب عاد
يظهر فوق رءوس النساء في سائر بلدان إيران. وهذه خطة محمودة
لحكومة الجديدة سيجوز أن تتبعها خطوات أخرى في طريق الذين
البرشيد وأنا الذي رأيت دكامة حالك معلقة منذ ساعات بالسوق
قفزت من فوق السرير، ودخلت في ثيبي، واندفعت أركب سيارتي
أسرع بها عن الطريق لقادم من الشمال واضحة واضحة ولا
أحد غيري. ورحلت أنهب الطريق غير ميل بالفراغ الواسع المريب
هولي، ولا بالظلام لزحف ضرباً قلب الفصاء وهناك، بعيداً
بعيداً وأنا اقتربت من حالة عماره، بوابة الحدود مع الأير، انركت
أنا لا أبحر قابلي في مزيجي لألقي بنفسي فيه

٢٨

لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، ولا ليل سابق النهار، وكل
في ذلك يسبحون..

عائد إلى حيث جئت لا محالة وكل شيء اقتربت منه بتعد كيف
سببت أن أكون امرأة لامعة تنزلق فوقها حبات المطر؟

الليل والنهار ورجل واحد بينهما هو إذا الليل والنهار سماءهما
العرب المتوین لانهما يملآن الأفاق نوراً وظلمة، كيف ترى حقاً في
النور الساطع وكيف ترى في الظلمة القاتمة؟

الليل والنهار سماءهما أعرب بالجددين لتجددهما بالضبط
والإفلام على الدوام لا شأن لهم بأحد لم يلف للنهار معي مرة
يحدثني ولا الليل فعل. مومي النهار بهاراً لظهور ضوء البحر يجري
كالهجر من المشرق إلى المغرب محترقاً حتى يأتي على الظلام، معركة
يخوضها كل منهما مع الآخر ولا شأن لهم بأحد يقف تحتها أو
بينهما يطل على النهار الآن فأسرع إلى العمل غير مصدق أنني تمت
ومصحوب وإن الليل انقضى، وأعود أودع في نفسي ومن شر عاصو،
وقد، خوفاً من شدة ظلام الليل، ويدويه كسحاً بلا هلال ولا بدر

ولا نجوم واحتلقت عني أيام الشهور، ورأيت أمي يخرج قبل المغرب
يبحث عني في الشوارع لأنحل البيت قبل الظلام، ويقول عن
الرسول جنبوا صبيانكم حمة العشاء

سمي العرب الذين بالكاهن لأنه يسهر الناس، فالتحور هو المستور،
والكاهن يجحد بعمه الله ويسهرها، والكاهن هو القوي الثانية عن
المدن، لأن ساكنها بعيد عن جمهور الناس ويستتر عنهم،
والرسول قال: لا تسكنوا الكفور فسكنني الكفور كما سكنني
القبور، وتبوك بعيدة عن حواضر المدن، في مصر آلاف الكفور

أرى الذين الآن كظلمات في بحر لحي يفتشاه موج من فوقه موج
من لوفه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض، وأخرج يدي فلا أكار
أراهم، وكل ليلة انتظر النهر وانتظر معه شيئاً يصلي إلى مكان
آخر، شيئاً لا أدركه كله، وإن كنت أعرف أنه ليس رسالة من أحد

عاد منصور من الكويت ولم أقابله أخبرني ببين أن يوم
الجمعة ستتم وليمة الكنيسة التي وعدنا بها منصور من قبل ولم
يتمها ستكون وليمة صحفة، قال نيل، وسرانا منصور لأحرمة
إن سيسافر مرة ثالثة إلى الكويت ويبقى هناك، سيروج المصرية
التي دوخته مسكين منصور وبذله ليهوى المصريين، وضحك نيل
وسألني ماذا أنا منهش

كنت أذكر كيف يتكرر سفر منصور هكذا وفي وقت قصير لا بد
أن مسألة رويحه من ودا لم تكن متتوية كما حاول أن يقنعني آخر

مرة لكن لماذا لا مثني إلى العمل بالهجر لأراه؟ لماذا يرسر إليّ سا
الوليعة مع نيل؟

فكرت أن اتخلف عن الحضور، ووجدت أنه لا معنى لك الآن
انتهت كل أسرة لي بلي أو أحد، ضاعت عابدة في الرمال البعيدة،
وواضحة هي القاتلة، وسيفها فيها القصص بالنسب لا محالة
ولا يعني أن و س من لا تزال ترس استناب لصحف من كل
المدن، فمفد أيام لا اشتري الصحف، والبيت الذي سيأخذه صالح
ليهدم أو يعمره بامرأة وأطفال ليس فيه ذكريات، وفي الذاكرة
البعيدة الآن ينام كل من عرفتهم رعد قرب الزمان، ها هو، به تبوك،
الصحري بعيد إلى جعبته يطلق منها عروحي سهام لنسيان، وها
هو العجاء يثور كل وقت صارحاً أن البلاد خير البلاد، وبهاء أحي
أرسل يقول إن أمي صارت بصير، ثم يطلب نقوداً أخرى ولم
يحدثني عن تفاصيل المرض لقد شفيت ولسلام، ساحضر إذن
وليمة الجمعة.

دائماً كنت اعتذر عن عدم تلبية دعوات وجبه وسعيد لي
بمصلحتها مثل هذه الولايم التي اشتاق لي حضور واحدة
منها لم أشتاق إليها يوماً والآن استمد لاستقبالها فهدت
روحي بعد يقيني بأنقطاع كل الحصال ربما وربما لأن صاحبها
منصور

لحسن، وبالأغابة هذا الاحساس العجيب، أسي أفق على باب
انطائرة وهواء المكيف في ظهري، ووجهي وصدرتي يواجهان

لشمس، وأحطو أول حظوة دون أن يدفعني إليها أحد. هل سأعير
 امرأة ذمعة عليّ إذا أن أعرف جيداً كل ما أراه أدق في تفاصيله
 كمشير حصيف، وأشرع في كتابة المذكرات التي تجعل ما يحدث لي
 لا يحدث معي. المذكرات تعني الوعي الوعي يعني هزيمة
 الوجدان ولا يائسني الحزن بعد ذلك لو أتذكر الكاتب النحيف
 الذي قال هذا الكلام أه. كل الكتاب جنائز. وكل القراء أغبياء
 يهدقونهم فيعيشون حياة غير حياتهم سرقة مع سبق الإصرار
 للوقت ولعمر الجميل ولا يشكو أحد لقد قيل إنه حين نشر عونه
 أيام فريتر انتحرت مئات الشباب في ألمانيا الرومانتيكية التي هناك
 نابليون عرضها بقوة قتل عونه شباب أمته بكتاب صغير يكي في
 كتابته مرة أو مرتين، واحتاج نابليون إلى جيوش لقتلهم ولم تنفذ
 أشمر لوركا جنود الجمهورية الذين حملوها في جيوب ستراتهم
 جوار قلوبهم وفي زيارتي الأخيرة للقاهرة مات مصلاح منصور
 صاحب العينين النافذتين ترك فراشه ووقف جواره بلقي مونولوج
 هاملت لشهير، وما أن قال أكرى أو لا أكون حتى عاد ليأمر فوق
 الفرش نوم الأبدية. ترى كم قتل شكسبير بأمره الوسيم طوال
 القرون الخمسة الماضية وإذا أنعم بعيداً هكذا أنا اسماعيل
 خضر موسى الذي يعمر دائماً لتحقاق بعد فوات الأوان؟ فيعني
 أحمد مدكف ونجيب محفوظ صدقتهما فقتلت آماله أجل قتل
 بعد هو عرفت ما لم يعرفه أحمد علكف مبكراً. أنا لن أفوز بشيء.
 حلم أيضاً إرهاب قلبي ومحطيم قلوب العباد تحدف في الأولى
 وأحفظت في الثانية فقتلت من حيث أردت الحياة حتى الكتفية قرأت
 من أجله مئات الكتب لا أدب الكاتب والكامل والبيل والتبعية. ثم
 تركت الكتابة أيضاً تنسل من قلبي إلى قدمي إلى الطريق بنوسها

العسيان ويظوها الصدا هل كنت أعرف أنني سأصن إى هذه
 النهاية، أم جئت هنا على هذا المجد. لا تقصى لأسباب ب الله،
 هنا على بعد مئات الأميال من كل ما هو القلب أو تحجر أدمه، هذا
 والآن. اكتشف أنني استطيع العودة وأكتب لكي لا ريد أن أدمي
 قلبي. أنا كاتب وأنا غاشي هاتنا قاتلي لا محالة إن ستصن الخدعة
 إلى القلية رغم أنني الكاتب المخدع لحديث إن فلاشروع في كتابة
 المذكرات حيث يطغى العقل عن الوجدان فلا يدفع الدم بين القلب
 وبقيّة الجسد



ولم أكتب المذكرات، ولا يبدو أنني سأكتب يوماً، وعاد الليل
 النخل

في الحزن يطول الليل فلماذا يطول لأن وقد تقطعت بيبي وبين
 كل شيء. هنا كل أسرة ليلى تلبس من السخف تشاً ليلى مقيت لي
 تكراره نكني وصلت إلى صباح الجمعة، وانقضت لي بيت حتى
 انتهت الصلاة، وتمديدت، واستلقيت فوق السرير أتابع برامح
 التليفزيون ليتنامي قلق مفاجيء فانه أريد بهل حضور الويمة
 وكل التليفزيون كريمة ممي بك فيعماً مذبذباً عن غرق السفينة
 بورايدون أنا لا أعرف شيئاً عن هذه السفينة، وما إذ كانت قصة
 عرقها حقيقية أم لا، لكن من منا لا يندب إلى هذا النوع من
 الاقلام الذي يصور الناس في مارق كبير ويجلي أمامه لارادة
 الانسانية في أقوى صورها، ويعرض صور انصراف بني الحفوس في
 لحظات الصنف والهوة كل هذه الاعلام يعرف لمشاهد بهائيه
 التي لا تخدله فتنتهي دائماً بالجدّة أعرف ذلك أن ايضاً، ولكي

امام السيما تحول الى طفل بريء ماحود ومقبول وكان النوح
ايضاً كريماً معي، ما كاد العلم ينتهي حتى نقل رأسي، وانفصل
عني جسمي، ورأيت مرة أخرى مجنن هاكلان، القسيس الورع
الذي يعط راكمي السفينة ان لا يمسوا رحمة الله ولم يصغف رغم
سجودهم به حتى إذا بدا انه لا فرصة للمجاه بعد أن بدأوا، وبذل
معهم جهداً حارقاً يهتك في عصب وجيبة أمل نحن لا نريد
مسعدتك، فقط نريدك ان تكف عنا، أن تتركنا يواجه ما يحدث
دون تدخل منك لأجلنا أو عيما، يجعلني أصحك من يأسه وحبته
ولم مسحت وجهك ثلثين يومين بيت برنامج مجلة الاسبوع،
والدين ظلام، فأسرعت كالدورغ بالخروج، وركبت سيارتي مطلقاً
في الشركة حائلاً خوف الموت أن تكون الوليمة قد فاتتني

التربت فوجدت عدداً كبيراً من السيارات تقف أمام باب الشركة
من الخارج سيارات كايبريس ومرسيدس وكاديلاك وبيجو، وبينها
تبرر سيارة هم عدد انه انكاديلاك الميضاء، وحوارها سيارة
مرسيدس سوداء ذات ستائر داخية خلف زجاجها، ويرتفع وسط
سقفها ثماناً سيارة عم عبد الله، إيريال إرسال واستقبال.

تركبت سيارتي مصف المقل القديمة بالخارج، ودخلت على سهل
افكر من يا ترى دعاه مقصور إلى الوليمة الثيلة

كاس لأصواء نكاد تشعل المكان وسط فضاء واسع من الظلام،
وكانت مئات اصنافية قد وضعت حول سور الشركة، فبدأ الامركانه
عرس بدم وسط اصعداء

دخلت إلى الساحة، فشد عيني مشهد الحالس في صدر
مقاطعين من أهل البلدة، يصبرهم عم عبد الله الذي رفع في وجهه
ثم تغافلني كعادته، وحواره شخص أسود لوجه، يرتدي موق
الجلباب عباءة سوداء مطوزة بقصب الذهب، وفوق رأسه عترة
حصراء متقاطعة خطوطها الحمراء رفع في هـ أصم وجهه وابشعر
عني، وأما تربدت في الاقتراب منهم كانوا يتكلمان ويضحكان ويظهر
نبيل قادماً من ناحية العوفية يحمل إبريق وكاساً وينوجه في صمت
ناحيتهم

لحقت عابداً يتحدث في التليفون في غرفته فتقدمت إليه أشعر
بالارتباك في خطراتي وعمر وجهي ما من دخلت حتى بشم لي وهو
يضع السماعة وقال

- مفاجأة اليس كذلك؟

- من كل هؤلاء؟

- هؤلاء شيوخ البلدة، وكبار موظفي الإمارة، يتوسطهم عم

عبد الله والأمير

- هل هذا هو أمير ثوبن؟

- ثم يسبق لك ان رأيته؟

- أجل

- انه شخص مهذب جداً تعامل سلم عليه

وقبل ان انكلم أحدي من يدي ولم أحد عروسة لأقوم من
خوف غريب استند بي، فتركت له نفسي، ثم مسحت يدي من يده
بعد خروجي من باب المكتب لا يصح ان يندو أمامهم أنه هو الذي
ينفذني اصنافهم

لم يغمضي عليّ أحد إلى أحد بالطبع اقترباً من الأمير فذكرني،
واشترك بالحوار الصالح مع أحد الشيوخ، وانفجعت أنا تظاضاً
من الموقف كله أصابع عم عبد الله أولاً تهلاً قال في اقتضاب.
وصاحني الأمير مدّ إلي يده وهو جالس، وقال عم عبد الله

هذا اسماعيل يعرف لامتيازاً جساً يمكن أن تستفيد منه
في الامرة
- حقاً

تساءل الأمير دون أن يبدو أنه تكلم أو حرك شفتيه وما كنت
أرد بالإنجيب، حتى هز رأسه مرتين مفضلاً عينيه. وبدأ أنه
انصرف عني بذهنه، ووجدت نفسي أسرع بالاتجاه إلى البوابة دون
أن أستمّر في مصافحة بقية الجالسين.

جسست عن المقعد الوحيد المرتفع، شعطني الخوف الذي لا
أعرف مصدره كيف حقاً أرسل أخي يقول إن أمي شفيت من
المرض دون أن يذكر لي مريضها وطبيعته التي استدعت أن أرسل
إليهم كل ما أرسلت من نفوذ. وفكرت كيف أن البساط الأحمر امتد
بين الصفيين من الشيوخ، يمتد أيضاً إلى ما بعدها من الجهة
المقابلة للأمير وأدركت أن العمال الباكستانيين فاموز أيضاً
لنظن وربما دعا منصور الأميركان. أير إنني سيكون مكاني ليس
أمامي، لا ينظر بقية المدهوين لأجنس بينهم. لا أستطيع للجنوس
من الشيوخ وكثر لنده لا شيء لدي أقوله لأي منهم. ولا سنبو
معرفة لي نأخذهم ولم نأصمت والاكل لا بد أن يحدثني أحد،
وعائد سيجدها فرصة يتحدث مع كل الشيوخ أمامي، ويتبادل
معهم الصمت وكلاماً لا أفهمه أن يحدث عليّ في بكلمة مد الآ.

ونبيل مشغول عني بتقديم الشاي والقهوة العربية حتى يأتي
منصور ويطعنه

ودخل ببيل البوابة وقد أحمر وجهه بشكل مثير
- ويك يستر
قال هامساً ومقلته
- أين منصور؟

- سيأتي بعد قليل وبعه عربة محملة بالطعام سيظهره في
البلدة في بيته هكذا قال لماذا لا نخرج ونجس معهم؟ فرصة أن
تتعرف عليهم؟

ابتسمت تركني وحمل إبيراً آخر من الشاي وخرج هل
استطيع أن أتعرف الليلة على كل هذا العدد من الشيوخ والكبراء
دوي الفتر الدرجة، والعباءات الفضفاضة، ولوجوه النظرة ذات
اللحم الصغيرة اللامعة؟ وبقيت جالساً في مكاني، لا أني حركت
القدم بحيث أراهم من خلف الباب المفتوح ولا يروني، رأيت
هابداً لا يكف عن التردد حولهم. يقف يتحدث مع واحد لحظة،
ويشتمك مع الثاني، وينهي يقبل رأس الثالث، وأحياناً كتفه،
وترفع أصواتهم كلام لا أفهمه، وكثيراً ما يصوت بعضهم، وأرى
الأمير من الطرف لا يهتز ولا يبدو أنه يتحدث

كثيراً ما تحدثت وجيه وسعيد أمامي عن الكيسة، قد لا إن الأكل
عينا يكون مالايدي واليد اليمى فقط لا يصح استخدام اليديين
اليد اليمى مدهش من لحم الحروف الصغير المشوي، الموصوع
كله فوق صينية الأرز الكمية التي قد تصب قطرها إلى المتر ولا رر
كوب عال، أرز غارق في السمن، مخلوط بالزور والربيع وبصوير

والعسقي، وعلى الواحد أن يتخذ بيده الأرض الساخن، ومضغته في كفه قبل أن يهدف به إلى فمه، وكلما مر من يده النسر، كل دليل عن كرم صاحب الوليمة، وحدار إذا وجدت ملائق أن تستخدمها. الملائق لا تظهر إلا في حالة تقديم «السلطة» مع الأكل. يكون عليك أن تحمل السلطة بلطفة وتطعم بها فوق الأرض ثم تترك اللقطة. ويبدأ تعود تأخذ الأرض والسلطة معاً وتكورها لتأكلها ومن مراسم الكنيسة أن لا تبدأ تناولها إلا بعد أن يبتدأ كبير الجلسة. وكبير الجلسة اليوم هو الأمير صاحب العيني الصنعيتين المدفونتين تحت جفني هالين علي دن أن أراعي كل هذه الآداب

وسمعت ضجة عالية خارج الباحة، ثم اندفع العمال الباكستانيون إلى الداخل يهرولون صاحكين، ولجأة توقفوا مصعوقين من رؤيتهم للشيوخ والكبراء صار بعضهم يحذر القادمين مندفعين بعده. وبعضهم خرج بسرعة يحذر القادمين من الخارج، وتوقفوا حائرين لا يعرفون ما يفعلون، فتقدم عابد إليهم وأشار إلي «باحية الخالية حول البساط الأحمر، فراحوا يجلسون في صمت، لكنني أرى عن أبعد وجوههم التي اشتعلت حمراً.

عاد نبيل إلى الترفيه أحمر الوجه أيضاً.

- لقد تأخر منصور كثيراً

سم أنه كنت اتابع، أصبحت الذي رار على الجميع الشيوخ أيضاً وعائد الذي خرج يعف عند باب الباحة قلقاً وكان الضوء في الباحة شديد. وسمعه من هواء متعش هبت عذبا، وبدأ في كل شيء طيباً ندياً، لكن أحدهم القنق قالت لنسبل

- هو تراه لا تأتي؟

لا اظن لقد دعا الأمير كما ترى وشموحاً كثيراً. انهو أيضاً يجلس هنا ألا تعرف؟

هرزت رأسي بالنفي فقال

- صاحب العبادة البنية

دفقت النظر حتى رأيت في الصف المواجهي شيخ هرم أعمس عيفيه وأغلق فمه، ويكاد رأسه الذي يهتر يستلج على صدره من العباس

- لكن لماذا تبقى هنا؟

فاجاني نبيل بالسؤال ثم قال

- يجب أن تأخذ مكانك الآن، سيفطن لناس إلى فيديك وهذا عيب كبير، ما دمت حضرت فعليك بالجلوس معهم

لم يكن هناك مكان لي إلا الصدارة من ناحية الأخرى المقابلة للأمير ومع عبد الله على جلبي وأمامي صفا بعمال لباكستانيين ينحلم بصهي الشيوخ

من الممكن أن يجلس عابد جوارني، ومن الممكن أيضاً أن ينسج المكان لمصور لا بد أن يجلس منصور في صدارة حين يأتي فتكون أنا على يمينه وعائد على يساره، أما نبيل الذي لم يجلس حتى الآن، فلن يجلس سيكون معه عداد أشادي وأنقوة لتقديمها بسرعة بعد الأكل لكل هذا العمد ربما يأكل مني مما ينقى يتبقى دائماً الكثير يأتي به للقط غصير موداً ونحسدها الكلاب الطريدة المبعوعة من دخول الحواضر النسة مسجسد

لقطع الكلاب إذ سُلّقى بها تلقى في الصحراء

جاء عند مصراعي من ناحية الباب، وحلّس جوارِي وهو يقول
«وجس الطمّ»

كلّار يهنؤ رمعشلا لا أعرف مادّة! وكلّ مسعوم، وأما راحت عيناِي
تدملان الأمير الذي بد لي مصيراً سعيماً لا يكاد يرتفع رأسه إلى
أحد

- بإسراج لأن سيارة نصف نقل تحمل صواني الطعام لكن
منصور لم يات معها

قال عابد لي واحوف يگاد يفلّز من عينيّه وتتممت حقاً رائحة
لسمّ تتسلّل اليّ في الفضاء ثمّ دخل من الباب يعنيان يحمل كلّ
منهم صبيّة مفطّدة بقضعة شاش بيضاء، ووقفّا جانّبين لمقدم
ببيل منهم، واحد من ناحية الأمير فوصعا الأولى أمامه والثانية
بعدهم بقليل، وعاد مسرعين إلى السيارة بالخرج وحذب سبيل
ثلاثة من «باكستانيين فقاهو» على الفور وراحوا مع اليميني
يحملون الصواني المفطّدة بالشاش الأبيض، وأمثلا الغصاء
برائحة إدام، وخرجت امرأت الألسز تمرّ من الشداد، وتحركت
الهابجر مدعدة هابطة بإبتلاخ اللعاب، وراح الضميرخ يتحدّثون
عن عدم حضور منصور ومصحكون، وتشرّقع أصواتهم ثمّ
تحمص، ويشيرون إلى أمه التي تعجز عنه ويتكلّم بصوت لا
سمعه أحد ثمّ تعود بجانب البعاس، وتعملل الأمير، لكنّي أدرك
من الحوار الذي يخاله معه عم عبد الله، ومن سحقهما الهامس،
أبعد لن ينظر حضور منصور

رحت أعد الصواني فاكتملت عشرين، ووقف اليميني جانّبين
بعد أن عاد الماكستانيون الثلاثة إلى أماكنهم، لكن سداً أشد
إليهما أن يقفا عند التوبة فأمثلا، وحطّ عم أدب صممت بتصر
الصنيع الآن لن يبدأ الأمير، وأذا انتصر أن يقع هو رأسي ححرص
السما، والكاذب المكش وأتلاشي، وتتمتد بحق أن أرى منصوراً

رفع الأمير قطعة الشاش، عامتت لأيدي ترهع الشاش فوق
الصواني التي أمامها، وأمثلا الغصاء بالأصوات الغاضبة
صياح صياح إيش سوى هذ المقتوه؟ ضباب يا أبو محمد
ضباب يا أبو منصور، ضباب يا عبد الله.

لم تكن فوق الصواني حراف حيون غريب قصير مثل تمسح
صغير له ذيل كثير الفقرات
- هذا ضب

قال لي عابد هامساً ولم يكن مهمساً أن أعرف كنت أتابع
الغضب على وجه الأمير وفي عينيّه، ولدهشة عم وجوه
الماكستانيين، الذي قام واحد منهم مفروعاً بصرخ، وخرج جدياً
مقارداً المأخاة كلها، وعاد الصممت بهط، وبدأ الارتباك على رجه
عبد الله، وما زال أبو منصور يمالأ أسنانه، ولم يقص أحد ما
هطلت أما اليه لم يكن فوق كلّ صبيّة «ضد»، ولكن كان فوق
ثلاث أو أربع منها حيوان آخر له أربع أرجل كثيرة وبلا رأس، كن
إليته الصخخة المركّبة المعطّلة توصّحه أشد توصيح ورفع عائد
قطعة الشاش التي فوق الصبيّة التي أمامها، هوجت نفس
الحيوان، وشعرت معدني تكاد تقفر، وكأنما فعدت من نصي إلى

أدهشني ظهور اليمني العجوز من جديد ليوم جاء مبكراً في
حوالي التاسعة ظهر جالساً في مكانه ولسوك في فمه ولا يكف من
النظر إلي ولا عن الابتسام

يزداد ابتساماً اليمني العجوز منذ ظهوره لابد أنه عرف حكاية
منصور كلها مسكين منصور في اللحظة الأخيرة عرف أخوه الأكبر
بأمر الوليمة. قيل إن أمه أخبرته وهو يدخل البيت عائداً من
الدكان. أن منصوراً ذبح القرد التي اشتراها من لسودان، وأنه
اتفق مع بعض اعراب اللادية على صيد عدد من الضباب وأنه
استجلب بمميز ليظهروا له هذا كله، لكن اليمني كان قد حملا
شيئاً في للسيارة مصيلاً. ولحق الأخ الأكبر بمنصور وهو يركب
سيارته الكابريس فمعه من المنصور هاجمه وضربه، وضربه
منصور أيضاً، لكن الأخ الأكبر نجح في النهاية في ربط منصور إلى
مخلة كبيرة بشعة اللب، وأسرع بخصر إلى الشركة إنه هو سدي
وأيته يضرب اليمني منصور، ويحاول به ذلك امتصاص الأمر

في البداية لم أصدق القصة، لكن خبر رجل منصور أن مصحة
الأمراض العقلية بالمطائف لكها في عهد هو الذي أحترق ثم

فهي صعدته هكذا أحسست بالصبي فأمسكت بطي سدي.
وبهتت حارماً إلى دوره المياد. لكنني لم أنجح في أن أمتنع نفسي عن
التقيؤ قرب بابها، ولحق بي نبيل سريعة. وأخذني من إبطي من
الحلف ومشى بي إلى السومعة أكل تسقط مقشياً علي. وسدعت
صراخاً وهرجاً ووقف بين الباب يرى ما يحدث الله الله ما
هذا ووقفت متحمة، ملاً جواره مرأت شخصاً لم تسبق لي رؤيته.
يطارد بالبدعة اليمني ويشيح كل من تص اليه يده منهما ضرباً
حتى استطاع بهروب من باب البدعة، فوقف هو يرفع عثرته التي
انزلت إلى الأرض، ويتقدم نحو الأمير الذي قام في غضب ومضى
بسرعة خارجاً لا يتوقف به، وهو يحاول الاقتراب منه، ونم يلع إلا
عند باب البدعة في تقبين رأسه وألفه وكثفيه، وملا الشيوخ البدعة
بالحوار رصيفات والصعكات أيضاً وصرخ عبيد الله في
الباكستيين أن يحموا الأكل ويلقوا به في الخارج، ورايت أبا
منصور يمشي مسيحياً ولا يكف عن هز رأسه

صدرت عنها المكسمايون الذين عرفوا ذلك من رملاتهم بالشرككت
الاحري عرفت نترك كلها القصة والنهاية، فلم يعد هناك شك في
احسن لقد ذهب منصور إلى الكويت للمرة الثانية فوجد وداد
تروحت قريبها لم يساعدها منصور في أي شيء وكل ما قاله في
حيال صمصمه هو وصداقه عاد منصور من الكويت يابس البسط
واسيم الذي تجرب به الأرض من قبل كل الناس يتكلمون سباع
الصمر، والصب حيوان شديد اللحم شهيق اكله في البداية لا بد
أن منصور الذي لم يحضر ابويمة أعد القروء لما نحن الغرياء،
ولم يكن ليوافق أن نرضع الحوسي التي تحملها كيفما اتفق

- ماذا لا تصحك هذه الأيام؟

سألني بيبس الذي سيسافر بعد غد إلى القاهرة لم أشأ لسأله
ماذا عاد يعني للظهور ولماذا يحضر اليوم مبكراً ولم أشأ أخبره
أني أشعر وكأنني مسؤول عما حدث لمنصور ثم ماذا يعيدني
أحدث عن وحدتي وتفكرتي كل يوم في أن لا أحد حولي أتحدث معه
مضي سبعة أعوام من لشهر الذي حددته في صالح لأترك البيت،
وعم أسعد لمعت عن مسكن آخر وإنما أمسي وإنما لا اتصبر إذا
تذكرت.

قلست

جس معي قليلاً

حسن وقد عاد الإسرائي القديم إلى وجهه نظر إلى طويلاً ثم
عصر عيني وقال

- لا أعرف لماذا أتذكر هذه الأيام قول أمي لي - إنما أنا في شيناً
له من زمان وهي تقول لي ذلك دائماً فكم لي بحدلي لذي كان
أحد من فلول الإذاعة ويعطيني الشيكولاته وكيف لمزق في
الليل، وكان يُعَدُّ عن أشهر المساجد في مانه ودرس لذي كان
مضربني في المدرسة الابتدائية حتى كرهت مدارس كيف سقطت
فوق رأسه طلقاً من إحدى البكورات فمات في لجال ولصابط
الذي أهدني من القبي إلى القسم مع عري من احبيين وتسبب
في قصائي ستين في اصلاحية الاحداث كيف سقطت به بكورة في
مديرية من الجيرة فمات رغم انها بلكورة الدور الأرض رطبيني
التي تركتني من أجل سائق تاكسي، تقول أمي إنه سيطلقها، لأنه
اعتبرها شقراً عليه إذ دهمت سيارة جيش كبيرة لتاكسي لذي
يملكه وسوئته بالأرض ليلاً رغم أنه ركنه تحت شباك بيته ماذا افكر
في ذلك كثيراً هذه الأيام

ولم أجد إجابة كنت محتاجاً إلى حديث الحار يُفَرِّج همي
فغفاني بغفازه. مسألته

- هل اقتنعت أخيراً بزواج خطيبك من سائق التاكسي؟

- لا أظن أن أمي تكذب طول الوقت

- ماذا تصر على السفر أد؟

- لا أعرف

أجاب وعاد إلى الصمت قليلاً ثم قال

- هل تظن أن في شيناً لله حقاً هل أنا طمس إلى مده بدرجة ولا

أدري؟ هل يحبني الله إلى هذا الحد؟

تأملته قليلاً وقلب وأنا أشعر بعطف غامر نحوه

- ٦ من أن الله يكرهك يا ميل

هر رأسه وانتسم رقاب

بيت هادي اعطاني القلوس ولم يمت، ولبيت المدرج تركني
متعلّمت ولم يمت، وبيت جسدك لم يدعني بي إلى إصلاحه
الاحداث وعاش، وبيت حبيبتي لم تهجرني.

واجبش بيكي فجأة ثم قام وتركي

جسدت وحدي بقية انيهم انهمكت في ترجمة نفاير لا اعرف
أحدًا ممن يكتبونها من الفيين الاميركان عن مواقع عمل ثم اررها
رغم كل هذا الوقت، ولا أستطيع بين حين وآخر أن اسمع نفسي عن
النظر ناحية اليمنى، فأجده ينظر إلي ولا يكف عن الابتسام.

من قبل، حين كنت انظر اليه كان يحس بنظراتي فيناديني النظر
ويبتسم. اليوم و أيام الطفلة السابكة منذ ولعة مصور، لا يبعد
عينيه عني. وحين عاد عايد من البدة يحمل خطابا لي قرأت اسم
هلاء خلف لظروف ماهمت قراءته حتى اعوذ إلى البيت لم احب
أن اضايق نفسي بشيء يطنه علاء ممي، او بمشكلة ثارت بينه وبين
أهني زيريد رأيي فيها هناك أستطيع أن افصح التليفزيون أو اترك
سبيت نفسه راكشي في البدة بعزوة

٣٠

مم احب أن أفك يوماً فتلومني بعد أثر الجميع خلفه احبر
عك حقر لا ترتبك في عنك، لكني أدرك شجاعتك وقدرتك عن تحمل
الصعاب، لذلك شئت أن احبرك رغم ما في ذلك من ألم ألم لك لأنها
والدتك الحبيبة، وألم لي لأنني خالفت ما أجمعت أسرتك عليه لقد
توهيت الوالدة منذ أسابيع وقفا بدفنها وعمل ما يليق بها من جنائز
ولرعو أن تنفخ حالص عزائي، وعزاء أسرتي، فلقد كادت والدتك أما
لما جميعاً، والرجو من الله أن يقوي عزيمتك، وأن تكون كما قدرت
تماماً الأسرار القوي الذي يدرك حكمة الله، وأن تستمر في عملك
وانتأقأ أنا هنا، أنا والأسرة، فرعى أخوتك كاخوة لنا.

ولم أتم اللبل لسر ولا تحسب أي ساءم بلية ايضاً لم
استطع العودة إلى العمل لأحبر أحد. ولم أستطع ابقاء لي أسيت
إلا بعد أن دوت في البدة قاضعاً كل شوارعها وكانني وحدي أمشي
بين اللال لا صحت فيها لأحد

تتى الصباح علي وأنا أدق رأسي إذ كيف ضاعت ممي صورة
وجه أمي إلى الحد الذي لم أتجح ولو مرة في استحضاره هر يحق
الموت بالخيال أنصاً

أدعاني المحمود الذي حط فجأة عليّ فصرت مثل حجر. لقد درت في البدة عيروا ع حفاً من حولي. لكن ذهبي لا يعمل مضي عليّ الليل صويلاً. شديد الطول جداً. لكن ذهبي لا يعمل. هل كنت انزعج هذه النهاية لامي ولا أدري؟ ويريدني أن أكون كما قدر هو. الإنسان القوي سدي يدرت حكمة الله وأن أستمري في عملي. علاء الذي لا أعرف في أي ركن كان قديماً وقعر من ليستوي علي صناديقنا يريدي أن أستمري وهم إحوتي. لعبة أبي الحقيقة. أخفوا عني الخير كي أستمري في عملي. لا يريدون تعصلي عن إعداد نفسي بما يجب وبما يسمى كل شباب هذا الزمان لأعداد انفسهم به المال الذي يتفرق عن ما قدعتا به مصر من شرور. لقد اشتقت كثيراً إلى فار فار وحيد يخطيء ويدخل البيت بعد هذا الانقطاع إلى اقتله مشتاق إلى سماع صوت حريشاته وقفراته وهو يمزج لاهياً وانحاً من براعة الدنيا حول

بالطبع لم يصنع عابد ولا نبيل الخبز لقد رأوني أعمل هائلاً لكي ظهرت الخطاب لعابد الذي أوتيك.

- من يستألف؟

- غداً.

- لكس.

- سيرفق مع عبد الله. أن يرفض شيئاً كهذا

هناك له حاسماً وبعد قليل جاء عم عبد الله إلى المكتب. وهيل أن أذهب إليه جاء هو إلى لقد أخبره عابد حاسماً وقدم لي عزاءه. وسألي ما إذا كنت محتاحاً إلى أي شيء فشكرته. وأمر عابد أن يذهب إلى الجوارب لاستخراج غيرة لمدة شهر وأن يشتري لي

مذكورة في عودته لاسافر غداً مع سليل لم نقل هو مع سليل فكنت أنا بسرعة وهو يصدر لعابد أوامره. ولم يصلياني ظهور اليميني أحيوم حيكراً أيضاً ولا انقسامته التي لا تحتفي. فقط في طريق عودتي اشتقت إلى الذهاب إلى المستشفى. لأرى عيادة وأمرها بها. انقطع كل ما يبني وبين الناس في مصر. وتذكرت أنني من أجدتها تذكرت القصة كلها. والآن في غروني في بيت لدي عني أن أتركها نهائياً لصالح. نود لو أخذ سيارتي وأسرع إلى بيت وأصحة أبكي في صدرها يا الهي! أتذكر الآن أمي وما أدور في ليلة مساء أمس صامتاً غير مدرك لما حولي. رأيت دكالة أحياها حالك مفلقة لا تزل وفكرت فجأة أنهما توأمان تذكرت شدة الشبه بينهما ثم تذكرت أن حالاً كبيراً وكما حدث أمس اشتقت اليوم إلى فار يخطيء ويدخل. وكما لم يحدث أمس انشغلت استيفزيون لكن الإرسال كان قد انتهى من وقت طويل حتى أنني أرى الصباح يجاهد للانعتاق من غلام هذه الليلة العارة الخائفة. وكان عني أن ظل أجدد النوم الذي بدأ يغثاني الآن لو كنت ما استيقظت إلا في المساء. ولا أحسب أن طرقات عابد الذي سياتي ليحملني إلى مطار ستولظني أمداً

- أراك اليوم أفضل من الأمس

قال عابد الذي جاء في الثامنة صديقاً ووجدني في بظفري لم أريد لا أظن أنني كذلك وحملت حفصة كدرة فحملت عني وترت في الصعوبة أحملها نابت الدهشة علي وجهه وأحسست به نكار سألني كيف اشتريت ما في الحقائق رغم ما يبدو عني من حزن

ولم أشأ أخبره بأنه ليس في الحقائق إلا كل متاعني للخاص الذي
جئت به من مقدرة، وأشياء قليلة كنت أشتريتها من قبل لم بعد
ي في البيت شيء حتى أنتعريسون، الذي يوكه فاروق ثم تركه
سعيد ثم تركه وحيد، تركته انه

وقد استيرته على مهل ليس لأن الطائرة مستقلة في العاشرة لكن
لجلال الموقف هكذا فكرت كنت محتاجاً إلى أن أرى الليلة مرة
أخيرة يأنسده، ولم يكن ممكناً طلب شيء هكذا منه، والساعة من
بثني إلى طريق المطار قليلة لا تمر من وسط البلدة

- بعد دقيقتين ببين من الليل

قال ولم أرى

- شيل سيسليك في اسفر.

ولم أرى

- أجهوك أن تعود لنا بسرعة الموت معلق على رقاب العباد

ولم أرى وأحسست به خجلان إذ صمت ولم يتكلم بعد ذلك،
وأنا فكرت في هذه الروح المعادية له بلا سبب تقفر من جديد

نحدث السيرة إلى طريق حمار دي الأسفلت الأسود اللامع
الذي ينعكس فوقه أشعة شمس متماوجة فتكرمي بعدم امتوائته،
لقد صعدت شمس اليوم بسرعة إلى السماء، وتعلكت الدماء في
وقت منكرو، ولم يكن حول الطريق إلا زمال وكابلان

هذا طريق أعرفه، لكنني أراه اليوم وكاني أراه لأول مرة، ولا
استطيع أن أكف عن النظر إلى الناحية لأرى شيئاً حولي غير

الكثبان رأيت الكلب الأبيض الضخم مثل انحرار الشار يجري
بسرعة وهو يظهر شيء أسود انصصحت صوريه وأنفتح عيني على
اتصاعهما. إنه فرد ذلك الذي يركب الكلب المسكين الذي لا يتوقف
عن التحري بسرعة مذهلة لم يفتنه عند أن استهد، وكذب اهتف
له أن ينظر إليه، لكنني ابتلع ريفي الذي أحسست به جافاً، وانتفت
الوي عني لأنظر من الزجاج انطلي، فأرى الكلب لا يزال يجري
والفرد لا يزال فوقه لكن الطريق يبحس، وسيارتني هي الأسرع،
والمشهد كله يعيب عني، وتنهذ مكاتب اشركة مكان كلب والفرد
فالتفت أنظر أمامي هذا فرد منصور لا يد قنت لنفسه هامساً.

- كل من عليها فان يا اسماعيل نحن سركب طائرة وبعض
ساعة ونصفاً بين السماء والأرض ويمكن جداً أن تسقط بنا

كان نبيلاً يحدثني وأنا لا أنظر إليه

في البداية، حين وصلنا إلى المطار، وبعد أن تركني عابد ودخت
إلى الصالة، أحسست بالهجة تنبع من كل شيء حولي عدد كبير
من أهل البلدة وعدد أكبر من المصريين لا يكفون عن الحركة
والكلام، وقد ارتدوا جميعاً ملابس رهيبة نظيفة وكثير من الاطفال
يبحركون في عافية ويدورون ضحكهم حول لحافان للونة
وشعور طيف يبعثه مكيف الهواء ويوجوه الشباب الصغار خف
الميزان ومكاتب الجوازات تنصره هادئة وشعلني حفاً شعور بدرجة
والرصاص، وبدأ أنني سميت تصاماً موت أمي، وتشتعلت سجارة،
وقومت أخرى لعيل، وانصمت، لكنني الآن أرى ما لا يراه سيب

عربة جيب تقف امام باب الصلاة ينزل من بابها الامامي ضابط شاب يتقدم بسرعة الى الجوازات وفي يده جواز سفر اخضر يدفع به إلى الموظف الشاب الذي يتسلمه، ومن الخلف نزل شرطيان وجديا رجلاً نزل ووقف بينهما فدفعاه أمانهما خلف الضابط. انه سيد الغريب. هو نفسه بلحيته الطويلة ونفس بنطالونه الذي رايت يرتديه من قبل وفوقه يرتدي قميصاً لم يجد الوقت، أو لم يشأ، ليفسله ويكرهه. لقد رأيته فور نزوله من العربة كما رأيته، ونظر الي كمن كان يعرف اني في انتظاره. يذكرني كما اذكره بلا شك. ولم اره ينظر الى أحد آخر. ادخلوه من باب الى غرفة ولم فمه بعد ذلك، لكن المسافرين جميعاً ادركوا المسألة الآن، وبدأ المصريون يتحدثون في هديره. لم يكن صعباً أن يدرك نبيل ما يحدث، فبعد أن حدثني نظر إلى حيث انظر وقال:

- مقبوض عليه ويُرَحَّل. يا ساتر يا رب!

رايت رجله يمتقع ويشحب، وابتعد عني، وراح يدور بعصبية بين المسافرين لوقت ليس بالقصير.

ادركت أن سيد الغريب سيسعد إلى الطائرة قبلنا جميعاً، فلا متاع معه ليزنه، واجراءات سفره لا بد تتم الآن، وأن الشرطين سيسمحانه حتى يجلس بالطائرة، وأننا لن نرى شيئاً من ذلك، سنجده جالماً في الطائرة حين نبعده اليها.

بدأ من حديث المصريين الهامس أنهم يهزقون قصته، لكن الدعشة كانت ترشح على كثير من الوجوه، ورايت الخوف ايضاً على وجوه كثير من النساء اللاتي أرى وجوههن مكشوفة الآن. نحن في المطار.

رايت نبيلاً يتحدث مع المصريين، فأدركت أنه يتقصّى قصة سيد الغريب.

لماذا لم يحاول أن يسألني حقاً؟

- يقولون إنه طيب...

وقاطعته قائلاً:

- اعرف القصة كلها.

لقد اطلقوا سراحه اليوم. يقولون إن وكيلاً جديداً لوزارة الصحة زار تبوك وعرف قصته فطلب أن يراه. كان هذا الموكيل زميلاً له في الجامعة في مصر، وهو الذي رتب امر ترحيله دون محاكمة، إنه محظوظ جداً.

ولم افكر فيما إذا كان سيد الغريب محظوظاً، فكرت كيف يعرف الناس في تبوك كل شيء ولا أعرف أنا شيئاً، ريدا المسافرين في الانتظام في طابور طويل لوزن ما معهم من متاع.

احسست في المسافة القصيرة بين باب الصلاة وباب الطائرة أنني أنا والكون شيء واحد، ساخن وفارغ، وقدرت كيف أسرع نبيل ليسبقنا جميعاً ويصعد سلم الطائرة هارباً مما تقذفنا به الشمس من لهيب رغم أن الساعة لم تتجاوز التاسعة والنصف. لكن نبيلاً كان ينفوخنا وهو يقترب من الميزان. قال لي إنه خائف من هذه الرحلة، وإنه حين ركب الطائرة أول مرة لم يخش شيئاً. قلت له إن الخوف شعور طبيعي في السفر بالطائرات. ولم أر صفحة وجهه تعود إلى صفاتها إلا بعد أن تركنا صالة السفر ودخلنا إلى أرض

المطار. لقد سبقنا جميعاً. وتأخرت أنا الذي مشيت على ميل أنظر ناحية اليمين فأرى طائرة هليكوبتر صغيرة صفراء على جانبها صورة العلم الأميركي وتحت قرأت (القوات الجوية للولايات المتحدة الأميركية). وأنظر يساري فأرى طائرة هليكوبتر أخرى.

جلستُ صامتاً بجوار نبيل الصامت. رأيت سيد الغريب يجلس في المقعد الأول خلف كابينة القيادة. بعيداً عنا جميعاً في الدرجة الأرض التي لا يشغلها أحد. لا بد أنهم اختاروا له هذا المكان حتى لا يكلّمه أحد. توقعت أن يعلّق نبيل على هذا الكرم في الترحيل، لكن نبيلاً كان لا ينظر إليّ. شخص بعينه إل لا شيء. وراح يقرأ الفاتحة أكثر من مرة بصوت أسمع بهوضوح رغم صوت محركات الطائرة.

ربطنا الأحزمة، وامتنعنا عن التدخين. وطلعت علينا إحدى المضيفات بعبلة البونبون. وتحركت الطائرة بسرعة هائلة فوق المسر، وازدادت سرعة نبيل وهو يقرأ الفاتحة، وانخلعت الطائرة مرتفعة عن الأرض، فرايته يغمض عينيه، وسمعته يقول: «الحمد لله». واستوت الطائرة في الفضاء، فراح الركاب يهتفون أحزمتهم، وتهد نبيل وقال:

«الآن ليحدث ما يحدث».

رئتُ على ساقه انشجعه فقال:

«أنا لن أعود مرة أخرى».

نظرت إليه في دهشة. قال:

«هذا قراري ولا رجعة فيه. كل فتاة ستخطبها ستتركني وتزوج. لا بد أن أظل في مصر لأحافظ على ما أملك».

وسكت لحظة وقال:

«أنت أيضاً يجب أن لا تعود».

تأملته وقالت:

«أنا بالفعل لن أعود يا نبيل».

«ستبقى في مصر؟»

سألني وقد اتسعت عيناه ببهجة مفاجئة. قلت:

«لا».

ورابت الدهشة تأخذ مكانها فوق وجهه، وأنا لا أعرف كيف أجبت بذلك. لكن لا إجابة أخرى عندي حقاً هذا ما أشعر به كأنه يقين، وجاءنا صوت قائد الطائرة:

«أيها السادة سوف تعود الطائرة إلى المطار بسبب عطل فني بسيط. نأسف على هذا الإزعاج، ونأمل تعاونكم معنا بالحفاظ على هدوئكم، والبقاء في مقاعدكم، والامتناع عن التدخين، وربط الأحزمة».

«ها نحن فيما يبدو لن نسالر اليوم».

قلت. لكن لم يبد أن نبيلاً استمع إلى شيء من كلامي. امتنع وجهه وشحب، وزاغت عيناه. وتضائل في مقعده كمن يود الاختفاء.

«فعل! ماذا حدث؟»

كان ينظر إليّ في رعب. رعب لم أعرف من قبل أنه يمكن أن يصيب البشر. ولم تكن قد ارتفعنا كثيراً. لقد أحسست بالطائرة تهبط. ولم أجد وقتاً لأناادي إحدى المضيفات إذ انشغلت بربط

حزامي حولي، ثم رعدت أربط حزام نبيل حوله، وهو ذاهل عني لا يكاد يحس بي.

ارتطمت عجالات الطائرة بالأرض بقوة افترعتنا، فارتفعت صيحات الركاب، وكاد قلبي يتخلع وأنا أرى نبيلاً يتصاعل أكثر، وسمعت صوت صغير المحرك العالي، وصوت احتكاك العجلات القوي بالأرض، وسمعت بالكاد صوت نبيل وهو يقول:

- لا يوجد عطل فني يا استاذ اسماعيل.

.....

وفي اللحظة التي توقفت فيها الطائرة، رايت من خلف زجاج النافذة الصغيرة عدداً من الجنود يقبل نحوها بسرعة.

- لا يوجد عطل فني يا استاذ اسماعيل، لبيتك تقويم من جوارى الآن. لقد سرقت الطائرة، عرفت رقمها آخراً، وأخذت منها خمسين ألف ريال خباياها في العفش.

بسرعة انفتح باب الطائرة، وبسرعة رجعت جوارى وأمامي ثلاثة من الجنود ينقضون على نبيل يجذبونه بقوة وأنا عاجز حتى عن الكلام، والركاب جميعاً يتنظرون إلى ما يحدث في هلم، والمضيفات المصريات وقفن مشدوهات منكشحات جوار بعضهن يكنن يتلاشين والفزع على وجوههن، ولم أروجه سيد القريب، ظل جالساً في مكانه لا يتحرك ولا يهتم بأن يعرف ما يدور بالطائرة.

من النافذة الصغيرة أيضاً رايت عم عبد الله وعابداً يقفان

ومعهما الضابط الكبير أبو حكيم وحولهم عدد من الجنود، والجنود الثلاثة يدفعون نبيلاً ناحيتهم، ولا يكفون عن ضربه على قفاه ومؤخرة رأسه بأيديهم، وركله في ظهره بأرجلهم، ورايت عابداً يتقدم بسرعة نحو نبيل يقابله بركلة شديدة في بطنه، فينحني نبيل، ولا يكف الضابط عن ضربه على ظهره وقفاه ورأسه، وعابداً يعود إلى الخلف خطوة ثم يهجم ضارباً بكل قوته، مرة بيده، ومرة بقدمه، حتى سقط نبيل فوق الأرض عن ظهره، ورايت الدم يغطي وجهه، لكنهم انحنوا يمسكون بقدميه يجرونه جراً، بسطونه، على أرض المطار، ويدويون من خلف الطائرة فلم يعد ممكناً لي رؤيته، لكن للجالسين في الجانب الآخر، الذين كانوا قد اندفعوا إلى جانبنا يحاولون الرؤية معنا، أسرعوا بالعودة إلى جانبهم، ووقفوا متراهمين ينظرون من النوافذ الصغيرة، ولم أحاول معاودة النظر.

حضرات الركاب.. نعتذر لكم عما حدث منذ قليل، ونرجو صوابتكم إلى أننا سنقلع على الفور، رجاء الجلوس في مقاعدكم والتمزام الهدوء، وربط الأحزمة والامتناع عن التدخين، نتمنى لكم رحلة طيبة ووقتاً سعيداً على طائرات الخطوط الجوية السعودية.. شكراً.

ورأيت المضيفات يتحركن بسرعة، وراحت واحدة منهن تدور علينا بعلىة البوتوني مرة أخرى، وكان قائد الطائرة يعيد ما قاله منذ قليل، لكن باللغة الانكليزية.

القاهرة

١٩٨٦ - ١٩٨٨

المسألة الأخيرة

تحدث، في إحدى مدن المملكة العربية السعودية وهي
لكل الذي تحري فيه أحداث هذه الرواية.

أراوي كونه موظفاً مصرياً منجراً إليها للعمل، يقدم لها
غير سرية تجريبه في الإقامة والعيش. وصلاً حياً كإوضاع
المهاجرين أمثال من مصريين وأمازون وبالسليانيين
وكوربيين. كذلك لعادات وتقاليدهم سكان المدينة وسلوكهم.
هناك أن الفهم جداً في تلك المدينة العربية يسر بمصلااة
الجديد. في جو من الطراقة المشرقة. وفجد شخصيات
الرواية وماسها يتدفقون نحو مصائر عربية تتمتع فيها
الإنسانية بالكلية.

